المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة القصيم
كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
قسم اللغة العربية وآدابها

البلاغة النبوية بين مصطفى الرافعي ومحمد البيومي

دراسة موازنة

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير

في اللغة العربية وآدابها ((الدراسات الأدبية))

إعداد الطالبة :أفنان عبد العزيز عبد الله البديوي

الرقم الجامعي : ٣٤١٢٠٠٠٠٣

إشراف : د.عبد الرحيم دفع الله العقلى

أستاذ البلاغة والنقد المشارك بكلية اللغة العربية والدراسات

الاجتماعية بجامعة القصيم

١٤٣٩هـ/ ١٤٤٠هـ _ ٢٠١٨م/٢٠١٩م

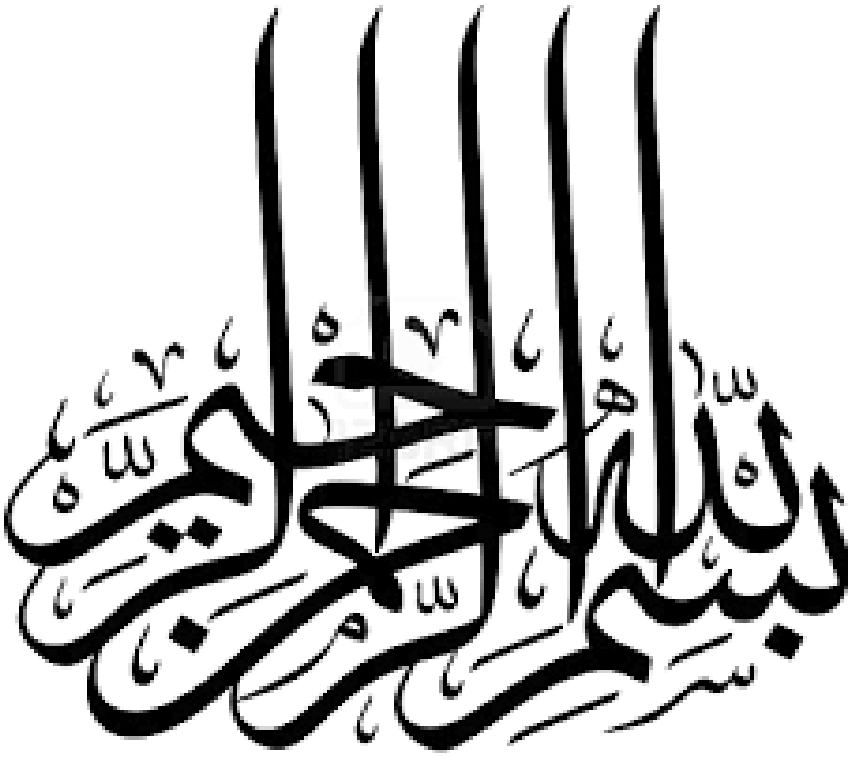
بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة القصيم
كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
قسم اللغة العربية

البلاغة النبوية بين مصطفى الرافعي ومحمد البيومي

دراسة موازنة

Prophetic Rhetoric between Moustafa Al-Rafi'i and Muhammad Al-Bayoumi

الطالبة: أفنان عبد العزيز البديوي
الرقم الجامعي: ٣٤١٢٠٠٠٠٣

تمت الموافقة على قبول هذه الرسالة استكملاً لمتطلبات درجة الماجستير
في "الدراسات الأدبية"

لجنة المناقشة والحكم على الرسالة

أعضاء اللجنة	الاسم	المرتبة العلمية	التخصص	التوقيع
المشرف	د/ عبد الرحيم دفع الله العقلى	أستاذ		
المناقش الخارجي	أ.د / عبد الحكيم راشد الشبرمي	أستاذ		
المناقش الداخلي	أ.د/ إبراهيم منصور التركي	أستاذ		

يوم الاثنين ١٠ / ٤/١٤٤٠هـ، الموافق ١٧ / ١٢ / ٢٠١٨م.

شكر وتقدير

تقدم بخالص الشكر والتقدير إلى كلٍّ من ساندني حتى اكتمل هذا العمل، وأخص بالشكر منأستمدُ منهما القوة والعزيمة "أمي وأبي" حفظهما الله. و أتوجه بالشكر والتقدير إلى رفيق الدرب زوجي الذي آزرني وشد من عزيمتي ولم يبخل بوقته وجهده في سبيل إخراج هذا البحث. و إلى سواعد الحياة إخواني وأخواتي. و إلى زهرات عمري "ابنتي"، أمل الحياة ونور المستقبل.

والشكر موصول إلى المشرف د.عبد الرحيم دفع الله العقلى؛ على ما قدمه لي من عونٍ . من خلال التوجيه والنصح والإرشاد. وبذل لي وقته وجهده وفتح لي أبواب مكتبته للإفادة مما فيها من كتب.

كما أتقدم بالشكر لجامعة القصيم، ممثلة بقسم اللغة العربية ورئيس القسم والأعضاء المكرمين؛ علىتاإحّ تهم لي هذه الفرصة.

ولله الحمد من قبل ومن بعد، على ما وفقني إليه، وأسأل الله أن ينفع بهذا البحث، ويجعله خالصا لوجهه الكريم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحثة

أفنان عبد العزيز البديوي

ملخص الرسالة

موضوع هذا البحث عن البلاغة النبوية بين الرافعي والبيومي دراسة موازنة. وتهدف دراسته إلى معرفة منهج وأسلوب مصطفى صادق الرافعي، و محمد رجب البيومي؛ في تناولهما للبلاغة النبوية. وهذا البحث وازن بين هاتين الدراستين ووضح أوجه الائتلاف والاختلاف بينهما. وقد قسمت الدراسة إلى ثلاثة فصول، مسبوقة بتمهيد عن حياة الأديبين. وقد تناول الفصل الأول: البلاغة النبوية عند الرافعي. وقسم إلى خمسة مباحث. ويمكن تلخيص دراسة الرافعي للبلاغة النبوية حول محورين رئيسيين. المحور الأول: الفصاحة النبوية وتوضيح أسبابها المؤثرة على الرسول ﷺ الخَلقية والخُلقية والبيئية. وما تعلق بالموضوع من صفته وإحكام منطقه.واجتماع كلامه وقلته صلى الله عليه وسلم. و نفي الشعر عنه صلى الله عليه وسلم. و من تأثيره صلى الله عليه وسلم في اللغة واستعماله للغريب في مخاطباته ورسائله. أما المحور الثاني: فهو البلاغة النبوية وخصائصها الأسلوبية. فوصف البلاغة من ناحية الصنعة من ثلاث جهات: اللغة والبيان والحكمة. وذكر سمات الأسلوب النبوي: الخلوص والقصد والاستيفاء. وجاءت دراسته للبلاغة النبوية مختصرةً إذا قارناها بدراسته للفصاحة النبوية، واتضح جلياً تأثره بالدراسات القديمة للجاحظ والخطابي. ويعد الرافعي رائداً في دراسته للبلاغة النبوية. وقد عالجها بطريقته الأدبية الخاصة، كما نستطيع أن نصف منهج الرافعي في دراسته بطابع العمومية في إصدار الأحكام على المعاني والأسلوب. وسرد كثيراً من الجمل الوصفية ذات المعاني المتشابكة، فكانت غامضة ولم يستفد منها المتلقي حق الإفادة، مع أنها تحمل في طياتها الكثير من الأفكار الأصلية. وكان ذلك بسبب عدم اعتماده على الدراسة العلمية وعلى الوصف الموضوعي وتعلقه بمناهج و أساليب القدماء. فلم يتعمق في التحليلات الفنية والبلاغية، وحبذا أنه شمل مع الجانب اللغوي في تحليله للأحاديث النبوية الجانب الفني. لكن كان هدفه الكشف عن الخصائص العامة للتعبير النبوي.

أما الفصل الثاني فتناول: البلاغة النبوية عند البيومي. وقسم إلى أربعة مباحث، وتتلخص دراسته؛ بأنه جاء بدراسة مغايرة عن سابقيه لأسباب البيان المحمدي و كذلك سماته التي ميزته عن البيان البشري، و أيضاً التأثير اللغوي لحديث معراج الرسول صلى الله عليه وسلم على اللغة والأدب العربي والفارسي والعالمي. كما أثبت أن رأي القرآن الكريم والسنة المطهرة واحد في الشعر،حبيذهما اتجاهاً عاقلاً و معارضتهما اتجاهاً سفيهاً، و أنكر على الذين يقولون بكراهية الشعر و فند مزاعمهما. وأكد أن الحديث عن صحة إنشاده للشعر هو حديث عن تمام فصاحته وكمال بلاغته، وهما لا يحتاجان إلى دليل. كما يعد البيومي رائداً في تأليف كتاب متخصص عن البيان النبوي بدراسة تحليلية مفصلة، قد عالج كتابه بالوصف الموضوعي متبعاً المناهج العلمية الحديثة. وأرى أنه قد وضع اللبنة الأولى في هذا الصرح الشاهق بنجاح.وقد حسم في دراسته للبيان النبوي الكثير من الجدل في القضايا كقضية الاستشهاد بالحديث النبوي في كتب اللغة والنحو. وقضية موقف الإسلام من الشعر والشعراء .. وغيرها. كما نجد أنه تأثر بالدراسات المعاصرة. وفي تحليله للحديث النبوي يضع أمثله عديدة وكثيرة ليبرهن بها أقواله، لكنه لا يحلل إلاقليل تحليلاً بلاغياً ولغوياً ، فيبدو أنه ينهج عدم الاتساع والاكتفاء بالتمثيل.

أما الفصل الثالث: فتناول الموازنة بين الرافعي والبيومي في دراستهما للبلاغة النبوية، وقُسم إلى مبحثين. يتلخص في ائتلاف الأديبين في بعض الآراء والقضايا. كاتفاقهما على أن من أهم مسببات البيان النبوي الفطرة القوية. واختلافهما في بعضها الآخر،كاختلافهما في قضية إنشاد الشعر.

أفنان عبد العزيز البديوي

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب هداية للأمة، وجعله لنبيه صلى الله عليه وسلم أيةً ومعجزة، وبعد:

فإن الغاية الكبرى لعلوم البلاغة العربية؛ هي الكشف عن أسرار البلاغة القرآنية والبلاغة النبوية، من خلال التحليل الدقيق لإبراز الخصائص والصفات البلاغية.

و البيان النبوي أحتوى على جميع أصناف البلاغة ومقوماتها، وألوان الجمال والفصاحة، وهي دلالة واضحة على صدق رسالته التي أوحاها الله إليه قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[١].

وقد عُني الباحثون عبر القرون برصد الفنون البلاغية المختلفة ودراستها، والكشف عن عناصر الإحكام والجدة والابتكار، وغيرها من الصفات التي يزخر بها البيان النبوي. لكن اتضح أن لدراساتهم عدة مسارات وعدة مناهج. وقدعُني هذا البحث بموازنة لدراسة أديبين من أبرز الأدباء المعاصرين الذين تناولوا البلاغة النبوية. وحللوها وكشفوا عن ألمع سماتها ووضحوا أسباب بيانها وسر تفوقها على البلاغة البشرية. وهما مصطفى صادق الرافعي، الذي امتلك ناصية البيان، وأُوتي من حسن الديباجة وجمال التعبير، وتربع على عرش الأدب،فأخذ بعقول قارئيه، وله زاد معرفي جبار، حتىجلَنسِ بقد قُدّ عوده من العربية بعبقريتها وروعتها وجلالها. و محمد رجب البيومي، الذب تميز بالدقة في الاستدلال، وجودة عرض المادة العلمية، والإبداع والتميز في تناول المشكلات وحلولها، وعمق الفكرة والمهارة في الاستنباط،والبراعة في التحليل، والأسلوب الجذاب الشائق.

فلذلك البحث نقب ليقف على ما بذله العالمان الجليلان من كنوز ولآلئ، لعلها تكون إضاءة وإنارة لطريق الباحثين عن كشف مخزون البيان النبوي الذي تحلت به الأمة في سالف عهدها وحاضر مستقبلها. وليقفوا على نمط تأليفهما ومنهجهما وأوجه الائتلاف والاختلاف بين دراستهما. فأي موازنة بينهما ترتكز على أسس علمية، قادرة على الإسهام في كشف الفروق المنهج والفكر.

---

[١] سورة النساء، الآية :١١٣ .

مشكلة البحث وتساؤلاته :

تتمثل مشكلة البحث في معرفة الخصائص البيانية والفنية الخاصة و العامة لطريقة تناول مصطفى صادق الرافعي و محمد رجب البيومي في دراستهما للبلاغة النبوية، ومعرفة أوجه التوافق والاختلاف بينهما.

و تتحدد مشكلة الدراسة من خلال التساؤلات التالية:

١. ما أهم الخصائص البيانية والفنية العامة والخاصة التي ركز عليها الرافعي والبيومي في تناولهما للبلاغة النبوية؟
٢. كيف تناول الرافعي والبيومي البلاغة النبوية؟
٣. ما أوجه التوافق والاختلاف مابين الرافعي والبيومي في دراستهما وتحليلهما للبيان النبوي؟
٤. هل وافق منهج الرافعي والبيومي في تحليلهما للبلاغة النبوية منهج علماء البلاغة؟

أهمية البحث وأسباب اختياره :

تأتي أهمية الدراسة قي الإسهام في الدراسات النثرية التي تكلمت عن مكانة النبي صلى الله عليه وسلم عند الأدباء والكشف عن أوجه الائتلاف و الاختلاف في دراسة البلاغة النبوية بين مصطفى صادق الرافعي ومحمد رجب البيومي.

أسباب اختياره :

١. خدمة الأصل الثاني من أصول اللغة العربية وهو الحديث النبوي.
٢. الكشف عن البلاغة النبوية وإبراز سماتها ومعرفة الأساليب النقدية الحديثة،التي اعتمد عليها الرافعي والبيومي في تحليلها.

٣. الإشارة إلى الجمال الفني والبياني والأدبي للبلاغة النبوية في دراسة الرافعي والبيومي.

أهداف البحث :

تتلخص أهداف هذه الدراسة في:

١. الكشف عن النمط الخاص في التأليف والمنهج عند مصطفى الرافعي ومحمد البيومي.
٢. معرفة أهم الخصائص العامة والخاصة للبيان النبوي التي ركز عليها الرافعي والبيومي.
٣. معرفة أوجه الاتفاق والاختلاف في دراسة الرافعي والبيومي للبيان النبوي.
٤. دراسة الأحاديث النبوية دراسة بلاغية تحليلية، ومعرفة الأساليب التي اعتمد عليها الرافعي والبيومي في ذلك.

الدراسات السابقة:

١. شخصية النبي صلى الله عليه وسلم عند مصطفى صادق الرافعي(دراسة موضوعية فنية)، محمد فايع عسيري رسالة ماجستير، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى ١٤٢٩هـ. وهي دراسة فنية للأدب الذي كتبه الرافعي عن النبي صلى الله عليه وسلم في نثره، ولم يدرس البلاغة النبوية وسماتها،ولم يوازن بين دراستي الرافعي و البيومي.

٢. سمات البلاغة النبوية بين الجاحظ والرافعي والعقاد، عدنان محمد زرزور، بحث منشور في مجلة مركز بحوث السنة والسيرة بجامعة قطر، العدد الخامس، ١٤١١هـ.خصص الباحث هنا بحثه في جانب واحد من جوانب دراسة الرافعي وهو سمات البلاغة النبوية،وذكرها مجملاً ، أما في هذا البحث فيشمل جميع جوانب دراسة الرافعي للبلاغة النبويةو كذلك لم يوازن بين دراسة الرافعي و البيومي للبلاغة النبوية، بل كانت دراسته بين الجاحظ والرافعي والعقاد.

٣. البلاغة النبوية في منظور الرافعي: قراءة في المنهج، بن عيسى باطاهر، بحث منشور في مجلة التجديد الماليزية، العدد الثاني والثلاثون ، ١٤٣٤هـ. كتب الباحث عن

الخصائص الأسلوبية للبلاغة النبوية عند الرافعي، وحاول الكشف عن الأبعاد الدلالية لبعض النصوص النبوية. وتقويم منهج الرافعي من حيث الأصالة والتقليد، ويختلف هذا البحث عن هذه الدراسة فيذكره الخصائص الأسلوبية مجملاً ، وعدم شمولية دراسته جميع جوانب دراسة الرافعي للبلاغة النبوية، وتركيزه على المنهج،ولم يوازن كذلك بين دراسة مصطفى الرافعي ومحمد البيومي.

و لا نكاد نجد دراسة سابقة حول البلاغة النبوية دراسة موازنة بين الرافعي و البيومي.

منهجية البحث:

المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج التحليلي، وهذه أهم الخطوات المتبعة لتحقيق هذا المنهج:

١. شرح دراسة البلاغة النبوية للرافعي والبيومي وتفسيرها.
٢. توضيح النصوص البلاغية للبيان النبوي واستقصاءها وتحليلها.
٣توثيق المنقول توثيقاً علمياً بحيث يكون توثيقاً كاملا.
٤. استنباط السمات الأسلوبيةللرافعي و البيومي في دراستهما للأحاديث النبوية.
٥. تسجيل أهم نتائج البحث، وهو عرض موجز لما توصل إليه البحث.

مخطط البحث:

سيقسم البحث إلى ثلاثة فصول مسبوقة بتمهيد عن مصطفى الرافعي ومحمد البيومي.

الفصل الأول: البلاغة النبوية عند الرافعي، وفيه خمسة مباحث.
المبحث الأول: أسباب البيان النبوي عند الرافعي.
المبحث الثاني: صفة منطقه صلى الله عليه وسلم وإحكامه ونفي الشعر عنه.
المبحث الثالث: اجتماع كلامه وقلّته صلى الله عليه وسلم.

المبحث الرابع: سمات البيان النبوي عند الرافعي.

المبحث الخامس: أثر الحديث النبوي في اللغة .

الفصل الثاني: **البلاغة النبوية عند البيومي، وفيه أربعة مباحث.**

المبحث الأول: أسباب البيان النبوي عند البيومي.

المبحث الثاني: موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر والشعراء.

المبحث الثالث: سمات البيان النبوي عند البيومي.

المبحث الرابع: تأثير حديث لمعراج في بعض الآثار الأوربية و الفارسية والعربية.

الفصل الثالث: **موازنة لدراسة الرافعي والبيومي ، وفيه مبحثان.**

المبحث الأول: أوجه الائتلاف.

المبحث الثاني: أوجه الاختلاف.

التمهيد:

يعد مصطفى صادق الرافعي و محمد رجب البيومي من أبرز أعلام الأدب و الفكر في العصر الحديث في مصر.وسنتناول مختصراً عن حياتهما ونشأتهما ووفاتهما.

أولاً : مصطفى صادق الرافعي حياته ونشأته ووفاته(١٨٨٠م–١٩٣٧م):

ولد مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي العمري في بيت جده لأمه في قرية بهتيم بمحافظة القليوبية وعاش حياته في طنطا. ينتمي إلى مدرسة المحافظين وهي مدرسة شعرية تابعة للشعر الكلاسيكي.

دخل الرافعي المدرسة الابتدائية في دمنهور حيث كان والده قاضيا بها، وحصل على الشهادة الابتدائية بتفوق. ثم أصيب بمرض أقعده عدة شهور في سريره وخرج من هذا المرض مصاباً في أُذنيه، واشتد به المرض حتى فقد سمعه نهائيا في الثلاثين من عمره. ومع هذه العاهة فلم يعبأ بالعقبات، وإنما اشتد عزمه وأخذ نفسه بالجد والاجتهاد، و نشأ في رحاب أسرةٍ استقى من َعِ ينها روافد من العلم والأدب ؛ فقد زخرت مكتبة والده بنفائس الكتب، كما تشرَّف منزل والده باستضافة كوكبة من أعلام العلم والأدب، وقد تأثر الرافعي بتلك الكوكبة، واستلهم من نبراس علمهم أُفُقاً جديداً من آفاق المعرفة،[١] وكان أكثر عمل عائلته في القضاء. ابتدأ حياته الأدبية بكتابة الشعر ثم تحول للنثر، و اشتهر بالذوق الأدبي القديم، و جفاف الأسلوب الكتابي، وحب التقاليد و البعد عن المعاصرة، وتميز أسلوبه بالجزالة التي يصعب قراءته على غير المتخصصين. كان الرافعي شديداً في خصوماته الأدبية،متخصصاً في أدب اللغة العربية والإعجاز القرآني. ومن الجدير بالذكر أن مرض الصمم الذي أصابه هو الذي اضطره إلى ترك التعليم الرسمي، واستعاض عنه بمكتبة أبيه؛ فعكف على قراءة واستيعاب كل ما فيها.[٢]

مصطفى صادق الرافعي كاتبا عربيًّا ومفكراً إسلاميًّا، (ط٣)، مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية،١٩٩٩م . ص٢٢.

[٢] للاستزادة ينظر الإمام مصطفى صادق الرافعي: مصطفى نعمان البدري، دار البصري، بغداد، ١٩٦٨م. ص١١–١٨.

وقدوترك تراثاً علمياً وأدبياً [١] ومن مؤلفاته:

ـ ديوان الرافعي .

ـ ديوان النظرات.

ـ تاريخ آداب العرب.

ـ حديث القمر.

ـ المساكين

ـ رسائل الأحزان.

ـ تحت راية القرآن.

ـ على السفود.

ـ أوراق الورد.

ـ رسالة الحج.

ـ وحي القلم.

توفي مصطفى صادق الرافعي في طنطا عن عمر يناهز ٥٧عاماً .[٢]

ثانياً : محمد رجب البيومي حياته ونشأته ووفاته(١٩٢٣م–٢٠١١م):

ولد محمد رجب البيومي في قرية الكفر الجديد التابعة لمدينة المنزلة بمحافظة الدقهلية بمصر. عمل والده على تفرغه للعلم والدراسة ولم يشغله بشيء آخر يزاحمه في التعلم، وأتم حفظ وتجويد القرآن الكريموقد نال قسطاً وافراً من العلوم اللغوية والشرعية تركت أثرها في تكوينه الثقافي ونبوغه. وقد نال عالمية الأزهر سنة ١٩٤٩م، ثم الماجستير سنة ١٩٦٥م، ثم الدكتوراه في الأدب والنقد سنة ١٩٦٧م، ثم انتقل إلى كلية اللغة العربية

[١] مصطفى صادق الرافعي فارس القلم تحت راية القرآن، محمد رجب البيومي،دار القلم ، دمشق،١٤١٧هـ. ص١٧–٢٥.

[٢] للاستزادة ينظر حياة الرافعي، محمد سعيد العريان (ط٣)، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٥م. ص٢١–٣٧.

مدرساً .وتوفي عام ٢٠١١م،وتم دفنه عصراً في قريته"الكفر الجديد"مركز المنزلة بمحافظة الدقهلية. والبيومي مدرسة أدبية متميزة فقلمه يمتاز بسمات فنية عديدة نذكر منها:

جودة عرض المادة العلمية، وعمق الفكرة، وجدة الموضوعات، والإبداع والتميز في تناول المشكلات وحلولها "تشهد بذلك افتتاحيات مجلة الأزهر الرائدة".

ويمتاز أيضا بالدقة في الاستدلال، والمهارة في الاستنباط، والبراعة في التحليل، والأسلوب الجذاب الشائق.[١]

وترك تراثاً علمياً في مختلف المجلات والدوريات العلمية وهو في حاجة لجمعه ودراسته في أعمال كاملة حتى يستفيد منها طلاب الدراسات الأدبية والنقدية والدراسات الإسلامية، و ذلك إضافة إلى كتبه في دور النشر. و من هذه المؤلفات:

١ – البيان القرآني، أصدره مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

٢ – خطوات التفسير البياني، أصدره مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

٣ – البيان النبوي، أصدرته دار الوفاء للنشر.

٤ – أدب السيرة النبوية عند الرواد المعاصرين، أصدرته اللجنة العليا للدفاع عن الإسلام بالأزهر.

٥ – الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير، أصدره المجلس العلمي لجامعة الإمام محمد بن مسعود بالرياض.

٦ – النقد الأدبي للشعر الجاهلي، أصدره المجلس العلمي لجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض.

٧ – أحمد حسن الزيات بين البلاغة والنقد، أصدرته دار الأصالة، بالرياض.

٨ – دراسات أدبية، أصدرته دار السعادة، بمصر.

---

[١] محمد رجب البيومي لمحة عن حياته ومكانته العلمية والأدبية، محمد عباس عرابي، مجلة رابطة الأدب الإسلامي العالمية،العدد١٨،عام ٢٠١٢م.

٩ – نظرات أدبية ،أصدرته دار زهران، بمصر.

١٠ – حديث القلم، أصدره النادي الأدبي، بجدة.

١١ – قطرات المداد، أصدره النادي الأدبي، بجدة.

١٢ – التفسير القرآني، أصدرته المؤسسة العربية الحديثة.

١٣– ديوان صدى الأيام مطبعة السعادة.

١٤– ديوان حصاد الدمع دار الأصالة، بالرياض.[١]

الجوائز الأدبية:

١ – نال جائزة شوقي بالمجلس الأعلى للفنون والآداب بمصر، سنة ١٩٦١م، عن المسرحية الشعرية (انتصار).

٢ – نال جائزة مجمع اللغة العربية الأولى، عن المسرحية الشعرية (فوق الأبوة) سنة ١٩٦٢م.

٣ – نال جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٣م، عن ديوانه الشعري (صدى الأيام).

٤ – نال جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الأولى سنة ٩٦٤م، في الدراسات الأدبية عن كتاب (الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير).

٥ – نال جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٥م، في التراجم الأدبية عن حياة (محمد توفيق البكري).

٦ – نال جائزة مجمع اللغة العربية سنة ١٩٧٢م، عن المسرحية الشعرية (بأي ذنب).

٧ – نال جائزة وزارة التربية والتعليم سنة ١٩٥٨م، عن المسرحية الشعرية (ملك غسان).[٢]

---

[١] للاستزادة انظر ويكيبيديا الموسوعة الحرة، محمد رجب البيومي، jhttp://www.ikhwanwiki.com/index.php?title=%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%B1%D8%AC%D8%A8_%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%8A%D9%88%D9%85%D9%8A تاريخ الدخول:٢٠١٨/١/٢٦م.

[٢] ينظر جولة في مؤلفات محمد رجب البيومي قراءة نقدية، محمد سيد بركة، مجلة الإسلام اليوم، العدد٨٣، ٢٠١٢م.

الفصل الأول

البلاغة النبوية عند الرافعي

المبحث الأول : أسباب البيان النبوي عند الرافعي .

إن تبيين شرع الله مهمة تحمل أعباء على المبلغ، وتتطلب بياناً واضحاً، ولساناً فصيحا،وبلاغةً عذبة؛ لهذا لابد من أن يكون مبلغها في غاية البيان،ومثلاً عالياً في الفصاحة والبلاغة، وأن يكون له مكانة مرتفعة تعلو على كل البلغاء.

وقد اصطفى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ونبهه إلى ضرورة البلاغة و البيان في عرض الدين على الناس، فقال جل وعلا:﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا ﴾[١]، ((وفي الآية شهادة للنبي صلى الله عليه وسلم بالقدرة على بليغ الكلام وتفويض أمر الوعظ والقول البليغ إليه ؛ لأن لكل مقام مقالا)).[٢]

وقد بين القرآن الكريم أن الغاية هي البيان والتبيين، فقد نزل على محمد صلى الله عليه وسلم بلسان مبين، قال تعالى:﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[٣].ولما للبيان والبلاغة من أهمية وأثر في الدعوة للأنبياء؛ حتى يبلغوا وحي الله و يتمكنوا من الإقناع وإقامة الحجج والبراهين؛ طلب موسى – عليه السلام– من ربه أن يرسل معه أخاه هارون وزير؛ لأنه أفصح منه، وكذلك أقوى منه بيانا، فقال تعالى:﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾[٤].

فإن كانت الفصاحة مطلب موسى –عليه السلام–، فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم أحق بها، فقد أرسل إلى أمة يتفاخرون بالبيان وحسن المنطق، ويتباهون بها؛لأن حسن البيان

---

[١] سورة النساء ، الآية :٦٣.

[٢] تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين العلوي الهرري، تحقيق:هاشم مهدي، دار طوق النجاة، لبنان،١٤٢١هـ ، ج٦/ص١٧٤.

[٣] سورة الشعراء ، الآية : ١٩٣–١٩٥.

[٤] سورة القصص ، الآية : ٣٤.

كان مرتبطاً عندهم بقوة العقل وإحكام المنطق، فلأن يكون محمد صلى الله عليه وسلم أبين قومه، وأبلغهم أحرى وأولى، فجاءت معجزته عليه الصلاة والسلام في مجال الكلام والتعبير والبيان، وهي القرآن الكريم، فيما أبدع فيه قومه، وفصاحته صلى الله عليه وسلم ذاعت في الملأ فإن ((رسول الله صلى اللهعليه وسلم كان أفصح العرب لسانا، وأوضحهم بيانا، وأعذبهم نطقا، وأسدهم لفظا، وأبينهم لهجة، وأقومهم حجة، وأعرفهم بمواقع الخطاب، وأهداهم إلى طرق الصواب.تأييداً إلهياً، ولُطفا سماويا، وعنايةً ربانية، ورعايةً روحانية))[١]، وتحدث الأديب الرافعي عن هذه الفصاحة النبوية، وعن العوامل التي أثرت في النبي صلى الله عليه وسلم وجعلت منه أبين قومه وأفصحهم. وسنتناول ذلك لاحقاً بأذن الله.

[١] النهاية في غريب الحديث والأثر، عز الدين الجزري أبو الحسن ابن الأثير ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ. ج١/ ص٤.

الأول: التوفيق والتوقيف الإلهي، فقد أرجع الرافعي في بداية حديثه عن أسباب فصاحة لغة الرسول صلى الله عليه وسلم وبلاغة إلى مذهب التوقيف والتوفيق الإلهي، فقال: ((ولا نعلم أن هذه الفصاحة قد كانت له صلى الله عليه وسلم إلاتوفيقاً من اللهوتوقيفاً ، إذ ابتعثه للعرب وهم قوم يقادون من ألسنتهم، ولهم المقامات المشهورة في البيان والفصاحة)) [١]. وكذلك يصف الزمخشري بأن:((هذا البيان العربي كأنّ اللهزَّتْ قدرتهمخَضه وألقىُ بْدته على لسان محمد عليه أفضل صلاة وأوفر سلام))[٢]، ويرى الزياتيطًا أن البلاغة النبوية من صنع الخالق عز وجل: ((وما كان من صنع الله تضيق موازين الإنسان عن وزنه، وتقصر مقاييسه عن قياسه؛ فنحن لا ندرك كنهه وإنما ندرك أثره،ونحن لا نعلم إنشاءه وإنما نعلم خبره))[٣]، ولذلك كان أسلوبه من الأساليب العجيبة في اللغة وأحكمها وأشدها.

ومع أن الفصاحة توقيف وتوفيق وتيسير من الله لرسوله دون غيره، فقد تحدث الرافعي حديثاً مطولاً عن الأسباب الشخصية والبيئية المؤثرة في لغة النبي صلى الله عليه وسلم ويمكن إجمالها في النقاط الآتية:

الثاني:معرفته وعلمه صلى الله عليه وسلم بلهجات القبائل العربية، ولها من يختص بتعلمها ومعرفتها، فلكل لهجة سماتها الخاصة، فلا تكاد تجتمع في شخص واحد يعلمها،ورسول الله صلى الله عليه وسلم تفرد بأنه جمع بين هذه اللهجات وأتقنها،((فيخاطب كل قوم بلحنهم وعلى مذهبهم، ثم لا يكون إلا أفصحهم

---

[١] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، مراجعة: درويش الجويدي، المكتبة العصرية بيروت، ٢٠٠٥م. ص٢٢٩.

[٢] الفائق في غريب الحديث و الأثر، محمود بن عمرو الزمخشري(ط٢)، تحقيق: علي البجاوي- محمد إبراهيم، دار المعرفة، لبنان،١٣٩١هـ ، ج١/ ص١١.

[٣] وحي الرسالة، أحمد حسن الزيات(ط٥)، مكتبة نهضة مصر، ١٣٨٤هـ ، ج٥/ ص١٠٥.

خطاباً ،وأسدهم لفظا، وأبينهم عبارة،ولم يعرف ذلك لغيره من العرب، ولو عرف لقد كانوا نقلوه وتحدثوا به واستفاض فيهم.ومثل هذا لا يكون لرجل من العرب إلا عن تعليم أو تلقين أو رواية عن أحياء العرب حياً بعد حي وقبيلاً بعد قبيل، حتى يفلي لغاتهم، ويتتبع مناطقهمستفرغاً في ذلك متوافراً عليه،وقد علمنا أنه صلى الله عليه وسلم لم يتهيأ له شيء مما وصفنا، ولا تهيأ لأحد من سائر قومه))[1]. وهذا مما لم يتهيأ لغير النبي صلوات الله وسلامه عليه إلا بالتعلم أو المخالطة في كل حي من أحياء العرب، وذلك لم يكن منه صلى الله عليه وسلم، ولا عرف عند العربأنّ أحداً منهم تقصى اللغات وحفظ ما بينها من فروق الأوضاع واختلاف الصيغ وأنواع الأبنية،فعلل الرافعي هذه المعرفة؛ بأنها إلهام من الله فقد علمه ما لم يكن يعلم، وخصه دون سائر الناس بعلم هذه اللهجات الغريبة، فيخاطب الوفود دون تعليم أو تلقين ودون تدريب مسبق، ودون أن يبحث عن لغاتهم ورواياتها في أحياء العرب؛ فيرد عليهم، فتكون حجته صلى الله عليه وسلم أوضح وأقوى، وإذا تكلم بلغة غير لغته فإنما يتكلم بذلك مع أهل تلك اللغة خاصة، فكان يعلم هذه اللهجات على حقها. كما قال القاضي عياض: أنه خص بـ((علم ألسنة العرب، فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها، ويحاورها بلغتها، ويباريها في منزع بلاغتها، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله))[2] فتكلم معهم حين يستقبل الوفود بكلمات لا يفهمها الصحابة وهم يفهمونها، ((والمعروف أن النبي- عليه السلام -لم يعرف الرحلة أو التنقل بين قبائل العرب حتى يتعلم منها اللغات،ولو كان الأمر أمر تنقل في القبائل لكان أبو بكر على علم بها))[3].

---

[1] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٢٩ -٢٣٠.

[2] الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: أحمد الشمني، دار الفكر، ١٤٠٩هـ، ج١/ص٧٠.

[3] من بلاغة الحديث الشريف، عبد الفتاح لاشين، عكاظ للنشر والتوزيع، ١٩٨٢م، ص١٩.

ويرى العقاد أن سبب معرفته صلى الله عليه وسلم بلهجات غريبة كي لا يقيم بينه وبين السامع حاجزً ا من اللفظ الغريب:((فمحمد القرشي الناشئ في بني سعد، العالم بلهجات القبائل حتى ما تفوته لهجة قبلية نائية الأطراف.ولم يكن في كلامه كله غريب يجهله السامع أو حتاج تبيانه إلى مراجعة، وسر ذلك أنه يريد أن يبلغ أو يريد أن يصل إلى سامعه، ولا يريد أن يقيم بينه وبين السامع حاجزً ا من اللفظ الغريب.أو المعنى الغريب))[١]. فاختصاص الرسول صلى الله عليه وسلم بالعلم بلهجات القبائل ظاهرة جديدة على الناس في ذلك الوقت ويذكر الشكعة سبب آخر وهو:((أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كان يخاطب كل قبيلة بلغتها أو بلهجتها المحلية مهما تعددت القبائل، ومهما تنوعت اللهجات، يحاورها صلى الله عليه وسلم بأرفع أسلوب عرفته لهجتها،وكأنه نشأ فيهم وأقام بينهم، مع أنه لم يسبق له صلى الله عليه وسلم أن التقى بهم، أو زار منازلهم وديارهم، ومن ثم فالمسألة هنا تتعدى نطاق البلاغة إلى معجزات النبوة، وإلا فكيف تعلل هذه البلاغة الفائقة في لهجات ومصطلحات لم تألفها البيئة التي نشأ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم؟)).[٢]

فالعلم بهذه اللهجات تيسير من الله له دون غيره؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم تفرد بعلم القراءات. فنزول القرآن الكريم بلغة قريش مشهور عند العلماء، لكن بعض الباحثين يرى أن أغلبه نزل بلغة قريش، وبعض منه نزل بلغة القبائل العربية الأخرى، بدليل أن من القرشيين من كان يجهل معاني بعض كلمات القرآن، مثل كلمة الأب عندما سئل أبو بكر رضي الله عنه فأمسك ولم يفسرها، حيث إنها كلمة لم تسمع في لغته.[٣]

أن الله عز وجل ألهم رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم هذه المعرفة حتى يبلغ رسالته، ويبينها للناس وتكون حجته وبرهانه أقوى، قال تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ

---

[١] عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم، عباس محمود العقاد(ط٢)، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ٢٠٠١م ، ص٧٠.

[٢] البيان المحمدي، مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٥هـ ، ص٩٩.

[٣] ينظر البيان المحمدي، مرجع سابق، ص٩٩.

قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم﴾[١]. فقد كان يكلم العرب ويخاطب كل قوم بلغتهم وعلى مذهبهم، وهم مختلفون في لغاتهم اختلافهم في مضاربهم ومنازلهم((تُرِك أمر ُه – عليه السلام – إلى ما تعلمه بفطرته من بيئته لما كان في إمكانه أن يكلم العرب وهم مختلفون في لغاتهم اختلافهم في مضاربهم ومنازلهم، لكن المولى عوجل ّ قد أيده بالتوفيق فألهمه اللغة و أوقفه على أسرارها، فكان عليه الصلاةوالسلام يخاطب كل قوم بلغتهم وعلى مذهبهم)).[٢]

الثالث: قوة الفطرة اللغوية، وتعد الطبيعة الصافية التي فطر الله عليها رسوله صلى الله عليه وسلم من أهم الأسباب التي أهلت بلاغته لتكون على قمة البيان البشري، والرافعي يرى أن هبة الله لنبيه، وتفضيله على البشر جميعاً بقوة الفطرة وتمكنها، مع صفاء الحس، ونفاذ البصيرة، وثقوب الذهن، واجتماع النفس، واستقامة الأمر كله، فليس في العرب من جمع الله فيه هذه الصفات، وأعطاه الخالص منها، وخصه بجملتها، وأخلص له أسبابها كالنبي صلى الله عليه وسلم فهو اصطفاه لرسالته، وخصه بكتابه، فكان يصرف اللغة تصريفاً، ويديرها على أوضاعها، ويشق منها في أساليبها ومفرداتها، فالقوة على الوضع والكفاية في تشقيق اللغة، لا تكون في أهل الفطرة استحالة ومعاناة، إنما هي إلهام، تهيئ له الفطرة القوية، وتعين عليه النفس المجمعة والذهن الحاد والبصر النفاذ، فعلى حسب ما يكون للعربي في هذه المعاني، تكون كفايته، ومقدار تسديده في باب الوضع.[٣]

---

[١] سورة إبراهيم، الآية : ٤.

[٢] أضواء على البلاغة النبوية، إبراهيم طه الجعلي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٤م، ص٥٦.

[٣] ينظر بتصرف إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٣٠ ، و ص٢٣١.

فبلغ المصطفى صلى الله عليه وسلم الغاية في نقاء الفطرة، لأنه المختار من صفوة الخلق فلابد :((أن يكون صلى الله عليه وسلم قد بلغ الغاية في سلامة الفطرة، ونقاء القلب، وتوقد الخاطر مما لم يبلغه غيره من الناس))[١]، فالفطرة السليمة مكنته من معرفة لغة قريش ولغات القبائل، فتمكن منهاتمكناً رفعه صلى الله عليه وسلم إلى مرتبة الإبداع اللغوي، وهذا هو غاية كمال الفطرة، ولذلك فوجود مثل هذه الفطرة قليل عند العرب، وهي مرتبة عاليةجداً لا يصل إليها إلا القليل، ولقد أجمع العلماء على أن الله عز وجل وهب رسوله صلى الله عليه وسلم هذه الفطرة:((فقد وهب جل جلاله صفوة خلقه صلى الله عليه وسلم فطرة نقية، وبديهة حاضرة،وقلباً واعياوبصراً نافذا،وذهناً متوقدا،ولساناً فصيحا، مما لم يبلغه سواه من الخلق أجمعين، و ذلك لإبلاغ رسالته للناس كافة. وقد أسهمت هذه الفطرة النقية، والإعداد الإلهي في أن يستوعب عليه السلام ألفاظ اللغة وتراكيبها))[٢]، فهذه الفطرة الطاهرة كانت من مسببات فصاحة منطقه، وعذوبة بلاغته:((وتتمثل هذه الموهبة في فطرة صافية، وذهن جوال، وبصر نفاذ، ونفس مجتمعة فاضلة، وإحساس دقيق مرهف، وبديهة حاضرة . وليس غريباً أن يجتمع ذلك كله لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الله أعلم حيث يجعل رسالته، وهو سبحانه يصنع رسله على عينه بما تقتضيه حكمته))[٣].

أن الفطرة هي الجمال الداخلي للنفس الإنسانية، وفي سلامتها خص الأنبياء، فوظيفة الفطرة الصافية، توجيه المرء إلى الصواب وترك الخطأ. فقد أظهرت لنبي الله إبراهيم عليه السلام إنكار الباطل عبادة أبيه وقومه للأصنام، و الإله في فطرة إبراهيم هو الذي يخلق ويسمع ويرزق ويجيب، فلا يمكن أن يكونصنماً جامدا، فالفطرة السليمة بينت له أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة.

---

[١] أضواء على البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٥٢.

[٢] البلاغة في القرآن الكريم والسنة النبوية، عزة محمد جدوع (ط٢)،مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٣٥هـ، ص٢٦٧ – ٢٢٨.

[٣] الحديث النبوي مصطلحه،بلاغته،كتبه، محمد بن لطفي الصباغ(ط٨)، المكتب الإسلامي،٢٠٠٣م. ص٦١.

وصور سيد قطب وظيفة الفطرة السليمة، ففطرة نبي الله إبراهيم عليه السلام هي النموذج الكامل لجمالها قائلاً : ((وإذن فهو الضلال البين تحسه فطرة إبراهيم – عليه السلام – للوهلة الأولى . وهي النموذج الكامل للفطرة التي فطر الله الناس عليها .. ثم هي النموذج الكامل للفطرة وهي تواجه الضلال البين ، فتنكره وتستنكره، وتجهر بكلمة الحق وتصدع))[١]

ويظهر إن عمل الفطرة السليمة هو أن تنبئ صاحبها عن خطئه. كما أظهرت لنبينا صلى الله عليه وسلم إنكار الباطل قبل البعثة فإن((الفطرة السليمة، هي التي دفعت الرسول صلى الله عليه وسلم إلى التفكير في ملكوت الله قبل البعثة، كما دفعته الفطرة السليمة إلى نبذ ما عليه قومه من عبادة الأصنام والأوثان، وكذلك إلى نبذ الآثام والمعاصي وفعل الموبقات .هذه الفطرة السليمة قادته إلى طريق الهدى والنور))[٢].

الرابع: النشأة اللغوية، تكتسب اللغة والمنطق عادةً من البيئة المحيطة، فالسماع عند العرب ملكة اللّسان، والرسول صلى الله عليه وسلم نشأ في بيئة لغوية عربية نقية خالصة، فمدته هذه البيئة بأسباب الفصاحة والبلاغة والبيان، وذكر الرافعي أن أكبر الشأن في اكتساب المنطق واللغة وفصاحتهما يرجع للطبيعة والمخالطة والمحاكاة، ، فتؤثر النشأة في بيئة لغوية خصبة عمّا سواها، فقد عرف عن العرب في المدن عادة بأن يدفعوا بأبنائهم إلى الرضع الأعرابيات في البادية، حتى يستمدوا فوائد وحسنات جمة من الحياة البدوية؛ فتنشئهم أطفالاً شجعانا، فصحاء اللسان، أصحاء الجسم. وما ذكرته كتب الأدب مشهور فقول عبد الملك ابن مروان لحن الوليد أمرٌ شائعٌ أضرّ بنا في الوليد حيّنا له فلم نلزمه البادية.[٣] وأغلب

---

[١] في ظلال القرآن، سيد قطب(ط١٧)، دار الشروق، بيروت – القاهرة ،١٤١٢ هـ ،ج٢/ ص١٣٨.

[٢] البلاغة النبوية بين النظرية والتطبيق، غالب محمد الشاويش، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٣٠هـ ، ص٧– ٨.

[٣] ينظر العقد الفريد، شهاب الدين بن أحمد بن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ، ج٢ /ص٣٠٩.

الآراء والنظريات التي درست اكتساب اللغة تؤكد أهمية التقليد والمحاكاة لنماذج لغوية سليمة والاحتكاك بهمفمثلاً :((يرى علماء النفس اللغوي أن اكتساب مهارات أي لغة يتطلب وضع المتعلم في حمام لغوي،وقديماً فطن العرب لأهمية البيئة اللغوية فكانوا يرسلون أطفالهم إلى البادية لاكتساب اللغة السليمة))[١]، فالبادية مدرسة العرب في اللغة والصبر والشجاعة والكرم، و ((لا شك أن المورد الأول الذي يرده الطفل فينهل من معينه هو البيئة ، يكتسب منها الطفل لغته وعاداته، والشأن الأكبر في اكتساب المنطق واللغة يكون للبيئة حيث تكون المخالطة والمحاكاة))[٢].

وتحدث الرافعي عن أهم المسببات التي كونت الملَكة اللغوية، وزادت من فصاحتها عند النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر منشأه في بني هاشم في قلب قبيلة قريش، التي تعد أفصح قبائل العرب،كما قرر الجاحظ ذلك قائلاً :((قال معاوية يوما: من أفصح الناس، فقال قائل قوم ارتفعوا عن لخلخانية الفرات، وتيامنوا عن كشكشة تميم، و تياسروا عن كسكسة بكر، ليست لهم غمغمة قضاعة، ولا طمطمانية حمير[٣]، قال من هم؟ قال: قريش))[٤]. وارجع ابن خلدون سبب فصاحتها؛ إلى بعدها عن بلاد العجم من جميع الجهات وكانت:((لغة قريش أفصح اللغات العربية، و أصرحها لبعدها عن بلاد العجم من جميع جهاتهم، فصانها بعدها عن الأعاجم من الفساد، والتأثر بأساليب العجم، حتى إن سائر العرب على نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغتهم في الصحة والفساد، عند أهل الصناعة العربية))[٥]. واتفقت أغلب

---

[١] الأصوات اللغوية عند ابن سينا:عيوب النطق و علاجه، نادر جرادات، الأكاديميون للنشر والتوزيع، ١٤٣٠ هـ، ص١٥٥.

[٢] أضواء على البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٥٢.

[٣] اللخلخانية:هي اللكنة في الكلام و العجمة، الكشكشة: أَيلِبدال الشين من كاف الخطاب مع المؤنث. الكسكسة: إِبدال السين من كاف الخطاب. الغمغمة: كلام غيرِبين ِّطُمطُمانِ يَّةُحمِ يرنشَبَّه كلام حمير بكلام العجم؛ لما فيه من الألفاظ المنكَرة الأعجمية.ينظر الفائق في غريب الحديث، مرجع سابق، ج٣/ص٣١٢.

[٤] البيان و التبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ،ص١٣٧.

[٥] مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق: عبد الله الدويش، دار يعرب، ١٤٢٥هـ ، ص ٤٠٩.

آراء العلماء على فصاحة لهجة قريش، وذكر ذلك ابن فارس فقال:((أجمع علماؤنا بكلام العرب،والرُّواة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم و محالّهم، أنقريشاً أفصح العربألسنةً وأصفاهملغةً . وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب، واصطفاهم، واختار منهم نبيَّ الرحمةمحمداً صلى الله عليه وسلم))[١] و كان العرب يفدون إلى مكة المكرمة للحج، و يقصدون الأسواق القريبة منها للتجارة، مثل "سوق عكاظ" الذي يبسط أمامهم ميادين الشعر والمفاخرة. و يجتمعون فيه لمناشدة الأشعار، ومبادلة الأخبار، كما كان القرشيون يذهبون في رحلة الشتاء لليمن، وفي الصيف للشام، فكانت لهم من هذه المخالطة في الأسفار والأسواق خبرة؛ حتى يختاروا أحسن الألفاظ، وأفصح التراكيب والأساليب و:((كان من سعادته صلى الله عليه وسلم وفضل الله عليه أن ولادته ونشأته وتربيته الأولى كانت في أفصح القبائل العربية، فولد في قريش الذين كانوا حجة في البيان العربي آنذاك ، وكانت لغتهم لغة الأدباء، والشعراء، ففيها كانت تصاغ أفكارهم وقصائدهم وأدعيتهم))[٢]، فيفخر القرشيون بأنهم أفصح القبائل العربية،وأوضحهم نطقًا، وبلغتهم نظمت المعلقات، فجاءت معجزة نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم كلام الله "القرآن الكريم"، في المجال الذي برع فيه قومهو كانت لغة قريش هي اللغة السائدة في الجزيرة العربية وأسيرها على الألسنة وأعظمها فصاحة وبلاغة.

وذكر الرافعي مما أثر في فصاحته صلى الله عليه وسلم منشأه منذ ولادته؛ فكانت رضاعُه في البادية في قبيلة سعد بن بكر،وقد ذُكر أنفًا ما للبيئة والاحتكاك من تأثير فقد:((تلقى الفصاحة في السنوات الأولى من عمره في قبيلة بني سعد، قضى في ربوعها خمس سنوات بعد ولادته مباشرة. و"بنو سعد" إحدى القبائل التي كانت وسط الجزيرة العربية،حيث كانت في مأمن من الاختلاط بالشعوب التي كانت تسكن في أطراف الجزيرة وقضى الرسول

---

[١] الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ،أحمد بن فارس القزويني، دار محمد بيضون، ١٤١٨هـ، ص ٢٨.

[٢] الروائع والبدائع في البيان النبوي، محمد نعمان الندوي، دار الشهاب، لبنان، ١٤٢٠هـ ، ص ٤١.

صلى الله عليه وسلم حياته الأولى بينهم فتربى على الفصاحة، وشب عليها، وظهرت آثار هذه التربية وتلك النشأة في حياته"[١]. وكذلك تقلبه بين القبائل الفصيحة فأخواله من بني زهرة، و زواجه من بني أسد -أهل زوجته السيدة خديجة-، ومهاجرته إلى يثرب حيث بني عمرو-الأوس والخزرج -فكان ذلك مؤثراً في بيانه وفي منطقه وبلاغته:"وإن للنشأة اللغوية التي نشأها صلى الله عليه وسلم تأثيراً في فصاحته، فهو من قريش، وأخواله من بني زهرة، واسترضع في بني سعد بن بكر، وخالط في حياته بطون قريش والأنصار،فكانت هذه النشأة مراناً حياً ، بأحسن الأساليب، وأفصح اللهجات في العرب قاطبة"[١].

ووصف الرافعي أن في قريش وبني سعد وحدهم يكفي ما يقوم بالعرب جملة، كما بين حال العرب مع الفصاحة، فهي أكبر أمرهم والكلام سيد عملهم، ولو كان فيهم أفصح من الرسول صلى الله عليه وسلم لعارضوه به، ولأقاموه في وزنه، ثم لجعلوا من ذلكسبباً لنقض دعوته والإنكار عليه، غير أنهم عرفوا منه الفصاحة على أتم وجوهها، وأشرف مذاهبها، ورأوا له في أسبابها ما ليس لهم ولا يتعلقون به ولا يطيقونه. وتوافق رأي الرافعي مع رأي القاضي عياض عندما وصف منشأ الرسول صلى الله عليه وسلم بين القبيلتين فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها، ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها"[٢]، واستند الرافعي في قضية إثبات البلاغة النبوية على أدلة صحيحة المعنى، وإن كانت ضعيفة السند، كذكره حديث الرسول صلى الله عليه وسلم" أنا أفصح العرب":" قال في اللآلئ معناه صحيح، ولكن لا أصل له، كما قال ابن كثير وغيره من الحافظ وأورده أصحاب الغريب.. ولا يعرف له إسناد".[٣]

---

[١] الحديث النبوي مصطلحة،بلاغته،كتبه، مرجع سابق، ص٦١.

[٢] الشفا بتعريف حقوق المصطفى، مرجع سابق، ج١/ص٧٥_٧٦.

[٣] كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل بن العجلوني، مكتبة القدسي، ١٣٥١هـ، ص٢٠٠ -٢٠١.

ويتضح حكم العلماء وكل إنسان عنده عقل وذوق على أن بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم تقع في قمة البلاغة البشرية، ودون البلاغة القرآنية، ووصلوا إلى هذا الحكم بعد الدراسة العلمية الموضوعية لأسلوبه وأقواله، ومقارنتها بكلام العرب البلغاء والفصحاء. فقد((تهيأت له أسباب الفصاحة والبيان بالضرورة، إذ نشأ – عليه الصلاة السلام- نشأة لغوية في بيئة عربية نقية خالصة، تعبق بألوان الفصاحة التي صقلت موهبته الفذة المتفردة من بني البشر؛ ليتمكن لسانه من الأداء المحكم عما يلهم خاطره ،ويجيش بنفسه من المعاني)).[١]

وقد أُخذ على الرافعي بذكره أسباب البلاغة النبوية أنه أعلى من المكتسبات البشرية والبيئية التي تحجم قضية النبوة، فتكون بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم راجعةً لقوة فطرته اللغوية ونشأته في بيئة فصيحة وليس بسبب نبوته، فوقع في منزلقات تؤدى إلى إذكاء شبهٍ خطيرة، ويستند هذا النقد إلى أن إثبات القدرة اللغوية لمحمد صلى الله عليه وسلم وأن القرآن الكريم من تأليفه هو. بسبب نشأته في هذه البيئة، يكون دليلاً عقلياً على أن بلاغته وفصاحته صلى الله عليه وسلم نتاج العوامل البيئية والشخصية، فهي وليدة الموهبة والتعلم، وليست بسبب النبوة والوحي. فتمثل آراء المستشرقين في محاولة إثباتهم دليلاً عقلياً بأن القرآن الكريم من كلام محمد صلى الله عليه وسلم وليس وحيًا من الله إلى رسوله، كما أن كلامه فتح الباب لآخرين في تضخيم المسألة، حيث قال د.عيد:((فمنهم من أرجع الأمر إلى هذه المكتسبات البشرية خالصة، ومنهم من تردد بين الإشارة إلى الأمرين، فذهب حينًا إلى إثبات هذه المكتسبات البشرية، وذهب حينًا آخر إلى إرجاع الأمر كله للنبوة، وعلى الرغم من أن المحاولة المبكرة لمصطفى صادق الرافعي قد جمعت بين الأمرين معاً ، فإنها قد حملت في طيها

[١] البلاغة في القرآن الكريم والسنة النبوية، مرجع سابق، ص٢٦٨.

بذور هذا المنزلق إلى الإعلاء من شأن هذه المكتسبات البشرية"[١]. ويرد على منتقده؛ بأن الرافعي أشار كثيراً في عدة مواضع من دراسته للبلاغة النبوية أن سبب بلاغته صلى الله عليه وسلم إلهام من الله و وحي النبوة. فقد قال الرافعي:"ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقهويصقِلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهي إن لم تكن من الوحي ولكنها جاءت من سبيله وإن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليله"[٢]،وقالأيضاً :"إن ذلك الجمال الفنيَّ في بلاغته صلى الله عليه وسلم إنما هو أثر على الكلام من روحه النبوية الجديدة على الدنيا وتاريخها".[٣]

و أيضاً دائماً يرجع السبب في بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الوحي والنبوة فقال: "إنالنّبو ة أكبر السبب في ذلك الوضوح البياني العجيب "[٤]. وقال:"ولا تمنع أن يكون من فصحاء العرب من يشاركه فيها أو في بعضها: فإنها مظاهر للكلام لا غير؛ وإنما الشأن الذي انفرد به صلى الله عليه وسلم أنه منزه عن النقص الذي يعتري الفصحاء من جهتها أحيانا كثيرة وقليلة: لأنها طبيعية فيه؛ ولأن من ورائها تلك النفس العظيمة الكاملة التي غلبت على كل أثر إنساني يصدر عنها، حتى قرت أعمالها على نظام لا تعد فيه الفلتة، ولا يؤخذ عليه مأخذ، وحتى كأن كل عمل منها هو كذلك في أصل التركيب وطبع الخلقة وهذه خصوصية ينفرد بها الأنبياء صلوات الله عليهم"[٥].والأحاديث النبوية الهدف منها تحقيق الغايات التشريعية، فهذا ما نص عليه الرافعي عن الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال:"فعمله أن يهدي الإنسانية لا أن يزين لها، وأن يدلها على ما يجب في العمل لا ما يحسن

---

[١] مقدمة في نظرية البلاغة النبوية السياق وتوجيه دلالة النص، عيد بلبع، بلنسيات للنشر والتوزيع، ١٤٣٩هـ، ص٥٧.

[٢] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٢٧.

[٣] وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، المكتبة العصرية بيروت، ٢٠١٣م. ج٣/ ص٤ .

[٤] وحي القلم، مرجع سابق،ج٣/ص١٥.

[٥] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٤٠.

في صناعة الكلام، وأن يهديها إلى ما تفعله لتسمو به لا إلى ما تتخيله لتلهو به...ثم هو – صلى الله عليه وسلم– ليس كغيره من بلغاء الناس: يتصل بالطبيعة ليستملي منها؛ بل هو نبي مرسل متصل بمصدرها الأزلي ليملي فيها))[١]،وكان يحترم خصوصية الخطاب النبوي:((إن الكلام في وصف الطبيعة والجمال والحب على طريقة الأساليب البيانية، إنما هو باب من الأحلام؛ إذ لا بد فيه من عيني شاعر، أو نظرة عاشق؛ وهنا نبيٌ يُوحى إليه، فلا موضع للخيال في أمره، إلا ما كان تمثيلاً يراد به تقوية الشعور الإنساني بحقيقة ما في بعض ما يعرض من باب الإرشاد والموعظة))[٢].

كما أن الرافعي في مواضع عدة حاول الرد على جهلة المستشرقين، وهذا يدل على حذره من الوقوع في مثل هذه المنزلقات، فوصف الفن البديع بأنه نادراً ما يأتي في الكلام النبوي:((فلا يراد منه استجلاب العبارة، ولا صناعة الخيال، فيظن من لا يميز ولا يحقق أن خلو البلاغة النبوية من فن وصف الطبيعة والجمال والحب، دليل على ما ينكره أو يستجفيه، ويقول: بلله وسذاجة، ونحو ذلك مما تشبهه الغفلة على جهلة المستشرقين ومن في حكمهم من ضعاف أدبائنا وجهلة كتابنا، وإنما انتفى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم؛لانتفاء الشعر عنه، وكونه لا ينبغي له ... فعمله أن يهدي الإنسانية لا أن يزين لها، وأن يدلها على ما يجب في العمل لا ما يحسن في صناعة الكلام))[٣]، وكذلك الرافعي لن يستطيع أن يتجاهل الأسباب المادية والشخصية في التكوين اللغوي للرسول صلى الله عليه وسلم فكتب السيرة النبوية معظمها أثبتت هذه الحقائق. على الرغم من حماسة الرافعي الأدبية المعروفة؛ إلا أنه تكلم بإعجاب عن البلاغة النبوية التي صنعتها هبة الله لنبيه كما هيأ لها من الأسباب البيئية والشخصية.

---

[١] وحي القلم، مرجع سابق،ج٣/ص١٨.

[٢] وحي القلم، مرجع سابق، ج٣/ص١٨.

[٣] وحي القلم، مرجع سابق، ج٣/ ص٧٢-٧٣.

فرسول الله صلى الله عليه وسلم أُرسل إلى أمة صناعتها البيان والكلام، تتباهى به وببلاغته، فكانت معجزته فيما أبدع فيه قومه، فكلامه صلى الله عليه وسلم وحي من الله عز وجل: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[١] فأعده الله لأداء هذه الأمانة.

والرافعي ذكر أهم أسباب تفوق البلاغة النبوية على ماسواها، فبدأها بأنها توقيف وتوفيق وتيسير من الله. ثم ذكر علمه صلى الله عليه وسلم بلهجات القبائل العربية، وقوة الفطرة اللغوية التي فطر الله عليها رسوله صلى الله عليه وسلم و النشأة اللغوية في أفصح القبائل العربية، وأنها أهم مؤهلات اختصاصه صلى الله عليه وسلم بهذه البلاغة التي اعتلت فوق عرش البلاغة الإنسانية، وأن هذه الأسباب البشرية التي توافرت للرسول صلى الله عليه وسلم من عوامل النشأة والتربية والبيئة والنسب، توافرت لكثيرين غيره، وإنما تفرد صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة.

---

[١] سورة النجم ، الآية ٣-٤.

المبحث الثاني : صفة منطقه صلى الله عليه وسلم وإحكامه ونفي الشعر عنه.

● صفة منطقه صلى الله عليه وسلم وإحكامه:

كان للرسول صلى الله عليه وسلم حظ في أصحابه و أتباعه، لم يحظ به غيره من البشر؛ فقد وصفوا لنا كل جزء من أجزاء حياته، ونقلوا عنه دعوته وسيرته وصفاته، وذلك يدل على حبهم وحسن اقتدائهم به، ((ويبدو لنا أنه ليس في التاريخ العربي كله من جمعت صفاته، وأحصيت شمائله، وتواتر النقل بذلك على صحة إسنادها غير محمد بن عبد الله بن عبد المطلب النبي العربي القرشي الذي ينتسب إلى عدنان صلى الله عليه وسلم)).[١]

ومن أهم السمات الفكرية والجمالية للرسول صلى الله عليه وسلم إحكام منطقه، وقد ذكر الرافعي وصف هند بن أبي هالة عندما سأله الحسن بن علي عن صفته صلى الله عليه وسلم وعندما وصف له منطقه،قائلاً : صف لي منطقه؟ قال:((كان رسول الله متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة))[٢]، و يظهر معنى الحزن هنا كما قال ابن تيمية في توضيحه:((وأما الحزن فليس المراد به الحزن الذي هو الألم على فوت مطلوب، أو حصول مكروه؛ فإن ذلك منهي عنه ولم يكن من حاله، وإنما أراد به الاهتمام والتيقظ لما يستقبله من الأمور، وهذا مشترك بين القلب والعين))[٣]. ويتضح السبب في وصف هند بن أبي هالة للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه متواصل الأحزان؛ لأنه حمل مسئولية أمته التي أُرسل إليها، وأعباء تبليغها، فحزنه كان على إعراض قومه عن الحق وطول التفكير في أمرهم:((لأن المسئولية الملقاة على عاتقه صلى الله عليه وسلم مسئولية ضخمة: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ*قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً*نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً* أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ

---

[١] أدب الحديث النبوي، بكري شيخ أمين (ط٧) ، دار العلم للملايين، لبنان، ٢٠٠٥م، ص ١٠٣.

[٢] المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني (ط٢)،مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ١٥٧. مختصر الشمائل المحمدية، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني،المكتبة الإسلامية، الأردن، ٢٠١٠م، ص٢٠.

[٣] مجموع الفتاوى، تقي الدين ابن تيمية (ط٣)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،المدينة المنورة، ١٩٩٥م، ص٢٢١.

﴿قَوْلاً ثَقِيلاً﴾[١]. استشعر عليه الصلاة والسلام ضخامة هذه التبعة فكيف يهدأ له بال)).[٢]

ويبدو أنه وقع خلاف في هذا الأمر، فقد نفى ابن القيم هذا الوصف بأنه صلى الله عليه وسلممتواصل الأحزان قائلاً :((وكيف يكون متواصل الأحزان؛ وقد صانه الله عن الحزن على الدنيا وأسبابها، ونهاه عن الحزن على الكفار، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فمن أين يأتيه الحزن؟. بل كان دائم البشر، ضحوك السن))[٣]. وكان صلى الله عليه وسلم يحب الفأل ويعجبه، ويكره الطيرة والتشاؤم.

وقال هند بن أبي هالة:((لا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقة[٤]))[٥]، فيظهر أنه صلى الله عليه وسلم لا يتكلم إلا فيما يعنيه، وفيما يرجو ثوابه، و استنتج الرافعي أن صمت الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الحديث؛ لأن لسانه خلفه عقلٌ راجحٌ هو الغالب عليه والمصرف له، فمنطقه لا يشوبه لبس ولا نقص يمر بالفكر قبل الفم، وإحكامه بأسباب طبيعية لا يتكلف لها.[٦]

ويظهر هديه في الكلامكاملاً ، بحيث يخرج كل لفظة وعليها طابعها من النفس ففكره دقيق جداً و عميق، وإذا تحدث فحديثه كلام مفصل، مبين يعده العاد، كما استدل الرافعي

---

[١] سورة المزمل ، الآية : ١ــ٥ .

[٢] أضواء على البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٦٤.

[٣] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد ابن قيم الجوزية(ط٣)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦م، ج١/ ص٥٠٢.

[٤] الشدق: جانب الفم مما تحت الخد.أي لا يقتصر في كلامه على تحريك الشفتين ، بل يستعمل جميع فمه.

[٥] المعجم الكبير، مرجع سابق ، ص ١٥٧. مختصر الشمائل المحمدية، مرجع سابق، ص٢٠.

[٦] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق ، ص٢٣٩.

بقول أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-:((أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لَأَحْصَاهُ))[1].

ويذكر الرافعي أن من صفته صلى الله عليه وسلم إحكام الأداء، فقد كان ضليع الفم،أي كان يستعمل جميع فمه إذا تكلم، فلا يقتصر على تحريك الشفتين فقط، فالكلمة تملأ فمه، والعرب تمدح سعة الشدق؛ فالسعة تدل على جهارة الصوت، وتحقيق الحروف،وسلامة النطق وقوته، ووضوح المعنى وحضور الذهن واجتماعه؛ فطبيعة لغتهم ومخارج حروفها تقتضي هذا كله ولا تحبسُ في النطق ولا تبلُغ تمامها إلا به، وقد كره العرب التكلف غير الطبيعي في صناعة الصوت و الكلام ، وذمه وحذر منه صلى الله عليه وسلم:((وفي الوقت الذي نزه الله تعالى منطق نبيّه عليه الصلاة والسلام عن عيوب النطق الخلقية فإنه عليه السلام كره من هذه العيوب ما كان متكلفاً أيضاً في سبيل إصابة طرف من الفصاحة! ولهذا كره رسول الله تلك الدلائل المصطنعة على الفصاحة،فذم المتشدّقين والمتفيهقين))[2]. فهي مبالغة لا تتفق مع طبيعة اللغة ومع أسبابها وعللها، وتنفي عنها طبيعة اللين والعذوبة، وتجمع عليها تعقيد الصوت، واستكراهه. فكانت محاسن الصفات النبوية طبيعية لم يتكلفها، وقد وصف كذلك بحسن الصوت، وهو متممها ومحليها؛ فإن اللغة العربية تختص بمعاني الأوضاع الموسيقية في خفة الوزن، وصحة الاعتدال.

قال الرافعي في ذلك:((كانت الفصاحة راحة إلى حسن الملاءمة بين الحروف باعتبار أصواتها ومخارجها، حتى تستوي في تأليفها على مذاهب الإيقاع اللغوي...وذلك أمر لم يكن علم أولئك القوم به على الهاجس والظن. أوالمقاربة والتقدير إنما هو أساس منطقهم، وعتاد

---

[1] (متفق عليه) صحيح البخاري ،ح:٣٣٥٦،كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، ج٤/١٩٠. صحيح مسلم، ح٢٤٩٣، كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، ج٤/٢٢٩٨.

[2] سمات البلاغة النبوية بين الجاحظ و الرافعي و العقاد، عدنان محمد زرزور، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة، العدد الخامس ، ص٢٥٦، عام ١٤١١هـ.

لغتهم، فكانوا سواء بالمعرفة به وفي الحاجة إليه، من استوفاه منهم اتسقت له الفضيلة البينة، ومن قصر فيأخمله تقصيره حتى كأنما انطوت حقيقته العربية في فمه"[١]. ويجب التفريق الحاسم بين كون معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم الكبرى بيانية، وبين كون هذا البيان المحمدي جاء بلغة العرب؛ فلقد كانت معجزة النبي الكبرى بيانية لأنها إنسانية؛ وليس لأنها نزلت في قوم بلغاء أو بضاعتهم البيان.[٢]

وقال هند بن أبي هالة:"ويتكلم بجوامع الكلم؛ فضلاً لا فضول فيه ولا تقصير"[٣]، أي بالكلم الجوامع لبانٍ قليلة ومعانٍ كثيرة وقد خص الرسول صلى الله عليه وسلم بجوامع الكلم، فالتعبير عن الأفكار الواسعة بأقل عدد من الألفاظ تؤدي الغرض من غير إخلال بالمعنى هي من صفات المنطق النبوي، فعرف:"أنه صلى الله عليه وسلم كان يتكلم بالقول الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني"[٤]. و يتكلم في حال كان كلامه كلاماً مفيداً واضحاً جامعا. ولا يكون خلياً من الفائدة فيكون مملا. و لا يكون فيه تقصير عن أصل معناه، وما يتعلق بمبناه من منافعه الزائدة فيكون مخلا. فالبلاغة هكذا بين الإيجاز المخل والإطناب الممل، فكانت محاسن الصفات النبوية طبيعية لم يتكلفها، وقد وصف كذلك بحسن الصوت، وهو متممها ومحليها؛[٥]فإن اللغة العربية تختص بمعاني الأوضاع الموسيقية في خفة الوزن، وصحة الاعتدال.

---

[١] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٣٨.

[٢] سمات البلاغة النبوية بين الجاحظ و الرافعي و العقاد، مرجع سابق، ص٢٦٠.

[٣] المعجم الكبير، مرجع سابق، ص ١٥٧. مختصر الشمائل المحمدية، مرجع سابق، ص٢٠.

[٤] فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد الباقي- محب الدين الخطيب،دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ،ج١٣/٢٤٧.

[٥] شرح الشفا للهروي، مرجع سابق، ج١/ص٣٤٨.

وقال هند بن أبي هالة:((مثاً ليس بالجافي ولا المهين[١]، يعظم النعمة وإن دقت لا يذم شيئا، لم يكن يذم ذواقاً ولا يمدحه))[٢]سهلاً لين ّ الخلق؛ قال تعالىمادحاً وواصفاً خ ُلق الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم﴾[٣]. فخلقه لم يكن بالفظّ الغليظ الطبع الجافي لأصحابه، ولا الحقير الضعيف، وكان لا يستصغر شيئً ، وإن كان صغيراً ، لا يذم من نعمه سبحانه وتعالى أوأحداً من خلقه،و لا يصف الطعام بطيب ولا بفساد وإن كان فيه؛ لنزاهة قلبه عن الرغبة إلى غير ربه.

وقال هند بن أبي هالة:((وكان لا يقام لغضبه إذا تعرض للحق شيء حتى ينتصر له، و لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها))[٤]، ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها، إلا إذا نيل من الحق أو أهمل فإنه يغضب وينتصر للحق. فلم يكن يغضب لنفسه لحظها، ولا ينتصر لها، بل كان غضبه لله وحينما تنتهك حرماته.

وقال هند بن أبي هالة:((وإذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح))[٥]، حتى يصل مقصده ويفهمه المتلقي ويبعد الغموض، فإذا تعجب من شيء عظم وقعه عنده وجاء على خلاف المعهود قلب كفه،تأكيداً بالجمع بين تحريك اللسان وبعض الأركان على أن لهوقعاً في الخطب والشأن، وإذا غضب لم يكن ينتقم ويؤاخذ، ويقنع بالإعراض عمن أغضبه. فهنا يبين كيفية اتصال كلامه بيده وجسده،((وكان لحركته وإشارته موضع كبير في إجادة الأداء، فحركته معبرة تستلفت النظر وتنبه الغافل وتعين على الحفظ والتذكر. فإذا أراد ذكر القلب

---

[١] الدماثة : سهولة الخلق، والجفاء : الغلظة. لسان العرب، مرجع سابق، ص٤٥٤. ص٥٠٨.

[٢] المعجم الكبير، مرجع سابق ، ص ١٥٧. مختصر الشمائل المحمدية، مرجع سابق، ص٢٠.

[٣] سورة القلم ، الآية : ٤ .

[٤] المعجم الكبير، مرجع سابق، ص ١٥٧. مختصر الشمائل المحمدية، مرجع سابق، ص٢٠.

[٥] المعجم الكبير، مرجع سابق، ص ١٥٧. مختصر الشمائل المحمدية، مرجع سابق، ص٢٠.

مثلاً أشار إلى صدره))[١]، وتتضح قدرة الإشارة على حمل المعاني، وتكوين الدلالات. ويعرف بعلم النفس الحديث ب"لغة الجسد". [٢]

وقال هند بن أبي هالة:((وإذا فرح غض طرفه وجل ضحكه التبسم، ويفتر[٣] عن مثل حب الغمام[٤].))[٥] فعند الفرح يغضّ النظر؛ دليل على البعد عن الكبر كما يرخي رأسه متواضعاً لخالقه عز وجل. والابتسامة تعدأقلّ مقدار الضحك وأدناه فهي من غير خروج صوت وقهقهة. ويظهر عند التبسم عن أسنانه المتكاملة[٦]، و((ندرك أن قيمة ذكر أسنانه عليه السلام في وصف ((هند))؛لأن للأسنان..دخلاً كبيراً في سلامة النطق وجودة الأداء خاصة أن محمداً -عليه الصلاة والسلام -مرسل إلى قوم لغتهم العربية فصاحة وبيان))[٧]، ويذكر الرافعي أن هذه الصفات لمنطق الرسول صلى الله عليه وسلم الظاهرة دلالة على روحه الداخلية،قائلاً :((الأساس الذي تُبنى عليه فراسةُ الكمال في نوع الإنسان من دلالة الظاهر على الباطن وتحصيل الحقيقة النفسية التي هي بطبيعتها روحُ الإنسان في أعماله))[٨]، فمعرفة أخلاق الناس الباطنة من صفاتهم الظاهرة، يقصد به العلم المعروف عند العرب بالفراسة. ومزج صفات المنطق النبوي بعلم النفس عندما قال الرافعي:((واستخرج الصفات النفسية التي صحّ من مجموعها أسلوبُ الكلام على هيئته وجهته))[٩]، وحين قال: ((وتحصيل الحقيقة

---

[١] الحديث النبوي مصطلحه.بلاغته.كتبه، مرجع سابق، ص٦٤ .

[٢] لغة الجسم في السنة النبوية"دراسة موضوعية"، محمد شريف الخطيب، رسالة ماجستير الجامعة الأردنية، ٢٠٠٦م. ص١٣.

[٣] ويفترّ : أي يبدي أسنانه ضاحكاً . ينظر لسان العرب، مرجع سابق، ص٤٥٩.

[٤] حب الغمام: أي البرد. ينظر لسان العرب، مرجع سابق، ص٣٤٦.

[٥] المعجم الكبير، مرجع سابق ، ص ١٥٧. مختصر الشمائل المحمدية، مرجع سابق، ص٢٠.

[٦] شرح الشفا، مرجع سابق، ج١/ ص٣٤٩.

[٧] أضواء على البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٧٢- ٧٣.

[٨] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٣٥.

[٩] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٣٣.

النفسية التي هي بطبيعتها روح الإنسان في أعماله"[١]وقال:" فإن من الأمزجة العصبي البحت، والمنحرف إلى مزاج آخر"[٢] .

إن الكلام النبوي منزه عن العيوب التي تعتري الفصحاء، فيظهر هذا الفرق الذي ميز البيان المحمدي من جهة إحكام المنطق وامتلائه، فإن أحدهم يكون مهيأً للفصاحة من أصل الخلقة، وبطبيعة النشأة، لكن طباعه لا تتوافق إليه في كل منطق وعبارة، فهذه العيوب والخصال لا تكون لأنفس الأنبياء-صلوات الله عليهم-. ويرى الرافعي أن الأسلوب العصبي الممتلئ قلما يتفق منه إلا القليل لأبلغ الناس وأفصحهم. ولم يعرف أسلوباً لأحد البلغاء هذه صفته،فقد قرأ كثيراً وتدبر واستخرج من أقوال الفصحاء والطبقة العصبية على حد قوله،فقرأ كثيراً لعبد الحميد، وابن المقفع، والجاحظ، فلم يجد غير كلام أفصح العرب صلى الله عليه وسلم الذي أمده الله تعالى بعنايته.

وبرهن الرافعي على ذلك؛ فالله عز وجل خصه وعلمه، قال تعالى:﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[٣]، واستدل الرافعي بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم"أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي "[٤]، وبحديث "أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بَيْدَ أَنِّي من قُرَيْشٍ"[٥]. كلا الحديثين معناهما صحيح، لكن لا يعرف لهما إسناد ثابت. واستدل بكلام الجاحظ:"ولعل بعض من يتسع في العلم، ولم يعرف مقادير الكلم، يظن أنّا قد تكلفنا له من الامتداح

---

[١] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٣٥.

[٢] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٣٦.

[٣] سورة النساء، الآية : ١١٣.

[٤] حديث ضعيف،ابن تيميه، ح ١، أحاديث القصاص، تحقيق :أحمد باجور، ،ص٢٧.رواه ابن السمعاني وهو في ضعيف الجامع للألباني،ح ٢٤٩. مجموعة الرسائل الكبرى ،٣٣٦/٢. معناه صحيح ولكن لا يعرف له إسناد ثابت وأيده السيوطي والسخاوي.كشف الخفاء ٧٠/١.

[٥] حديث ضعيف ،العجلوني ، ح ٦٠٩،كشف الخفاء ومزيل الالتباس، ص٢٣٢.

والتشريف ومن التزيين والتجويد ما ليس عنده، ولا يبلغه قدره. كلا والذي حرم التزيد على العلماء، وقبح التكلف عند الحكماء، وبهرج الكذابين عند الفقهاء، لا يظن هذا إلا من ضل سعيه!؟»[١].

فالكلام النبوي تجده قصداً متسايراً يشد بعضه بعضاً ، وهذا لا يتأتى إلا بعناية من الله تأخذ على النفس مذاهبها الطبيعية، إذ الاستحالة راجعة إلى الطبع والجبلة وخلق الفطرة مما لا يتغير في الناس،إلا أن يخرق الله به العادة على وجه الإعجاز ليقضي أمراً من أمره.

ويذكر الرافعي أن هذه الصفات الخلقية تومئ إلى وظيفة مهمة في فصاحته صلى الله عليه وسلم النادرة، فإنه ضليع الفم، يستعمل جميع فمه إذا تكلم، طويل السكوت، ولم يتكلم في غير حاجة، فإذا تكلم لم يسرد سردا، بل فصل ورتل وأبان وأحكم، فلا جرم كان منطقه صلى الله عليه وسلم على أتم ما يتفق في طبيعة اللغة ويتهيأ لها إحكام الضبط وإتقان الأداء: لفظ مشبع، ولسان بليل، وتجويد فخم، ومنطق عذب، وطبع يجمع ذلك كله، مع تثبت وتحفظ وتبيين وترسل.كما علل الرافعي كمال منطق الرسول صلى الله عليه وسلم؛ بأنه منطق عقلاني لا يشوبه لبس ولا نقص يمر بالفكر قبل الفم، وإحكامه بأسباب طبيعية لا يتكلف لها، فقد شاركه بعض فصحاء العرب بنشأة الأسباب لكنه انفرد بالنبوة. وهنا يظهر الرافعي متأثراً بكلام القدماء عن فصاحته صلى الله عليه وسلم. [٢]،«وكان لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم الجذابة أثر كبير في كون الأداء قد بلغ الذروة، فقد ورد في وصفه صلى الله عليه وسلم أن له هيبةً وجلالاً ، فإذا تكلم بين أصحابه كانوا كأن على رؤوسهم الطير»[٣].

---

[١] البيان والتبيين، مرجع سابق، ج٢/ ص١٤.

[٢] ينظر إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٣٩.

[٣] الحديث النبوي مصطلحه.بلاغته. كتبه، مرجع سابق، ص٦٥.

نفي الشعر عن الرسول صلى الله عليه وسلم

الرافعي ابتدأ حديثه عن نفي الشعر عن الرسول صلى الله عليه وسلم بأن هذا النفي جاء من السماء حين قال:((تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن الشعر، وأنه لا ينبغي له،فإن الخبر في ذلك مكشوف متظاهر، والروايات صحيحة متواترة، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ﴾[١]))[٢]، ومعنى هذه الآية:((يقول تعالى مخبرًا عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إنه ما علمه الشعر،"وما ينبغي له" أي:وما هو في طبعه، فلا يحسنه ولا يحبه،ولا تقتضيه جبلته))[٣]. ويقول الطنطاوي في معنى"وما ينبغي له": ((أي: ما علمناه الشعر وإنما علمناه القرآن، فقد اقتضت حكمتنا أن لا نعجل الشعر في طبعه صلى الله عليه وسلم ولا في سليقته، فحتى لو حاوله- على سبيل الفرض- فإنه لا يتأتى له، ولا يسهل عليه ولا يستقيم مع فطرته))[٤]، والضمير في "علمناه"عود لمعلوم من مقام الردّ ،وقد بني الرد عليهم على طريقة الكناية بنفي تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم الشعر، لما في ذلك من إفادة أن القرآن معلَّم للرسول صلى الله عليه وسلم من قِبل الله عز وجل،وأنه ليس بشعر كالذي يقوله الشعراء.[٥] فالرافعي يرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو أفصح من نطق بالضاد، لا يقيم الشعر ولا يكمل إنشاد بيت واحد بتمام لفظه و وزنه، فإما أن ينشد صدر البيت وحده، أو ينشد عجزه وحده،[٦] فقد أنشد مرة صدر البيت المشهور للبيد بن ربيعة

---

[١] سورة يس، الآية ٦٩.

[٢] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٤٧.

[٣] تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق:محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٥٢٣.

[٤] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد الطنطاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٨م، ج١٢/ ص٥١.

[٥] التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٢٣/ ص٥٦.

[٦] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٤٧.

صحيحاً، وهو قوله:أَلا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلا اللَّهَ بَاطِلٌ "[١]ولكنه سكت عن عجزه "وكل نعيم لا محَالة زائل".كما أنشد البيت المشهور لطرفة بن العبد على هذه الصورة:

ستُبْدي لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ..ويأتيكَ مَن" لم تزوِّدِ " بالأخبارِ [٢]

وإنما هو: " ويأتيك بالأخبار من لم تزود . وكذلك أنشد بيت العباس بن مرداس فقال:

أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعَبِيدِ بَيْنَ الأَقْرَعِ وَعُيَيْنَةَ .

فقال الناس: بين عيينة والأقرع. فأعادها صلى الله عليه وسلم:"بين الأقرع وعيينة".كسر الوزن كذلك، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه:((بأبي وأمي أنت لم يقل كذلك، ولا والله ما أنت بشاعر وما ينبغي لك)).[٣] فهل عمد صلى الله عليه وسلم إلى تغيير الألفاظ، وكسر الأوزان؟:(إن محمداً صلى الله عليه وسلم عربي قرشي، فصيح، سليم الذوق، قوي البيان، يعرف البيت المستقيم الوزن، وغير المستقيم،ويعرف أنه يغير ألفاظ البيت عمداً ، وأنه بذلك يكسره ولا يقيمه، والدليل على ذلك إصراره على إعادة البيت الذي صححه له الناس مكسوراً))[٤]. ويعلل الرافعي عدم إنشاده الشعر بأن هذا تدبير الخالق عز وجل فمنع نبيه من تصحيح وزن الشعر، وجعل لسانه لا ينطلق به؛ فقد نصبه منصب البيان للدين، لأنه تعالى يعلم من غيب المصلحة أنه صلى الله عليه وسلم أقام وزن بيتٍ مال به عمود الدين. ويرى أنه لم يمنع إقامة وزن الشعر في إنشاده إلا لأنه منع من إنشائه، فلو استقام له وزن بيت واحد، لغلبت عليه فطرته القوية فخرج بذلك إلى الاتساع بالقول وإلى أن يكون

---

[١] (متفق عليه)صحيح البخاري، ح٣٨٤١ ، كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية، ج٥/٤٢. صحيح مسلم، ح٢٢٥٦ كتاب الشعر، ج٤/١٧٦٨.

[٢] الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، ١٣٧٥هـ. ص٤٢٤-٤٢٥.

[٣] ينظر دلائل النبوة، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م، ص١٨١-١٨٢.

[٤] أدب الحديث النبوي، بكري شيخ أمين (ط٧)، دار العلم للملايين، لبنان، ٢٠٠٥، ص١٢١.

شاعراً [١] وقال ابن عاشور في ذلك:((وربما أنشد البيت فغفل عن ترتيب كلماته فربما اختل وزنه في إنشاده، وذلك من تمام المنافرة بين ملكة بلاغته وملكة الشعراء))[٢]. فوافق رأي الرافعي رأي أغلب الأدباء في عدم إنشاد الرسول صلى الله عليه وسلم،كما ذكر الجرجاني تعليلاً آخر فقال:((ليس المنع في ذلك منعتنزيهٍ وكراهةٍ بل سبيل الوزن في منعه عليهالسّلام إياه سبيل الخطّ حين جعل -عليه السلام- لا يقرأ ولا يكتب في أن لم يكن المنع من أجلكراهةٍ كانت فيالخطّ بل لأن تكونالحجّة أبهر وأقهر والدلالة أقوى وأظهر))[٣]، ويرى الرافعي أن منع الشعر إنما أخذ به صلى الله عليه وسلم منذ نشأته، فقد كانت سجيته تأبى صناعة الشعرطبعاً وشرعاً ، فأبغضه ونفر عن تعاطيه وانصرف عما يزين الشيطان منه. ولا يعرف أحد من العرب لا يعلم الشعر وتأليفه كالرسول صلى الله عليه وسلم مع تأصله في فطرة العرب، ونزوعهم إليهبالعِرق، ونشأة الناشئ منهم على أسبابه من طبيعة الأرض وطبائع أهلها فقد كان حكمتهم وسياستهم وديوان أخبارهم وآدابهم، بل كان عبادة أرواحهم لطبيعة أرضهم، والصلة المحفوظة بينهم وبين ماضيهم، والمعروف عن الناس أنه قد يتتعتع المرء في البيت من الشعر ينساه أو ينسى الكلمة منه؛ فلا يقيم وزنه لهذه العلة فوزن الشعر بتنسيق ألفاظه، فمن أدى هذه الألفاظ على وجهها الصحيح فقد أقام الشعر على وجهه. وهذا مختلف عما أثر عنه صلى الله عليه وسلم، فلم ينشدبيتاً تاماً على وزنه. [٤] واستدل الرافعي بقول الرسول صلى الله عليه وسلم:((لَنْمَثَلَ أَبَتُغِّضَتإِلْيَالأَّوَوْثَانَبُغِّضَإِلَيالشِّعْرُوَلَمْأَبِهُشَمَّيْءٍمِكَّالانَجْتَاهِلِتَيَقْعَلُهُإِرلاَّتَّفَيَعْصَمَنِيالَّهُهُمَنِثُمَّأُعُدْ))[٥]. كما ذكر

---

[١] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٤٧.

[٢] التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٢٣/ ص٦٣.

[٣] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني(ط٣)، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠١م، ص٣٧.

[٤] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٤٧.

[٥] المستدرك على الصحيحين للحاكم، ح٧٦١٩، كتاب التوبة والإنابة، ج٤/ص٢٧٣.ورواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي . ورواه القاضي عياض في الشفا.

أنه جرى على لسانه صلى الله عليه وسلم مما صح من الرجز ضربان، وهما المنهوك و المشطور. أما الرجز المنهوك: فهو الذي حذف ثلثاه وبقي ثلثه. كقوله صلى الله عليه وسلم:

أَنَا النَّبِي لَا كَذِب ْ ...أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِب ْ [١]

وأما الرجز المشطور: فهو جعل البيت ثلاثة أجزاء، فيتحد العروض والضرب. وهو أكثر رجز العرب كقوله صلى الله عليه وسلم:

هَل أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ [٢]

ويتضح أن اتفاق الوزن في بعض حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم لا يعني أنه شاعر:((فإصابته الوزن أحيانا لا يوجب أنه يعلم الشعر، وكذلك ما يأتي أحيانا من نثر كلامه ما يدخل في وزن، كقوله يوم حنين وغيره، فقد يأتي مثل ذلك في آيات القرآن، وفي كل كلام، وليس ذلكشعراً ولا في معناه))[٣]. ويرى الرافعي أنه كان له في الرجزخاصةَ دون الشعر، لأن الشطرين منه كالشطر الواحد في الوزن والقافية، لا يبين أحدهما من الآخر؛ وبخاصة في هذين الضربين المنهوك والمشطور، وهما بعد ذلك كالفاصلتين من السجع، لا يمتازان منه في الجملة إلا بإطلاق حركة الروي، ومن أجل هذه العلة لم يتفق له في غيرهما وذكر مسبقاً أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقيم الشطر الواحد من الشعر فإذا انتقل إلى الشطر الثاني كسره، وخرج بذلك إلى أن يجعل البيت كأنه جملة مرسلة من الكلام، فأما البيت الواحد من الرجز فليس في العرب جميعاً من يعدهشعراً ، أو يأذن لوزنه، إنما هو كلام

---

[١] (متفق عليه)صحيح البخاري ، ح:٢٨٦٤ ، كتاب الجهاد والسير ، باب من قاد دابة غيره في الحرب ،ج٤/ص٣٠. صحيح مسلم ، ح١٧٧٦،كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، ج٣/١٤٠١.

[٢] (متفق عليه)صحيح البخاري ،ح: ٦١٤٦، كتاب الأدب ، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، ج٨/ص٣٥.صحيح مسلم، ح١٧٩٦،كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين،ج٣/١٤٢١.

[٣] الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي (ط٢)، تحقيق:حمد البردوني – إبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ .ج١٥/ص٥٢.

كالكلام لا غير فيتفق للصبيان والضعفاء يتراجزون به في عملهم. والأوزانفطريةٌ في العرب، فهي في الرجز، وهي في السجع، وهي في الشعر جميعاً، ولم يعلم أنه صلى الله عليه وسلم اتفق له في الرجز أكثر من بيت واحد.[١] والرجز وزن كالسجع وليس بشعر إنما هو الأصل في اهتدائهم إلى الشعر،وعُلل قول الرسول صلى الله عليه وسلم للرجزبأنه ليس حلالاً ، ولا غيره حراما.بل لأن الرجز في عُرف العرب أهون الشعر، وإن فحول الشعراء لا يعدون الرجز شعرا، ولا الرجاز شعراء، وسموه ب"حمار الشعر"وهو هين في نفوس الفصحاء، فسهل قوله وقيمته عندهم ضعيفة. فهو لا يعدو إقامة ضرب من الوزن على هيئة "مستفعلن"ويسمح بهذه التفعيلة مادامت في الرجز أن تجزأ، وتقص، ويزاد فيها، وينقص، بل إن الرجز يتقبل من قائله التجزيء، والتشطير، والإنهاك وكل علة وضعف[٢]. وكذلك الرجز يتفق للكثير من الذين لا يقال لهم شعراء، ولم يقصدوا به الشعر. وقد ذكر المقريزي أنه((ما وافق وزنه وزن الشعر، ولم يقصد به الشعر، ليس بشعر، إذ لو كانشعراً لكان كل من نطق بكلام موزون من عامة الناس الذين لا يعرفون الوزن، يصدق عليه أنه شاعر، ولم يقل بهذا أحد من العقلاء.))[٣]

ثم ينتقل الرافعي إلى أنه صلى الله عليه وسلم لم يقول الشعر منذ نشأته الأولى مع أن أهليته البلاغية كانت مجتمعة كاملة، ولكنه يحب أن يستنشده ويثيب عليه، ويمدحه متى كان في حقه ولم يعدل به إلى ضلالة أو معصية؛ فهذا تدبير الله تعالى له. ونصف الرسول صلى الله عليه وسلمأنه حكيمٌ فموقفه من الشعر يبين مدى دقة ميزانه وقياسه للأمور، فميزانه ما أرسله الله به من الهداية والخير لكافة الناس. ويؤكد الرافعي أن منع الرسول صلى الله عليه وسلم من قول الشعر تدبير محكم من الله عز وجل، أراد به تحويل فطرته عن الشعر وقوله حتى لا تنزع به العادة منزعا، فبغضه لإنشاء وصناعة الشعر كبغضه لعبادة الأصنام، فهذا

---

[١] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٤٨-٢٤٩.

[٢] أدب الحديث النبوي، مرجع سابق ، ص١٢١.

[٣] إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: محمد النمسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م، ص٩٨.

صنع الله له نحو تكوين وتهذيب فطرته وتحويل طبعه. وعلل الرافعي سماع الرسول صلى الله عليه وسلم للشعر ومدحه؛ حتى لا تموت الرواية بعد الإسلام. وحمل الشعر وروايته وتفسيره واستخراج الشاهد والمثل منه، ومثل الرافعي لهذه الإباحة، بأنه كان للرسول صلى الله عليه وسلم شعراء ينافحون عنه وعن الإسلام، ويردون كيد الكائدين كحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه وكعب بن مالك رضي الله عنهم، أقامتهم عادات العرب التي جعلت قولهم أشد على بعضهم من نضح النبل؛ والرسول صلى الله عليه وسلم ترك عادة الجاهلية وعرفها ولم يبعث للفخر والهجاء، ولكنهم لم يتركوها في أول العهد بالرسالة، فكانوا يهيجون ويحرضون عليه شعراءهم و خطباءهم كوفد بني تميم حين جاءوه بشاعرهم الأقرع بن حابس وخطيبهم عطارد بن حاجب؛ وقالوا له اخرج إلينا نفاخرك و نشاعرك. فرماهم بمثل خطيبه ثابت بن قيس بن شماس، أو بأحد شعرائه: عبد الله بن رواحه أو حسان بن ثابت أو كعب بن مالك رضي الله عنهم، وأبلغوا في الرد عليهم،تأييداً من الله في المنافحة عن نبيه. ولقد كانت السابقة في ذلك لحسان رضي الله عنه فكان إذا أرسل لسانه لم يجدوا لدفعاً[1]. مما أثر عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يضع لحسان منبراً في المسجد، ليقوم عليه فيقول الشعر.

النبوة وحي من السماء، تتبع منهجاً ثابتاً وهو شرع الله الذي يحكم الكون كله. ولا يتبدل ولا يتقلب مع الأهواء المتغيرة. وللشعر منهج آخر يختلف اختلافاً جذرياً عن منهج النبوة، فالشعر انفعالات مختلفة، متجددة، تعبر عن أشواق إنسانية كالجمال والكمال وتصوراته المحدودة بحدود مداركه واستعداداته، تتقلب من حال إلى حال غير ثابتة كالنبوة. إن طبيعة النبوة وطبيعة الشعر مختلفتان من الأساس؛ هذه في أعلى صورها أشواق تصعد من الأرض. وتلك في صميمها هداية تتنزل من السماء[2]ويتضح أن موقف الإسلام واضحٌ من الشعر، فهو حسن يمدح متى كان في حقه ولم يعدل به إلى ضلالة أو معصية فيقبح. فقد

---

[1] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص ٢٥١ -٢٥٢.

[2] في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج٦/ ص ١٧٢.

أبعد الإسلام الشعراء عن شعر العصبية وإثارة البغضاء والتفرقة، ونهى عن الشعر الماجن البعيد عن الفضيلة، وحث على الشعر المناصر والموافق لتعاليمه، وأثنى على شعراء الدعوة المناصرين لها .ويتلخص موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر:((أن رسول الله ممنوع من الله عز وجل من عمل الشعر وصنعته ولكنه ليس ممنوعاً من سماعه،والإعجاب بجيدّه، واستخدامه وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله))[1]. هكذا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يستمع الشعر، ويستخدمه في الدعوة إلى دين الحق، ليعلم الناس أن الإسلام دين يسر. فالرافعي رؤيته وافقت غالبية الأدباء في أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما منع في الإنشاد من إقامة وزن الشعر الصحيح؛ إلا أنه منع من إنشاء الشعر. وكان مع ذلك يحب الشعر ويثيب عليه. وكان له شعراء يستخدمهم للدفاع عن هذا الدين ونصرته كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم.

[1] أدب الحديث النبوي، مرجع سابق، ص ١٢٣.

المبحث الثالث :

اجتماع كلامه وقلّته صلى الله عليه وسلم.

الجملة في الحديث النبوي تتكون من كلمات قليلة محدودة، ومع ذلك فهي تحتوي على عدد هائل من المعاني التي فيها من الأحكام والمواعظ والتوجيهات، وهذا ملحٌ ص به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينافسه فيه أحد من البشر، وهذا ليس في جانبمعين ً من كلامه، إنما هو شامل لجميعأحاديثه، وجٌ عل ذلك من أدلة نبوته.وذكر الرافعي أن من كمال النفس النبوية غلبة العقل على اللسان فخرج الكلام قصداً في ألفاظه محيطاً بمعانيه؛ولهذا كثرت الكلمات التي انفرد بها دون العربوكثرت جوامع كلِمه، وخلص أسلوبه فلم يبالغ ولم يقصر في شيء. فذكر أهم ما تميز به الحديث النبوي وهي"جوامع الكلم"وتعني اجتماع المعاني الكثيرة المقصودة من الكلام في الألفاظ القليلة[1]. قال صلى الله عليه بٌ عِثْتٌ وبجلم:((وَ امِعِ الْكَلِمِ))[2]. وقد قال الثعالبي إنه:((كلام النبي القليل اللفظ الكثير المعاني،وتلك عين البلاغة))[3].

وقال ابن الأثير في معناه:((فالكلم: جمع كلمة، والجوامع: جمع جامعة، والجامعة: اسم فاعلة من جمعت فهي جامعة، كما يقال في المذكر: جمع فهو جامع، والمراد بذلك أنه صلّى الله عليه وسلّم أوتي الكلم الجوامع للمعاني))[4]. وتعني الألفاظ المختصرة التي تدل على المعاني الكثيرة، والتعبير عن الأفكار الواسعة بأقل عدد من الألفاظ تؤدي الغرض من غير إخلال بالمعنى. ويقول الطيبي في معناه:((إيجاز الكلام في إشباع من المعنى فالكلمة القليلة الحروف

---

[1] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٤٢.

[2] صحيح البخاري، ح٢٩٧٧، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي-صلى الله عليه وسلم-:«نصرت بالرعب مسيرة شهر»، ج٤/ص٥٤.

[3] الإعجاز والإيجاز، عبد الملك بن محمد الثعالبي، المطبعة العمومية، مصر،١٨٩٧م، ص١٦.

[4] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين نصر الله بن محمد ابن الأثير، تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ، ص٦٥.

منها تتضمن كثيراً من المعاني وأنواعاً من الكلام))[١]، ويعد الإيجاز وحذف فضول الكلام عند جمهور البلغاء من أشهر دلائل الفصاحة وبلاغة الكلام.

ويصف الرافعي كلامه صلى الله عليه وسلم باجتماع معانيه مع قلة ألفاظه، وقوة سبكه،وكثرة معانيهثم هو خالٍ من التكلف،و يستغرق في الكشف عن جميع اتجاهات المعنى وجوانبه، وهو يجري بالعادة في كل باب من الأبواب، وهذا لم يتحقق إلا في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم فالإيجاز يأتي في كلام الناس كافة، ولكن الإيجاز المبني على هذه الصفات خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم[٢]. والرافعي هنا يقتبس من الجاحظ ولكنه يضيف إليه من فهمه. فقول الجاحظ المشهور عن وصف الكلام النبوي((هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزّه عن التكلف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: قل يا محمد:﴿وَما أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾[٣]. فكيف وقد عاب التشديق، وجانب أصحاب التقعيب، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي))[٤]يشبه قول الرافعي:((اجتماع الكلام وقلة ألفاظه، مع اتساع معناه وإحكام أسلوبه في غير تعقيد ولا تكلف))[٥]، وقد تجد أنهما سواء في البداية، فعندما تتأمل قول الرافعي:"قلة ألفاظه مع اتساع معناه"كقول الجاحظ: "قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه" وقوله:"من غير تعقيد ولا تكلف"هو قول الجاحظ:"وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف" ثم يستكمل الرافعي قوله:((ولأ يكون ذلك عادة وخلقاً يجري عليه الكلام في معنى معنى وفي باب باب، شيء لم يعرف في هذه اللغة لغيره صلى الله عليه وسلم؛ لأنه في ظاهر العادة

---

[١] شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى الكاشف عن حقائق السنن، شرف الدين الحسين الطيبي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مكتبة الباز، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ، ص٣٦.

[٢] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص ٢٤٢

[٣] سورة ص، الآية: ٨٦.

[٤] البيان والتبيين، مرجع سابق، ج٢/ ص١٣.

[٥] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص ٢٤٢.

يستهلك الكلام ويستولي عليه بالكف، ولا يكون أكثر ما يكون إلا باستكراه وتعمل؛ كما يشهد به العيان والأثر، فكان تيسير ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم واستجابته على ما يريد وعلى النحو الذي خرج به نوعاً من الخصائص التي انفرد بها دون الفصحاء والبلغاء وذهب بمحاسنها في العرب جميعاً))[1]. وهذا هو ما استنتجه الرافعي وخرج به عن قول الجاحظ إلى قول جديد مختص به، فإن قلة الألفاظ واتساع المعاني وإحكام الأسلوب، في غير تعقيد ولا تكلف، مع التبيين وتوضيح الأجزاء، يكون للرسول صلى الله عليه وسلم خاصة، عادةً وخلقا لم يعرف في هذه اللغة لغيرهِ من العرب، لأنه انفرد بها دون الفصحاء والبلغاء من العرب جميعا؛ فإجازة يفي بالغرض ويدفع الملل ويوصل إلى الغاية، لأن الظاهر في العادة التكلف و استكراه الكلام و التعمل له، فهنا ظهرت شخصية الرافعي في الكلام يضيف إليه من فهمه وبنات أفكاره فتتشكل رؤية كأنها جديدة،توشك أن تكون رؤيةً خالصةً للرافعي ومنسوبةً لتأليفه فقط.

وقد استدل الرافعي على تميز البلاغة المحمدية بشهادة الأعيان والأثر، فالصحابة وصفوا لنا هذا المنطق النبوي الجميل، والذي يعد نوعاً من الخصائص التي انفرد بها دون البلغاء والفصحاء، فغاية أعلام العرب بأنسابها وأخبارها وآثارها ولغاتها أبو بكر الصديق –رضي الله عنه– سأل المصطفى من أدبك و علمك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلَّمَ:((أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي))[2].

---

[1] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص ٢٤٢.

[2] حديث ضعيف السند، صحيح المعنى، أحاديث القصاص، ح ١، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: أحمد باجور، الدارالمصرية اللبنانية، ١٤١٣هـ، ص٢٧.

واستشهد الرافعي أيضاً بكلام الجاحظ على من اعتقد أن قلة الكلام النبوي سببها العجز والضعف، فأورد قول الجاحظ: ((أن رسول الله قال: "إنا معشر الأنبياء بكاء"[١]، فقال ناس: البكء: القلّة، وأصل ذلك من اللبن، فقد جعل صفة الأنبياء قلة الكلام، ولم يجعله من إيثار الصمت، ومن التحصيل وقلة الفضول، قلنا ليس في ظاهر هذا الكلام دليل على أن القلة من عجز في الخلقة. وقد يحتمل ظاهر الكلام الوجهين جميعاً وقد يكون القليل من اللفظ يأتي على الكثير من المعاني))[٢]. أما الرافعي فذكر صيغة أُخرى للحديث حيث ذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((نَحْنُ مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ بُكَاءٌ))[٣]، ومعناه: ((قلّة في الكلام، وهو من بكَأتِ الناقةُ والشاةُ إذا قلّ لبنها))[٤]، ثم أورد كلام الجاحظ كاملاً في هذه المسألة فقال: ((والقلّة تكون من وجهين: أحدهما من جهة التحصيل والإشفاق من التكلف...وعلى البعد من الصنعة، ومن شدة المحاسبة، وحصر النفس حتى يصير بالتمرين والتوطين إلى عادة تناسب الطبيعة، وتكون من جهة العجز ونقصان الآلة وقلة الخواطر وسوء الاهتداء إلى جياد المعاني والجهل بمحاسن الألفاظ...))[٥]، فاحتج الجاحظ على أن قلة الكلام النبوي لم تكن من جهة العجز؛ فلو كانت كذلك فالرسول صلى الله عليه وسلم أحق بمسألة إطلاق العقدة من موسى؛ لأن العرب أمة البيان والفخر بالفصاحة واللسان. ولو كانت القلة من عجز، لكان ذلك مرئياً ومسموعاً واحتجوا به في الملأ و لتناجوا فيه با لخلاء ولتكلم به الخطباء وقال فيه الشعراء.[٦]

---

[١] غريب الحديث، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٨٢.

[٢] البيان والتبيين، مرجع سابق، ج٣/ص٢٦٢.

[٣] غريب الحديث للجوزي، مرجع سابق، ص ٨٢.

[٤] لسان العرب، مرجع سابق، ج١/٣٥.

[٥] البيان والتبيين، مرجع سابق،ص٨١٣.

[٦] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٤٤-٢٤٥.

والرافعي يذكر كلام الجاحظ بأن اللفظ النبوي تجود به الطبيعة وتعطيه النفس سهواً مع قلة لفظه وعدد هجائه،فكان أحمد أمراً وأحسن وقعاً في القلوب وأنفع للمستمعين، خلاف من يقرض الشعر ويكلف الأسجاع، ويتكلف في إقامة الوزن والاستطالة، وكذلك يتكلف باستخراج المعاني، والتعبد لطلب الألفاظ، فتكون نفسه داعية لقول الزور والفخر والكذب والإفراط في ذم من منعه من المال، ومدح من أعطاه، و لا يكون إلا ممن يحب السمعة ويخرج للمباهاة والتشاغل عن كثير من الطاعة، أما نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم فنزهه الله ولم يعلمه الكتاب والحساب، ولم يرغبه في صنعة الكلام، بل جمع باله كله في الدعاء.[١]

و استدل الرافعي على قلة كلام الرسول صلى الله عليه وسلم واجتماعه،بأنه كره الإكثار والثرثرة صلى الله عليه وسلم، فقدأَبقالغَضَكُوم إِلَيَّ عَدَكُم مِجِلِسَوالقِيَامَةِ الثَّرو ثَارالُونوَتَلَدُّقُوتنَفَيهِقُونَ ٢))[٣]. فالكلام الذي يأتي طبيعياً على البداهة و الفجاءة يختلف جذرياً عن الكلام الذي يخرج ممن تعبد للمعاني، وتعود نظمها وتنضيدها، وتأليفها وتنسيقها واستخراجها من مدافنها، فاستغرق الجهد وخرج بالكد، ومع ذلك تجد فيه بعض الاستكراه والزلل، وبعضاً من التعقيد و التفنن و التشديق والإكثار. أما الكلام النبوي فهو ثمرة الحكمة والتقوى، ونتاج التوفيق و الإخلاص، في غاية التسديد، والصواب التام، والعصمة الفاضلة، والتأييد الكريم[٤].

---

[١] ينظر إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق ،ص٢٤٦.البيان والتبيين، مرجع سابق، ٢٦٣/٣.

[٢] المشدقُ :المتطاولُ على الناس بكلامه، ويتكلم بكل فمه ليصفه الناس بالفصيحوالمتفيهقُ أصلهُ من الفهق وهو الامتلاءُ ، وهو الذي يملأ فمه بالكلاموتوسعُ فيهويغربُ بهتكبراً وارتفاعاً . ينظر لسان العرب، مرجع سابق، ج١٠/١٧٣.

[٣] سنن الترمذي، ح٢٠١٨، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في معالي الأخلاق ، ج٤/ص٣٧٠.

[٤] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٤٦.

ويرى الرافعي أن الرسول صلى الله عليه وسلم يطيل إذا رأى وجهاً للإطالة، كما روى عن عمرو بن أخطب قال: ((لَيْسَ هُوَ لَكُمْ وَلَا لِلَّذِي أَرْسَلَهُ، صَعِدَ الْمِنْبَرَ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَنَزَلَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ))[1]، ولم يطل قصداً للطول ورغبة في الكثير؛ بل لتوضيح المعاني التي تحتاج الكثير من اللفظ، بينما الإقلال هو الأعم والأغلب.

فقد أوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم، فألزم من يجادله بالحجة وفصل الخطاب، وقد وصف الخطابي جمال هذه الكلم حين قال:((وقد أمد الله رسوله جوامع الكلم التي جعلها ردءاً لنبوته، وعلماً لرسالته، لينتظم في القليل منها علم الكثير، فيسهل على السامعين حفظه ولا يؤودهم حمله))[2]، فالكلمة الجامعة كلمة يستنبطمنها في البلاغة كثيراً ، و لا يخرج عنها شيء في المنطق. وإليها يرجع جمال البلاغة المحمدية كما قال القاضي عياض:((وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الأفضل، والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع،وبراعة منزع، وإيجاز مقطع، ونصاعة لفظ، و جزالة قول، وصحة معان، وقلة تكلف. أوتى جوامع الكلم ،وخص ببدائع الحكم))[3].

---

[1] صحيح مسلم، ح ٢٨٩٢، كتاب الفتن و أشراط الساعة، باب إخبار النبي-صلى الله عليه وسلم- فيما يكون إلى قيام الساعة،ج٤/ ص٢٢١٧.

[2] غريب الحديث، حمد البستي الخطابي، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، ج١،دار الفكر، دمشق،١٤٠٢هـ، ص٦٤.

[3] الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض اليحصبي، تحقيق: أحمد الشمني، دار الفكر، ١٩٨٨م، ج١/ص٧٠.

ومثل الرافعي لمجموعة من الأحاديث النبوية من جوامع الكلم التي هي حكمة البلاغة النبوية، واعتذر عن تحليل وشرح ما عده قائلاً :((ولو ذهبنا نشرحه لبنينا على كل كلمة مقالة))[١]، واكتفى بالتمثيل لأحد عشر مثالاً من جوامع الكلم، وحبذا أنه شرحها، منها:[٢]

ماورواه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:سمعت رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم يقول:((إنّما الأعمال بالنيّات ، و إنّما لكلّ امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه))[٣].

وما رواه تميم الدّاريّ أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم، قال:((الدين النصيحة قلنا: لمن ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامّتهم))[٤].

وما رواه النعمان بن بشير، قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:((إنّ الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من النّاس فمن اتّقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه ألا وإنّ لكلّ ملك حمى ألا وإنّ حمى الله في أرضه محارمه ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه وإذا فسدت فسد الجسد كلّه ألا وهي القلب))[٥].

---

[١] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٧٣.

[٢] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٧٢-٢٧٣.

[٣] صحيح البخاري، ح١، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، ج ١/ص ٦.

[٤] صحيح مسلم، ح٥٥، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، ج١/٧٤.

[٥] صحيح مسلم ، ح١٥٩٩، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ج٣/ ١٢١٩.

و قوله صلى الله عليه وسلم في المعنى الإحسان: ((تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك))[1].

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((يرحم عن أحب))[2] .

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ارعوا للمتعمد ما لا أولى))[3].

وما رواه ابن عمر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ودع إنساناً فلا يدعه حتى يكون هو يدع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((ادع الله دينك وآخر عملك))[4] .

أراد الرافعي أن يثبت اجتماع كلامه صلى الله عليه وسلم وقلته، فذكر أهم ما تميز به الحديث النبوي وهو"الكلم الجامعة"، وتحدث عن توازن الأسلوب النبوي بين المبالغة والتقصير، وقوة السبك مع قلة الألفاظ ووفرة المعاني، ثم الخلو من التكلف والاستغراق في الكشف عن جميع جوانب المعنى، ويبدو تأثره بكلام العلماء قديماً عن البلاغة النبوية واضحاً ، فقد استدل كما استدلوا به بشهادة الأعيان والأثر، من الصحابة الذين شهدوا بتفوق البلاغة النبوية. ورد على من اعتقد أن قلة الكلام النبوي سببها العجز والضعف. واستدل بكره الرسول صلى الله عليه و سلم الإكثار والثرثرة، وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قد يطيل إذا رأى وجهاً للإطالة، ومثل لجوامع الكلم من الأحاديث النبوية بعضها صحيح وبعضها ضعيف، لكنه توقف عن شرحها وحبذا أنه توسع؛ لأنه سيثري بتحليله لهذه

---

[1] صحيح البخاري ، ح٥٠ ، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الإيمان والإحسان وعلم الساعة، ج١/١٩.

[2] صحيح البخاري، ح٦١٦٨، كتاب الأدب، باب علامة حب الله عز وجل، ج٨ / ٣٩ .

[3] صحيح البخاري، ح١٣٠٢، كتاب الجنائز، باب الصبر عند الصدمة الأولى، ج٢/٨٣.

[4] سنن الترمذي، ح٣٤٤٢، أبواب الدعوات،باب ما يقول إذا ودع إنساناً ، ج٥/ ٤٩٩.

الأحاديث البلاغة النبوية. فمذهب الرافعي في دراسته عدم التوسع والتعمق في الجانب اللغوي والبلاغي ويكتفي بالوصف العام.

إن البلاغة النبوية تميزت بجوامع الكلم لكي يسهل على السامعين حفظ حديثه صلى الله عليه وسلم، ولا يشق عليهم تبليغه وروايته، فبهر نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم المقربين منه وألزم المجادلين له بالحجة وفصل الخطاب من خلال تلك الكلمات القليلات. فتلك القلة لم تكن عن عجز، فالرسول صلى الله عليه وسلم أحق من موسى-عليه السلام- بفك العقدة؛ لأن قومه أشد فخراً ببيانها وتصريف كلامها وشدة اقتدارها كما ذكر الجاحظ[١].

[١] البيان والتبيين، مرجع سابق، ج٣/ص٢٦٢.

المبحث الرابع : سمات البيان النبوي عند الرافعي

عُني الرافعي بالسمات التي ميزت البيان النبوي عن غيره من بيان البشر، وقد وصف ثلاثًا من السمات العامة في كلامه صلى الله عليه وسلم من ثلاث جهات، جهة اللغة وقصد بها بناء الجملة النبوية، وجهة البيان وعنى فيها التصوير البياني، وجهة الحكمة: وأراد بها طابع النبوة. كما ذكر السمات الخاصة للبلاغة المحمدية وهي: الخلوص والقصد والاستيفاء.

السمات العامة في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم:

أولاً : اللغة "بناء الجملة"

يقول الرافعي واصفاً كلام النبي صلى الله عليه وسلم بأنه:((مسدد اللفظ محكم الوضع جزل التركيب، متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات، فخم الجملة، واضح الصلة بين اللفظ ومعناه، واللفظ وضريبه في التأليف والنسق، ثم لا ترى فيه حرفاً مضطرباً، ولا لفظة مستدعاة لمعناها أو مستكرهة عليه؛ ولا كلمة غيرها أتم منها أداءً للمعنى وتأتياً لسره في الاستعمال))[1].

ويتضح أنه قصد اختيار النبي صلى الله عليه وسلم للكلمات المناسبة التي تصيب المعنى، وتتناسب مع أجزاء الكلمة في الفقرة الواحدة بالطول والقصر، وكذلك تناسب الكلمة لما قبلها وما بعدها في التركيب، فلا يقع التنافر والاستكراه، فتتلاحم أجزاء الجملة الواحدة. وفكرة تلاحم الأجزاء وتماسك العناصر كانت مسيطرة لمعالم نظرية النظم، حيث يكون التركيب مميزاً فتتآلف فيه المكونات الصغيرة في نسيج متلاحم العناصر و الأطراف، فيتلازم اللفظ والمعنى في صياغة الجمل ودلالتها على الصورة، فيكون حسن نظمها بائتلافها مع جاراتها[2]. يقول عبد القاهر الجرجاني:((لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها

---

[1] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية،مرجع سابق، ص١٢٦.

[2] البلاغة النبوية في منظور الرافعي: قراءة في المنهج، بن عيسى باطاهر، بحث منشور في مجلة التجديد الماليزية، العدد الثاني والثلاثون، ١٤٣٤هـ، ص٦٥.

ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك. هذا ما لا يجهله عاقل، و لا يخفى على أحد من الناس))[١]، وكذلك حسن اختيار الألفاظ وأوجه نظمها بما يوائم الغرض، فالحديث النبوي يضع:((كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أُبدل مكانه غيره جاء منه: إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة))[٢]،وفي ما يكون بين الكلمات من توافق موسيقي وتشابك في المعنى، وكذلك التقديم والتأخير وحسن التصرف فيهما، وهو الفارق بين مختلف التآليف. وتطابق جملة القوانين التي تحكم النظام الداخلي للكلمات من تنكير وتعريف وإفراد وتأنيث وتذكير. فقد((تحدث الرافعي عن تناسب الألفاظ في النظم الحديثي، ... وأضاف أن الحديث امتاز في نظم ألفاظه بميزة خاصة هي روح التركيب، بمعنى أن العناصر اللفظية امتزجت فيه على نسب خاصة، فتآلفت بشكل دقيق وتناسبت بصورة قوية، فأتى أسلوبه منفرداً في هذه اللغة))[٣].

وذكر الرافعي أن القوة البيانية برزت من شدة الوضوح في كلامه صلى الله عليه وسلم وجاءت أيضاً من عنايته بالحقائق، فكُل لفظ هو لفظ الحقيقة لا لفظ اللغة، فصورها اللغوية لا تكون إلا صريحة صادقة، لا يتكلف فيها، فالمصطفى صلى الله عليه وسلم لم يكتب ولم يؤلف، ومع هذا لا تجد في بلاغتهموضعاً يقبل التنقيح، كأنما بين الألفاظ ومعانيها مقياس وميزان، فالنبوة هي السبب في ذلك الوضوح البياني العجيب[٤].

---

[١] دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص٥٤.

[٢] بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (ط٤)، محمد الخطابي،تحقيق محمد خلف الله – محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ١٩٧٦م، ص٢٩.

[٣] التناسب البياني في السنة النبوية، محمد مختار المفتي، بحث منشور في مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، العدد الثالث والسبعون، ١٤٣٤هـ، ص ٥٩.

[٤] وحي القلم، مرجع سابق، ج٣/ ص١٥.

ويعد الرافعي أول منعُني بالأصوات اللغوية والموسيقى في الحديث النبوي في العصر الحديث فقال في ذلك:((إن هذه اللغة خاصة تحملُ بذلك ما لا تتحمل به سائر اللغات لما فيها من معاني الأوضاع الموسيقية في خفة الوزن، وصحة الاعتدال، وتمام التساوي، وحسن الملاءمة، فلا جرم كان منطقه صلى الله عليه وسلم على أتم ما يتفق في طبيعة اللغة ويتهيأ لها إحكام الضبط وإتقان الأداء))[١].وذكر أحد الباحثين أنه يعد:((أولَ من أولى اهتماماً بقيمة الأصوات اللغوية، وجمال نظمها؛ إذ أحس بقيمتها في جمال الكلمة النبوية، كما استشعر روعة الموسيقى في النظم الحديثي المتوازن في العبارة الذي يصاحب المعنى مصاحبة واعية، ومن أجل هذا كانت كتاباته ذات تأثير قوي في من عاصروه من المهتمين بالبلاغة النبوية))[٢] .

ثانياً : البيان "التصوير البياني"

و الرافعي يصف البيان النبوي من الجهة البيانية:((حسن المعرض، بين الجملة،واضح التفضيل، ظاهر الحدود جيد الرصف، متمكن المعنى؛ واسع الحيلة في تصريفه،بديع الإشارة، غريب اللمحة، ناصع البيان، ثم لا ترى فيه إحالة ولا استكراهاً ، ولا ترىاضطراباً ولا خطلاً))[٣]. ويظهر قصد الرافعي بأن المعنى يأتي في أحسن صورة، فالصور البيانية في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم من تشبيهات، وكنايات، ومجازات، واضحة الدلالة، تشعر من يقرأها ويسمعها بأنه يقف ليشاهد لوحة فنية جميلة، تُظهر له المعاني بوضوح عجيب فإن((البليغ من البلغاء في صنعته وبيانه، كالشجرة المورقة في روائها ونظرتها حتى تتسق له

---

[١] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٣٩.

[٢] التناسب البياني في السنة النبوية، محمد مختار المفتي، بحث منشور في مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، العدد الثالث والسبعون، ١٤٣٤هـ، ص٦١.

[٣] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١٢٦.

أسباب من هذه الأوضاع البيانية، وتستقل له طريقة في عقدها وإخراجها، فيبلغ أن يكون مثمراً))[١]، وأيضاً فإن التراكيب البيانية تظهر كثيراً من المعاني والإيحاءات بأسهل وأقرب طريقة. والصورة في الحديث النبوي لا تنحصر وظيفتها في إيضاح المعاني أو تحقيقها فقط؛ فالمعاني يمكن أن تظهر بدونها أو بغيرها، فهي تخلق معانيغنيةً بالإيحاءات، التي لا يأتي بها التعبير الحقيقي المباشر، ولكي تحدث تآزراً في المتلقين. يقول الجرجاني:((واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وأكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها،وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها))[٢].

وكذلك فقد سبق الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض التراكيب أرباب البلاغة فجاء بتعبيرات لم يتهيأ لغيره أن يحاكيها أو يجاريها[٣]. قال الخطابي: ((ومن فصاحته وحسن بيانه أنه قد تكلم بألفاظ اقتضبها لم تُسمع من العرب قبله، ولم توجد في متقدم كلامها))[٤]، وقال فيها الجاحظ:((وسنذكر من كلام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، مما لم يسبقه إليه عربي،ولا شاركه فيه أعجمي، ولم يدّع لأحد ولا ادّعاه أحد، مما صارمستعملاً ومثلاً سائراً))[٥]. وقد حلل الرافعي بعض التراكيب البيانية المبتكرة التي سمعت من الرسول صلى الله عليه وسلم،وشرح ميزاتها الفنية والأدبية. واجتهد في بيان ما أخفي من معانيها،مستعيناً في

---

[١] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٦٢.

[٢] أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٠٩هـ، ص٩٢-٩٣.

[٣] وقد ذكرها ابن دريد في كتابه المجتنى في باب ما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع من غيره قبله. المجتنى، محمد بن الحسن بن دريد، دار المعارف العثمانية، ١٣٨٢هـ، ص٢-٣-٤.

[٤] غريب الحديث، مرجع سابق، ج١/ص٦٥.

[٥] البيان والتبيين، مرجع سابق، ج٢/ص١٢.

ذلك بكتب غريب الحديث. وقد أورد تسعة أمثله لهذه التركيبات البيانية النبوية المبتكرة التي لم تسمع من قبله، فحلل خمسة منها، وأشار إلى الباقي[١].

ومن التعبيرات النبوية المبتكرة التي حللها الرافعي قوله صلى الله عليه وسلم:**((مات حتف أنفه))**[٣].

والحديث يعني:أن تأخذه المنية وهو على منامه من غير أن يحارب ويقاتل، وروي عن علي رضي الله عنه-أنه قال:((ما سمعت كلمة عربية من العرب إلا سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله، وسمعته يقول: مات حتف أنفه. وما سمعتها من عربي قبله))[٤]، وكذلك ذكر ابنالأثير أن معنى الحديث:((هو أن يموت على فراشه كأنه سقط لأنفه فمات. والحتف: الهلاك.كانوا يتخيلون أن روح المريض تخرج من أنفه فإن جرح خرجت من جراحته))[٥]، والأنف عند العرب ترمز للعزة والرفعة والأنفة ويضرب به المثل"حمي الأنف"، كما يضرب مثلاً للكبر"أنفه "، وللغضب كقولهم:" حمى أنفه "وللكبر :"فلان شمخ بأنفه"، وللطمع: "فلان يتبع أنفه"، وللضلال:"فلان أنفه في قفاه"، وابتكر الرسول صلى الله عليه وسلمأسلوباً جديداً زاده على هذه الأساليب "مات حتف أنفه" والموت حتف الأنف: أي خروج الروح طبيعية بفعل ملك الموت، ويكون خروجها كما يعتقد العرب من الأنف،

---

[١] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٦٣-٢٦٤-٢٦٥.

[٢] حتف: أي هلك.ينظر لسان العرب،مرجع سابق، ج٩/ص٣٨.

[٣] مسند أحمد ، ح: ١٦٤٦١، أول مسند المدنيين ،ج٢٦/٣٠٤.

[٤] المجازات النبوية، الشريف الرضي، تحقيق: طه محمد الزيتي، ص ٦٨، ٦٩، منشورات مكتبة بصيرتي.طبعة إلكترونيه.

[٥] النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، ج١، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، ص٣٣٧، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ .

بخلاف القتل فهو انتزاع الروح وإجبارها على مفارقة الجسم بنقض بنيانه[١]. و((في الحديث مجاز مرسل علاقته المحلية، لأن النفس تخرج من الأنف وهي التي تهلك لا الأنف))[٢].

والرافعي في تحليله لهذا الحديث أضاف معنى جديداً آخر للعبارة: ((وهو أن موت الرجل على فراشه من غير حرب ولا قتال ولا أمر يؤرخ به الموت في الألسنة، مما كانوا يأنفون له،والحتف هو الهلاك فكأن صاحب هذه الميتة إنما ماتت أنفته وكبرياؤه، فلم يرفع الموت أنفه في القوم، بل أذله وأرغمه، فكان به هلاكه؛ لأن حياته كانت في عزته، وعزته كانت في أنفه، وأنفه هو الذي كبه الموت. وإنما مجاز العبارة كما يقال في الكبر: ورم أنفه، وفي العزة حمى أنفه. وفي الدفاع عن الأم: غضب لمطلب أنفه، وكما يقال:غضبه على طرف الأنف، إذا كان سريع الغضب؛ وجعل أنفه في قفاه إذا ضل))[٣].

وأشار الرافعي إلى جمال التصوير البياني، وكذلك جمال التصوير الفني الراجع إلى المجاز في تركيبه. فالعرب تستخدم الأنف غالباً للأنفة، و الرسول صلى الله عليه وسلم استخدمه هنا بالمعنى الضد للعزة والرفعة وهو هلاكه.

ومن التراكيب البيانية المبتكرة التي حللها الرافعي قوله صلى الله عليه وسلم-:((**الآن حَمِيَ[٤] الوطيس**))[٥]، فقد قالها الرسول صلى الله عليه وسلم في اشتداد المعركة بين المسلمين وهوازن في غزوة حنين، وقد أوشكت أن تنتصر هوازن، ثم امتن الله على المسلمين أخيراً بالنصر. ويعني الحديث اشتداد الحرب، فضرب المثل بحرارتها فهي كحرارة التنور.

---

[١] أضواء على البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص ١٥٩-١٦٠.

[٢] المجازات النبوية، مرجع سابق ،ص ٦٨، ٦٩.

[٣] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق،ص٢٥٣.

[٤] حمي:اشتد.ينظر لسان العرب، مرجع سابق، ج١٤/ص١٩٩.

[٥] صحيح مسلم، ح: ١٧٧٥،كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين،ج٣/ص١٣٩٨. مسند أحمد، من مسند بني هاشم ج١/٢٠٧.

وكلمة الآن تعني وقت نطق الرسول صلى الله عليه وسلم بالحديث، فكانت الحرب قد بلغت ذروتها. فتشير إلى مضي وقت من بداية القتال.

أما كلمة الوطيس فتعني التنور كما قال ابن الأثير:((فإن الوطيس في أصل الوضع هو التنور فنقل إلى الحرب استعارة ولم يسمع هذا اللفظ على هذا الوجه من غير النبي))[١]، وقال في معناها الشريف الرضي:((حفيرة تحتفر فيوقد فيها النار للاشتواء، وتجمع على وطس، ولا وطيس هناك على الحقيقة، وإنما المراد ما ذكرنا من حر القراع، وشدة المصاغ، والتفاف الأبطال، واختلاط الرجال))[٢]، وفي معناها قال النووي:((وقيل: هو الضرب في الحرب، وقيل: هو الحرب الذي يطيس الناس أي يدقهم، قالوا: وهذه اللفظة من فصيح الكلام وبديعه، الذي لم يسمع من أحد قبل النبي صلى الله عليه وسلم))[٣].

وإطلاق كلمة الوطيس على الحرب من قبيل الاستعارة التبعية، فجعلت للعبارة إيحاءات ودلالات لم يكشف عنها المعنى الحقيقي، حيث شبهت الحرب بالوطيس بجامع: ارتفاع الحرارة وانتشار الحمرة في شدة مهلكة. كما ذكر الشريف الرضي:((وتشبيه الحرب بالنار يكون من وجهين"أحدهما"لحر مواقع السيوف، وكرب ملابس الدروع، وحمى المعترك لشدة العراك وكثرة الحركات."والوجه الآخر" أن يكون إنما شبهت بالنار لأنها تأكل رجالها، وتفنى أبطالها كما تأكل النار شعلها وتحرق حطبها))[٤].

ولو غيرت العبارة كما قال ابن الأثير:((ولو أتينا بمجاز غير ذلك في معناه فقلنا"استعرت الحرب"لما كان مؤدياً من المعنى ما يؤديه"حمي الوطيس"والفرق بينهما أن الوطيس هو التنور

---

[١] المثل في أدب الكاتب والشاعر، مرجع سابق ،ص٧٧.

[٢] المجازات النبوية، مرجع سابق، ص٤٥-٤٦.

[٣] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين يحي بن شرف النووي (ط٢)، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٣٩٢هـ، ج١٢/ص١١٦.

[٤] المجازات النبوية، مرجع سابق، ص٤٦-٤٧.

وهو موطن الوقود ومجتمع النار، وذلك يخيل إلى السامع هناك صورة شبيهة بصورته في حميها وتوقدها، وهذا لا يوجد في قولنا "استعرت الحرب"أو ما جرى مجراه"[١].

أما تحليل الرافعي لهذا الحديث، فقد اكتفى بذكر الجمال المعنوي فيه، ولم يتطرق للجوانب الأخرى حيث قال:"الوسيط : هو التنور مجتمع النار والوقود، فمهما كانت صفة الحرب، فإن هذه الكلمة بكل ما يقال في صفتها، وكأنما هي نار مشبوبة من البلاغة تأكل الكلام أكلا، وكأنما هي تمثل لك دماء نارية أوناراً دموية!"[٢].

وأيضاً من التعبيرات النبوية المبتكرة قوله صلى الله عليه وسلم:"لا تقوم الساعة على دخن"[٣]

الهدنة تعني: الصلح، و يقصد بالدخن: إصابة الدخان للطعام في حال طبخه، فيتغير ويفسد طعمه. وذكر ابن منظور معنى الحديث بأنه:"لا ترجع قلوب قوم على ما كانت عليه، وأصل الهدنة السكون بعد الهيج. ويقال: للصلح بعد القتال والموادعة بين المسلمين والكفار وبين كل متحاربين: هدنة، وربما جعلت للهدنة مدة معلومة، فإذا انقضت المدة عادوا إلى القتال"[٤]، ويرى ابن فارس أن الحديث يعني:"استقرار على أمور مكروهة. والدخنة: من الألوان: كدرة في سواد".[٥] أما النيسابوري فيقول في معناه إنه مثل:"يضرب لمن يضمر أذى ويظهر صفاء"[٦]، فاستعارة الدخن دالة على فساد النيات و الضمائر كما ذكر الشريف الرضي:" إن الدخن في الأصل اسم للون الذي فيه كدورة، والصحيح أنه مأخوذ من الدخان لكدر أجزائه وارتداد ألوانه، فكأنه –عليه الصلاة والسلام– شبه الهدنة التي تؤذن بالفتنة

---

[١] المثل في أدب الكاتب والشاعر، مرجع سابق ،ص٦٥.

[٢] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٦٣.

[٣] سنن أبي داود، ح: ٤٢٤٥، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، ج٤/ص٩٦.

[٤] لسان العرب ، مرجع سابق، ج١٥/ ص٤١.

[٥] معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس الرازي، تحقيق:عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج٢/ ص٣٣٦.

[٦] مجمع الأمثال، أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، ج١/ ص١٦١.

والسلم الذي ينكشف عن المحاربة بالدخان الذي تؤذن سواطعه بالنار الموقدة، وتجلى عن الجواحم المتضرمة[١]"[٢].

واهتم الرافعي بالتحليل اللغوي لهذا الحديث، حيث ذكر أن هذه العبارة لا يعدلها كلام في معناها، فإن فيهالونًا من التصوير البياني لو أذيبت له اللغة كلها ما وفت به، فذكر أن الصلح إنما يكون موادعةولينًا؛وانصرافًا عن الحرب،وكفاً عن الأذى؛ فالهدنة تعني المصالحة والانصراف عن الحرب، كما بين ذلك ابن الأثير:"الهدنة: السكون. والهدنة: الصلح والموادعة بين المسلمين والكفار، وبين كل متحاربين"[٣]. وشرحها الرافعي على ثلاثة وجوه: الوجه الأول في تصوير معنى الفساد الذي تنطوي عليه القلوب الواغرة بعد الصلح:"وهذه كلها من عواطف القلوب الرحيمة فإذا بني الصلح على فساد، وكان لعلة من العلل، غلب ذلك على القلوب فأفسدها، حتى لا يستو ح غيره من أفعالها، كما يغلب الدخن على الطعام، فلا يجد آكله إلا رائحة هذا الدخان، والطعام من بعد ذلك مشوب مفسد".[٤]

أما الوجه الثاني: فهو لون آخر في صفة هذا المعنى:"وهو اللون المظلم الذي تنصبغ به النية"السوداء"وقد أظهرته في تصوير الكلام لفظة"الدخن""[٥]. فهي للتعبير عن فساد القلوب وعدم سلامة النيات بلونالدابة كدورة إلى سواد، كما عبر ابن الأثير:"وجاء تفسيره في الحديث؛ أنه لا ترجع قلوب قوم على ما كانت عليه أي: لا يصفو بعضها لبعض، ولا ينصح ُ بهُّا. كالكُوُ َة ِ التي في لون الدابة"[٦].

---

[١] السواطع جمع ساطعة: أي المرتفعات من قطع الدخان. الجواحم؛ جمع جحيم: وهي النار الشديدة التأجج، والمتضرمة: الشديدة الاشتعال. لسان العرب، مرجع سابق،ج١٢/٨٤.

[٢] المجازات النبوية، مرجع سابق، ص٢٤٨.

[٣] النهاية في غريب الحديث والأثر، مرجع سابق، ج٥/ ص٢٥٢.

[٤] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٦٣-٢٦٤.

[٥] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٦٣-٢٦٤.

[٦] النهاية في غريب الحديث والأثر، مرجع سابق ، ج٢ /ص ١٠٩.

أما الوجه الثالث: فذكر الرافعي أنه سر البيان في العبارة كلها التي من أجلها اختيرت هذه اللفظة بعينها، وكانت النكتة في اختيار لفظة الدخن هي دلالة على:((أن الصلح لا يكون إلا أن تطفأ الحرب، فهذه حرب قد طفئت نارها بما سوف يكون فيها نار أخرى. كما يلقى الحطب الرطب على النار تخبو بقليلاً ، ثم يستوقد فيستعر فإذا هي نار تلظى، وما كان فوقه الدخان فإن النار ولا جرم من تحته))[١]،وقد أورد هذا التشبيه ابن الأثير دلالة على فساد النيات حين قال:((تشبيهاً بدخان الحطب الرطب لما بينهم من الفساد الباطن تحت الصلاح الظاهر)).[٢]ويتضح لنا عناية الرافعي الجلية بالجمال اللغوي في هذا الحديث.

ومن التراكيب البيانية المبتكرة قوله صلى الله عليه وسلم:((بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ فِي نَفَسٍ))[٣].

أي بعث الرسول صلى الله عليه وسلم والساعة قد قرب قيامها، وقد ذكر قرب وقت قيامها في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾[٤]، وفي هذا الحديث اتضحت عناية الرافعي فيه بالتحليل اللغوي، حيث كشف عن سر اختيار لفظة نفس في أربعة وجوه فذكر أولاً :أنها ((تدل على أدق معاني الحس بالشيء القريب، وهي لفظة النفس،كما يحس المرء بأنفاس من يكون بإزائه ولا يكون ذلك إلا على شدة القرب))[٥]،كما ذكر هذا المعنى الشريف الرضي:((أن يكون جعل للساعة نفساً كنفس الإنسان. وقال: بعثت في وقت أحس فيه بنفسها وقربها،كما يحس الإنسان بنفس الإنسان

---

[١] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٦٣-٢٦٤.

[٢] النهاية في غريب الحديث ، ج٢/ص ١٠٩.

[٣] سنن الترمذي، ح٢٢١٣، كتاب الفتن، باب ما جاء في قول النبي بعثت أنا والساعة كهاتين، ج١/ ص٤٠٠.

[٤] سورة النحل ، الآية ٧٧.

[٥] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٦٤.

إذا قرب من شخصه وسمع مجرى نفسه))[١]. وكذلك ذكره ابن الأثير:((معناه أنه جعل للساعة نفسا كنفس الإنسان، أراد أني بعثت في وقت قريب منها أحس فيه بنفسها كما يحس بنفس الإنسان إذا قرب منه. يعني بعثت في وقت بانت أشراطها فيه وظهرت علاماتها))[٢] ثم ذكر الرافعي معنى ً ثانيً ا للفظة النفس في إفرادها:((إنمَّا أفرد اللفظة ولم يقل:"بعثت في أنفاس الساعة"؛ لأنها نفخة واحدة، وهذا معنى آخر فإن النفخة الشديدة متى جاءت من بعيد كانت كالنفس من الأنفاس، وليس المراد من قرب الساعة أنها قدر اليوم أو غد على التعيين، ولكن المراد أنها آتية لا ريب فيها))[٣]ذكر معنى ً ثالثً ا لهاقائلاً ((كأنه يقول: إن عمر الأرض كانطويلاً فكانت الساعة بعيدة ثم قصر هذا العمر فبدأت الساعة تتنفس: وما يدرينا أنه قد حان أجل الأرض كما يحين أجل النهار عندما تبدأ الدقيقة الأولى من ساعة الغروب، ثم لا ينقضي هذا الأجل إلا في الدقيقة الأخيرة من هذه الساعة))[٤]، فقول الرافعي هنا شبيه بقول الشريف الرضي:((بعثت في تنفيس الساعة، أي في إمهالها وتأخرها، من قولهم: نفس فلان عن غريمه إذا أنظره، وأخر الدين بعد أن حان قضاؤه ووجب اقتضاؤه، فكأنه –عليه الصلاة والسلام– قال: بعثت وقد حان قيام الساعة إلا أن الله تعالى نفسها، أي أخرها قليلا، فبعثني في ذلك النفس))[٥]ثم،ذكر معنى ً أخيرً ا في لفظة النفس:((وذلك أنه يقال على المجاز: فلان في نفسي من ضيقه، إذا كان في سعة ومندوحة، وقد عرف الضيق ما هو بعد أن شد عليه وكتم أنفاسه! فيكون التأويل على ذلك، أن الساعة آتية وأنها قريبة.وأنها تكاد تكون ولكن البعثة في نفس منها))[٦].

---

[١] المجازات النبوية ، مرجع سابق، ص٣٥.

[٢] النهاية في غريب الحديث والأثر، مرجع سابق، ص٢٠٣.

[٣] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٦٤.

[٤] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٦٤.

[٥] المجازات النبوية ، مرجع سابق، ص٣٥.

[٦]إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٦٤.

ويتضح أن الرافعي هنا تطرق للجمال المعنوي في هذا الحديثوعُني بذكر التحليل اللغوي عناية فائقة، ولكنه لم يتطرق للجمال الفني فيه؛ ففي هذا الحديث استعارة مكنية شبهت الساعة بالكائن الحي الذي دل عليه لفظ"نفس"فصور الساعة كأنها إنسان يتنفس، ولعدم وجود أداة للتشبيه أصبح للتعبير يدل على التحام الطرفين وإثبات النفس للساعة تخييلاً [١].

ومن التراكيب البيانية المبتكرة التي ذكرها الرافعي قوله صلى الله عليه وسلم: ((يُدْ َك رِفقاًالْقَوَ ارير))[٣].

معنى رويدك: أي تمهل، رويدك اسم فعل بمعنى أرود أي: أمهل والكاف المتصلة به حرف الخطاب.[٤] أما معنى القوارير قارُور َة منالز ّجاج؛ سميت بها لاستقرار الشَّراب فيها[٥].

وفي الحديث استعارة تصريحية، فقد شبه النساء بالقوارير، ووجه الشبه الرقةوالحذر من كسرهن، وحذف المشبه النساء، وصرح بالمشبه به القوارير. ويظهر هنا انه:((كنى عنهن «بالقوارير»لأمور ثلاثة، أماأولاً : فلما هن عليه من حفظ الأجنة، والوعاء كالقارورة تحفظ ما فيها، وأماثانياً : فلاختصاصهن بالصفاء والصقالة، والحسن والنضارة، وأماثالثاً : فلما

---

[١] المجازات النبوية ، مرجع سابق، ص٣٥.

[٢] وقد ورد في الصحيحين لفظَقو ْ ًا.

[٣] (متفق عليه) صحيح البخاري، ح٥٧٩٧، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه،ج٤/ص٥٦٠.صحيح مسلم، ح٢٣٢٣، كتاب الفضائل، باب في رحمة النبي صلى الله عليه وسلم للنساء وأمر السواق مطاياهن بالرفق بهن،ج٤/ ص١٨١١.

[٤] لسان العرب، مرجع سابق،ج٣/ص١٩٠.

[٥] لسان العرب، مرجع سابق، ج١٢/ص٦٣.

فيهن من الرقة والمسارعة إلى التغير و الانثلام، كما يتسارع الانكسار إلى القارورة لرقتها))[١]، و قد ذكر ابن الأثير وجه الشبه في تشبيه النبي صلى الله عليه وسلم النساء بالقوارير حيث قال:((أراد النساء شبههن بالقوارير من الزجاج؛ لأنه يسرع إليها الكسر، وكان أنجشة يحدو وينشد القريض والرجز. فلم يأمن أن يصيبهن أو يقع في قلوبهن حداؤه فأمره بالكف عن ذلك...وقيل:أراد أن الإبل إذا سمعت الحداء أسرعت في المشي واشتدت فأزعجت الراكب وأتعبته، فنهاه عن ذلك لأن النساء يضعفن عن شدة الحركة.))[٢]

وقال الشريف الرضي في معنى الحديث:((وهذه استعارة عجيبة، لأنه عليه الصلاة والسلام شبه النساء في ضعف النحائز[٣]ووهن الغرائز بالقوارير الرقيقة التي يوهنها الخفيف، ويصدعها اللطيف، فنهى عن أن يسمعهن ذلك الحادي ما يحرك مواضع الصبوة، وينقض معاقد العفة))[٤].

أما الرافعي فقد أورد إشارة يسيرة، فذكر مناسبة الحديث وهي: أن أنجشة كان يسير ويحدو بالإبل التي كانت تمتطيها النساء، وينشد القريض والرجز، فأسرعت وتنشطت في سيرها الإبل فاهتزت الهوادج واضطربت النساء. ثم وضح معنى قوارير في قوله:((هي الزجاجات ووجه المعنى ظاهر، وكأنهن نور وصفاء و رقة ثم سلامة قلما تسلم إلا بشدة الصيانة والحفظ والمراعاة))[٥].

---

[١] الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحي بن حمزة الطالبي، المكتبة العصرية ،بيروت ، ، ١٤٢٣هـ، ج١/ ص٢٠٦.

[٢]النهاية في غريب الحديث والأثر، مرجع سابق، ج٤/ص٣٩.

[٣] النحائز: جمع نحيزة وهي الطبيعة، أي شبه النساء في ضعف الطبائع. الغريزة: الطبيعة. لسان العرب، مرجع سابق،ج١٤/ص٢١٠.

[٤] المجازات النبوية، مرجع سابق، ص٣٠.

[٥] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص ٢٦٥.

وذكر الرافعي أيضاً تراكيب بيانية أخرى ابتكرها الرسول صلى الله عليه وسلم لكنه لم يحللهكلكقولهﷺ بسِمَاتِهَا"[١]، وقوله صلى الله عليه وسلمينا"خيلَ الله اركبي"[٢]، وقوله صلى الله عليه وسلم:"لا تيطح فيها عنَزان"،[٣] وقوله صلى الله عليه وسلم:"يومٌ لهُ مَا بَعدَهُ".[٤]فاعتذر عن شرحها بقوله:"لو أردنا أن نستقصي في جمعها وفي شرحها واستنباط وجوه البيان منهالطال بنا القول جداً ورجع أمر هذا الفصل أن يكون في معنى التأليف كتاباً برأسه إن كنا لا نتلزم إلا جهة البيان وحدها"[٥].

فمنهج الرافعي في دراسته للبلاغة النبوية الوصف العام، وعدم الغوص العميق في التحليلات البلاغية واللغوية، وحبذا أنه توسع فتحليله اللغوي لحديثُ"نَةٌ عَلَى دَخَنٍ"[٦]وحديثُ"تُ فِي نَفْسِالسَّاعَةِ"[٧]حداً ثرٌّ وغني بالمعاني المبتكرة. وحبذا أنه شمل مع الجانب اللغوي الجانب الفني، فيتضح أن كتابات الرافعي اليسيرة في البلاغة النبوية أصيلة، لهذا أصبحت مرجعاً لكل دارسي البلاغة النبوية.

---

[١] لم أحصل عليه في كتب الحديث النبوي.

[٢] سنن أبي داود،ح٢٥٦٠، كتاب الجهاد، باب النداء عند النفير يا خيل الله اركبي،ج٣/ص٢٥.

[٣] حديث ضعيف، مسند الشهاب، محمد بن سلامة القضاعي(ط٢)، ح٨٥٦، تحقيق :حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤٠٧هـ، ج٢/ص٤٦.ورواه العسكري في الأمثال٢/٤٠٣.

[٤] البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر للطباعة،١٤٢٤هـ. ج٧/ ص٧.

[٥] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٦٥.

[٦] سبق تخريجه، ص٧٩.

[٧] سبق تخريجه، ص٨١.

ثالثاً : الحكمة "طابع النبوة"

الحكمة تعني: كمال العلم، وإصابة الأمر، ويبدو أن الرافعي قصد بالحكمة المعاني التي وردت في الحديث النبوي التي فيها طابع النبوة. فوصفها بقوله:((فإذا أنت أضفت إليها ما هناك، من سمو المعنى؛ وفصل الخطاب، وحكمة القول، ودنو المأخذ، وإصابة السر، وفصل التصرف في كل طبقة من الكلام وما يلتحق بهذه وأمثالها من مذهبه صلى الله عليه وسلم في الإفصاح، ومنحاه في التعبير، مماخُص به دون الفصحاء، وكان له خاصة، من عظمة النفس، وكمال العقل، وثقوب الذهن، ومنالمنزعَة الجيدة، واللسان المتمكن))[١]. فالحديث النبوي معانيه تخرج من حكمة النبوة، وتبصير الوحي، وتأديب الله، وأمر في الإنسان من فوق الإنسانية، [٢]وموضوعات الحديث النبوي تأتي للإرشاد والموعظة، وتجدها تشترك مع القرآن الكريم في الأهداف، فالنبي صلى الله عليه وسلممتصل بالله فلا يعرض له زيغ النفس ما يعرض لغيره من الناس، فينظر نظر المستيقن لا منظر المتخيل كالأديب الذي يصف الطبيعة والجمال والحب والمرأة. ((فالكون في نظر النبي صلى الله عليه وسلم آية الحكمة لا آية الفن، ومنظر المستيقن لا منظر المتخيل، ومادة العبودية لله لا مادة التأله للإنسان))[٣]. فموضوع بلاغة الأدباء عموماً حول هذه الأغراض :الطبيعة والمرأة والحب والجمال، وقد نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم استخدام بعض هذه الأغراض

نادراً؛ لكنها لم تأتِ في الحديث النبوي إلا للإرشاد والموعظة ، بل في معرض الحديث عن الخير والحلال، والشر والحرام.

ومثل الرافعي لهذه الأغراض التي جاءت في الحديث النبوي بما يفوت الوصف من الجمال والدقة، ظاهرة في الدَّلالة، ويظهر في وجه بلاغتها ما يظهر في وجه العذراء من طبيعة

---

[١] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٦١.

[٢] البلاغة النبوية في منظور الرافعي، مرجع سابق، ص٦٦.

[٣] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٧٦.

الحياء كقوله في النساء صلى الله عليه وسلم:((ارفقوا بالقوارير))[١]، فهنا قصد الرفق بالنساء، فشبههن بالقوارير، ووجه الشبه: الرقةوالحذر من كسرهن، وكذلك قوله لأسامة بن زيد–وقد كساقبطية[٢]فكساها امرأته–((ما لك لم تكس أختك؟ أما علمت أن تحت كسوتها عظامها))[٣]، وفيها أجمل تعبير عن هذا المعنى، وهو أن تشف ما تحتها من الأعضاء في حجمه وتكوينه، كما قال الشريف الرضي:((وهذه استعارة، والمراد أن القبطية برقتها تلصق بالجسم، فتبين حجم الثديين والرادفتين وما يشذ من لحم العضدين والفخذين، فيعرف الناظر إليها مقادير هذه الأعضاء حتى تكون كالظاهرة للحظه، والممكنة للمسه، فجعلها عليه الصلاة والسلام لهذه الحال كالواصفة لما خلفها والمخبرة عما استتر بها))[٤].

ويتضح أن الرافعي مع عنايته الفائقة بالمعاني في الأحاديث النبوية، نبه إلى الجمال الفني في التصوير بطريقة تحليلية وصفية، فقد ذكر سراً في هذا الحديث يعدُّ كما وصف من معجزات البلاغة النبوية؛ لم يهتد إليه الشريف الرضي، وهو منتهى السُّمو بالأدب، فذكر"أعضاء" المرأة بهذاالمعرِض هو في الأدب الكامل أشبه بالرفث،فلفظةُ "الأعضاء" تحت الثوب الرقيق الأبيض، تنبه إلى صور ذهنية كثيرة كما ذكر الرضي في شرحه للحديث، وهي تومئ إلى صور أخرى من ورائها أيضاً، فضرب النبي صلى الله عليه وسلم الحجاباللغويَّ على هذه المعاني السافرةِ، وتنزه لفظه بكلمة "العظام"؛ لأنها اللفظة الطبيعية المبرأة من كل نزغة شيطانية تثيرها لفظة الأعضاء، فالعظام لاتَقبل الالتواء ولا تحمل غرضاً ولا تثير معنى و لا تحمل أغراضاً أخرى، فهي تكون في الحي والميت، وفي الشباب والهرم، وفي الجميل

---

[١] سبق تخريجه،ص٧٠.

[٢] ثياب رقيقة مصرية منسوبة إلى قبط مصر.

[٣] مسند أحمد،ح ٢١٧٨٨، تتمة مسند الأنصار، حديث أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم،ج٣٦/ ص١٣٢-١٣٣.

[٤] المجازات النبوية، مرجع سابق، ص١٦٦.

والقبيح، والأعضاء لا تقوم إلا بالعظام، فالمجاز على ما ترى والحقيقة هي ما علمت[١]. وكل معاني الحديث النبوي تأتي للإرشاد للخير والموعظة للناس والنهي عن الحرام، مختلفة عن معاني الأدباء وأغراضهم الدنيوية. فالتمثيل في هذه الأحاديث، لم يرد منه صناعة الخيال بل توضيح الحقيقة والوصول إلى النفس والوجدان. فتتسم بالإبداع والتوازن الذي بلغ حد الكمال.

ويذكر الرافعي أنه لم يعرف بليغاً سلمت له جهات الصنعة في كلامه –من اللغة والبيان والحكمة– على أتمها. فجهة اللغة وجهة البيان لا تستقيمان؛ إلا بوجود طابع النبوة وهي سر من أسرار البيان النبوي ودقيقة من دقائق اللغة [٢].

سمات البيان النبوي الخاصة عند الرافعي :

وضع الرافعي ثلاث سمات ميزت الخطاب النبوي عن غيره من خطاب البشر.

أولاً : الخلوص

معنى الخلوص في اللغة مصدر خلص، وفي لسان العرب: «الخَلَصُ: الشَّيْءُ بِالْفَتْحِ، يَخْلُصُ خُلُوصاً وخَلاصاً إِذا كانَ قَدْ شِيبَ ثُمَّ نُجِّيَ مِمَّا خالَطَه. وأَخْلَصَ الشَّيْءَ وخَلَّصَه: أَخْلَصَ الخَلَصَ الشيءَ وتَخَلَّصَ هُوَ»[٣]، ويتضح أن الرافعي أراد به اللغة والأسلوب؛ أي كيفية الخلوص إلى المعنى بطريقة بديعة وأسلوب جميل. ويقصد بهأيضاً تخلص النبي صلى الله عليه وسلم مما يلحق أساليب البلغاء من النقص، فحسن التأليف والنظم مما يزيد المعنى وضوحاً وجمالاً كما قال العسكري:«حسن التأليف يزيد المعنى وضوحاً وشرحاً ، وحسن الرصف أن

[١] وحي القلم، مرجع سابق، ج ٣/ ص٦٤-٦٥.

[٢] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٦١-٢٦٢.

[٣] لسان العرب، مرجع سابق، ج٧/ص٢٦.

توضع الألفاظ في مواضعها، وتمكن في أماكنها... وتضم كل لفظة منها إلى شكلها"[1].وحديث الرافعي لمصطلح "الخلوص" يشير إلى نظرية النظم التي ذكرها عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، بأن ينفذ البليغ في جوهر اللغة وأسرارها في الوضع والتركيب، ويكون الأسلوب مجتمعاً على توثيق السرد و الملاءمة؛ كما قال الرافعي:"لم يكن في العرب ولن يكون فيمن بعدهمأبدَ الدهر من ينفذ في اللغة وأسرارهاوضعاً وتركيباً، ويستعبدُ اللفظ الحر، ويحيط بالعتيق من الكلام، ويبلغ من ذلك إلى الصميم على ما كان من شأنه صلى الله عليه وسلم، ولا نعرف في الناس من يتهيأ له الأسلوب العصبي الجامع المجتمع على توثق السرد وكمال الملاءمة، كما تراه في الكلام النبوي"[2]، فيبدو فيه شبه كبير بكلام الجرجاني عن النظم، فمفهوم نظرية النظم هو معرفة أوضاع اللغة، والتغلغل بأعماق النصوص،و اختيار أدق الألفاظ، وأحسن التراكيب. والربط بين الأجزاء والعلاقات، والملاءمة بين العناصر، وعدم الوقوف عند ظواهر اللفظ لكن الرافعي هنا اختلف عن النظم بمسمى المصطلح فقط.وآلرافعي هنا اختصر جداً في تحليله لهذه السمة فوصفها وصفاً عاماً .

ثانياً : القصد

القصد في اللغة يعني كما ذكر ابن منظور[3]: قَصَدَ الطَّرِيقَ يَقْصِدُ قَصْدًا فَهُوَ قَاصِدٌ وَقَصَدَ لَهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ أَيْ بَيَانُ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ

---

[1] كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق:علي البيجاوي- محمد إبراهيم،ص١٤٧-١٤٨، المكتبة العصرية،بيروت، ١٤١٩هـ.

[2] إعجاز القران والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٧١.

[3] البلاغة النبوية في منظور الرافعي: قراءة في المنهج، مرجع سابق، ص٦٨.

[4] سورة النحل، الآية: ٩.

بِالْحَالُ الْحَجَاجِ وَإِلَى الْبَهَارِ اهِينِ الْوَاضِحَةِ))[١]، ونقل ابن سيده عن ابن جني معاني القصد ومواقعها في كلام العرب:((الاعتزام، والتوجه، والنهود، والنهوض نحو الشيء))[٢].

أما الرافعي فقد أراد به هنا الإيجاز، أي: قصر الألفاظ على ما يحتمله المعنى دون زيادة، والاقتصاد على جوهر الكلام، حيث قال: القصد والإيجاز والاقتصاد على ما هو من طبيعة المعنى في ألفاظه ومن طبيعة الألفاظ في معانيها. ومن طبيعة النفس في حظها من الكلام من جهتين "اللفظية والمعنوية"))[٣]،ويعد أبرز سمات البلاغة النبوية، ويعني التعبير عن الأفكار الواسعة والمعاني الكثيرة بأقل عدد من الألفاظ تؤدي المقصود من غير خلل بالمعنى. وأول من تطرق للإيجاز من العلماء هو الجاحظ وعرفه بأنه:((هو الجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة))[٤]. و الرماني يقول في الإيجاز إنه:((تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى، و إذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة ويمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة، فالألفاظ القليلة إيجاز))[٥]، أما العسكري فقد عرف الإيجاز بأنه:((قصور البلاغة على الحقيقة، وما تجاوز مقدار الحاجة فهو فضلداخل في باب الهذر والخطل))[٦]. و السكاكي فعرفه بأنه:((أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط))[٧]. ويقول الطيبي في معناه:((إيجاز الكلام في إشباع من المعنى، فالكلمة القليلة الحروف منها تتضمن كثيراً من المعاني، وأنواعاً من الكلام))[٨]، ويعتبر الإيجاز

---

[١] لسان العرب، مرجع سابق، ج٣/ص٣٥٣.

[٢] المحكم والمحيط الأعظم، علي بن سيده المرسي، تحقيق:عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ ج٦/ص١٨٧.

[٣] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٧١.

[٤] الحيوان، مرجع سابق، ج٣/٨٦.

[٥] النكت في إعجاز القرآن، علي بن عيسى أبو الحسن الرماني(ط٣)، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف،مصر، ١٩٧٦م، ص٧٦.

[٦] كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، مرجع سابق، ص١٧٣.

[٧] مفتاح العلوم، يوسف السكاكي الخوارزمي (ط٢)، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ، ص٢٧٧.

[٨] شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى الكاشف عن حقائق السنن، مرجع سابق، ص١١.

وحذف فضول الكلام عند جمهور البلغاء من أشهر دلائل الفصاحة وبلاغة الكلام. فلا يؤتى الإيجاز إلا من كان حاد الذهن، مرهف الإحساس، ذا معرفة بدلالة اللفظ، ومدركاً لحال المخاطب، فلا يقدر عليه إلا الفصيح. والإيجاز من خصائص أسلوب الحديث النبوي، ووصفه الرافعي بأنه:((مما امتازت به البلاغة النبوية حتى كأن الكلام لا يعدو فيها حركة النفس، وكأن الجملة تخلق في منطقه – صلى الله عليه وسلم –خلقاً سوياً أو هي تنزع من نفسه انتزاعاً، وهذا عجيب حتى ما يمكن أن يعطيه امرؤ حظه من التأمل إلا أعطاه حظ نفسه من العجب)).[١] وهنا أيضاً اختصر الرافعي الكلام إذ وضع بمقارنة مع حديثه عن الفصاحة النبوية، وأتى بمسمى"القصد"بدلاً من الإيجاز الذي تحدث عنه البلاغيون القدماء.

ثالثاً : الاستيفاء

معنى الاستيفاء في اللغة: هو أخذ الشيء بكماله، والإتيان به بتمامه.[٢]

وأراد به الرافعي إيجازاً مع الوفاء بحق المعنى. وحذف فضول الكلام، والقدرة على تركيب الألفاظ تركيباً يقتضيه المعنى حين قال موضحاً معناه:((إنمّا تتم في بلاغته صلى الله عليه وسلم بالأمر الثالث. وهو الاستيفاء، الذي يخرج به الكلام –على حذف فضوله وإحكامه ووجازته– مبسوط المعنى بأجزائه ليس فيها خداج ولا إحالة ولا اضطراب))[٣] فتكون أجزاء المعنى كما ذكر الرافعي مبسوطة يفهمها السامع ويستوعبها دون تعب وتفكر. فالقصد باللفظ والوفاء بحق المعنى من أساليب القرآن المعجزة[٤]، وهو ضرب قلما يستحكم لامرىء إلا بتأييد من الله، فما هو اكتساب ولا تمرين، ولا هو أثر من أثرهما في التفكير والاعتبار، ولا

---

[١] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٧١.

[٢] معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني، تحقيق:عبد السلام هارون، دار الفكر،١٣٩٩هـ، ج٤/ ص١٢٤. لسان العرب، مرجع سابق، ج١٥/ص٣٥٩.

[٣] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٧١-٢٧٢.

[٤] النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، محمد عبد الله دراز، دار القلم، ١٤٢٦هـ، ص١٤٣.

هو غاية من غايات هذين في الصنعة والوضع، إنما هو إعطاء وإيتاء ونعمة من الله تحدث عنها الرسول صلّى الله عليه وسلّم بقولهِ: ((بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ))[١]، فتأتي الألفاظ على قدر المعاني لا تزيد عنها ولا تنقص.

فالاستيفاء بلاغة وجمال، لأنه لا يظهر فيه إخلال بالمعنى المدلول، كما يعد الاستيفاء تابعاً للسمة الثانية "القصد"[٢] من سمات البلاغة النبوية كما عدها الرافعي[٣]. وجاء حديثه عن السمات مقتضباً مقارنة بحديثه عن الفصاحة النبوية، وحبذا أنه لو توسع في هذه المسألة لكان أجدى له وأفضل؛ فالفصاحة النبوية قد أشار إليها العلماء كالجاحظ والخطابي وغيرهما، أما البلاغة المحمدية التي تحققت فيها شروط الخطاب الناجح فهي الجديرة بالتوسع في دراستها. واتصف منهجه في دراسة نسق البلاغة النبوية بطابع العمومية في إصدار الأحكام، وسرد الكثير من العبارات الوصفية، فلم يعتمد على الدراسة العلمية وعلى الوصف الموضوعي، والتحليل اللغوي، وهذا بسبب تعلق الرافعي بمناهج القدماء فجعله يفضل طريقتهم في البحث والتحليل والاستدلال[٤].

فالرافعي يرى بأن اجتماع سمات البلاغة النبوية الثلاثة التي عدّها معاً ، وبناء بعضها على بعض، هو سر البلاغة النبوية. حين قال:((ولاجتماع تلك الثلاثة في كلامه صلى الله عليه وسلم وبناء بعضها على بعض، سلم هذا الكلام العظيم من التعقيد والعي والخطل، والانتشار وسلمت وجوهه من الاستعانة بما لا حقيقة له من أصول البلاغة، كالمجاز البعيد

---

[١] صحيح البخاري ،ح ٧٠١٣، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ،باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بجوامع الكلم ، ج٩/ص٣٦.

[٢] البلاغة النبوية في منظور الرافعي قراءة في المنهج، مرجع سابق، ص٦٩.

[٣] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٧٢.

[٤] البلاغة النبوية في منظور الرافعي قراءة في المنهج، مرجع سابق، ص٦٨-٧٠.

الذي يغوص إلى الأعماق الخيالية، وضروب الإحالة، وفساد الوضع المعنوي، وفنون الصنعة، وما إليها مما هو فاش في كلام البلغاء))[١]، فيبدو أنهاسر التوازن البلاغي عنده الذي يقربها من الكمال. كما يرجع الجمال الفني في البلاغة النبوية إلى سموه الروحي، واتصاله بالملأ الأعلى، فأراد عز وجل أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم برسالته نقطة تحول في حياة البشرية وتاريخها.

ويلاحظ أن الرافعي عني في هذا المبحث بالسمات التي ميزت البيان النبوي، فقد وصف أساليب البلاغة النبوية، ووضح أن جمال الألفاظ والمعاني كأنما بينه مقياس وميزان، والسبب في ذلك الوضوح البياني العجيب راجع للنبوة. وكان كلامه موجزاً عن إصدار الأحكام على المعاني، والنظم، والأسلوب.وكان تأثره بالعلماء القدماء جلياً . فقد حلل بعض التراكيب البيانية النبوية المبتكرة وشرح ميزاتها الفنية والأدبية. واجتهد في بيان ما خفي من المعاني، مستعينا في ذلك بكتب غريب الحديث، وقد جاء في بعض تحليلاته بدلالات لم يسبق بها.

وعُني الرافعي بالمعاني اللغوية والفكرية للحديث النبوي في تحليله، لكنه لم يتعمق في التحليلات الفنية والبلاغية، وحبذا أنه شمل مع الجانب اللغوي الجانب الفني. وقد ذكر أن الخطاب النبوي يسمو عن خطاب البشر؛ فموضوعات الحديث النبوي مادتها العبودية لله، تأتي للإرشاد والموعظة، أما موضوع الأدباء عموماً حول هذه الأغراض: الطبيعة والمرأة والحب و الجمال، وهذا موضوع جدير بالدراسة.

ويعد أول منعُني بالأصوات اللغوية والموسيقى في الحديث النبوي في العصر الحديث، وكانت عبارته وصفية أدبية ممزوجة بانطباعاته النفسية، يصدر أحكاما عمومية، ولم يتجاوز ما ذكره العلماء القدماء في ذلك. ويتضح أن كتابات الرافعي اليسيرة في البلاغة النبوية أصيله لهذا أصبحت مرجعاً لكل دارسي البلاغة النبوية في العصر الحديث.

---

[١] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٢٧.

المبحث الخامس: أثر الحديث النبوي في اللغة عند الرافعي

أثرت بلاغة الحديث النبوي الشريف فياللغة تأثيراً كبيراً، وساعد القرآن في حفظ هذه اللغة وانتشارها؛ ولذاكان الحديث المُصدرَ الثاني من مصادر الأدب، كما وصف تأثيره السيوطي قائلاً :((علم الحديث واللغة أَخوان يجريان مروادٍ واحد))[١]، فتأثر الخطباء والكتاب والشعراء بروعة البيان النبوي، واقتبسوا منه، وحاولوا السير على نهجه. وأقبل الدارسون والعلماء من مختلف الأمصار الإسلامية يتدارسونه ويحفظونه ويشرحونه؛ فكانسبباً في وجود الكثير من العلوم؛ فقد أفاد الفقهاء وعلماء الحديث وكذلك أهل اللغة من هذه الأحاديث النبوية ف((أخذوا يدرسونها، ويستفيدون من ألفاظها وأخيلتها وصورها. وأرباب البلاغة والأدب يترسمون أثرها فيما أحدثت مرمعانٍ بليغة، وتعابير فصيحة، وجمل خالدة))[٢]، مما كان له الأثر الجم في تهذيب الألسنة، والقضاء على الوحشي والتعقيد في اللغة العربية.

والرافعي في بداية حديثه عن تأثير البلاغة المحمدية في اللغة، عاد إلى ذكر فصاحة لغة قريش وعذوبتها، وأنهنضَادُ النبي صلى الله عليه وسلم من أعمامه وأهله وعشيرته، وأن له رتبة بعيدة المصعد في النشأة اللغوية، ثم تحدث عن ابتكاره صلى الله عليه وسلم في اللغة وتأثيره فيها، وفي قدرته على الوضع فيها، وانتزاع الطرائق البيانية، حتى اقتضبألفاظاً كثيرة لم تسمع من العرب قبله، ولم توجد في متقدم كلامها، وهي تعد من حسنات البيان، لم يتفق لأحد مثلها في حسن بلاغتها، وقوة دلالتها، وغرابة القريحة اللغوية في تأليفها وتنضيدها، وكلها قد صار مثلاً، وأصبحميراثاً خالداً في البيان العربي فمنه ما يكون في الأوضاع التركيبية ومنها ما يكون في الأوضاع المفردة،[٣] وحديثه هنا يبدو أنه محاكاة لقول الخطابي:((ومن فصاحته وحسن بيانه أنه قد تكلم بألفاظ اقتضبها لم تسمع من العرب قبله ولم توجد في متقدم كلامها...تجري

---

[١] المزهر في علوم اللغة و أنواعها، مرجع سابق، ج٢/ص٢٦٨.

[٢] أدب الحديث النبوي، مرجع سابق، ص ١١٤.

[٣] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٥٣-٢٥٤.

مجرى الأمثال))[١]. و محاكاة أيضاً لقول الجاحظ:((مما لم يسبقه إليه عربي، ولا شاركه فيه أعجمي، ولم يُلمَّ لأحدٍ ، ولا ادعاه أحد، مما صارمستعملاً ومثلاً سائراً))[٢]. ويتضح مقصد الرافعي بالأوضاع التركيبية؛ مدى إثراء الحديث النبوي للغة العربية بألفاظ وعبارات جديدة ابتكرها النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرفها العرب قبله. ومثَّل الرافعي لهذه التراكيب بقول الرسول صلى الله عليه وسلم**هذا حتف أنفه**))[٣]، وكذلك قوله في الحرب**الآن حَمِي الوطيس**))[٤]، وقولُه:((**بُعِثْتُ فِي نَفَسِ السَّاعَةِ**))[٥]، وقد سبق بيانه في المبحث الرابع.[٦]

وقد أسهم الحديث النبوي في توسيع دائرة المادة اللغوية، وكان له أثره الواضح كما ذكر الرافعي في"الأوضاع المفردة"، وذلك بنقل بعض الألفاظ من معناها إلى معنى آخر ديني وتشريعي وفقهي، ومن هذه الألفاظ:المسلم والكافر، والصلاة والزكاة...الخ، فمثلاً الصلاة: أصلها في اللغة قبل الإسلام الدعاء. وصارت بعده تعني عبادة مخصوصة، تؤدى بحركة و بأسلوب مخصوص يُبدأ بها بتكبيرة الإحرام وتُنهى بالتسليم.[٧] فهي لم تكن متداولة من قبل بهذا المفهوم الخاص الذي صار لها بعد الإسلام، فاتسعت بفضله اللغة العربية مادةً ومضموناً .كما عد هذه المصطلحات الشرعية من اشتقاق المفردات عند الرسول صلى الله عليه وسلم التي لم ترد في القرآن،[٨] وهنا يتضح أيضاً محاكاته لقول الخطابي:((وقد يدخل في هذا النوع إحداثه الأسماء الشرعية))[٩]. فالحديث النبوي الشريف هو الشارح لمعاني القرآن الكريم

---

[١] غريب الحديث للخطابي، مرجع سابق، ص٦٥-٦٦.

[٢] البيان والتبيين، مرجع سابق، ج٢/ ص٢.

[٣] سبق تخريجه ص٧٥.

[٤] سبق تخريجه ص٧٧.

[٥] سبق تخريجه ص٨١.

[٦] للاستزادة انظر ص٧٥.

[٧] المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مرجع سابق، ج١/ص ٢٩٥.

[٨] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص ٢٥٤.

[٩] المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مرجع سابق، ص١٦٦.

وأحكام الشريعة الإسلامية، أثّر في اللغة وطّور بعض معاني الألفاظ العربية، كما أضاف لها معاني جديدة تعرف في الأوساط بـ "المصطلحات الإسلامية أو الشرعية". كما ذكر ذلك ابن فارس قائلاً :((كانت العرب في الجاهلية على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم، فلما جاء الله تعالى بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات وأبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر، بزيادة زيدت وشرائع شرعت، وشرائط شرطت، فعفى الآخر الأول))[١]. كما أن هناك ألفاظاً كان العرب أنفسهم يسألون النبي-صلى الله عليه وسلم- عنها ويعجبون لانفراده بها وإحداثه لها في اللغة وهم عرب مثله؛ فليس غريباً إذا رأيت الحديث النبوي يوضح معاني كلمات سواء أكانت ليست معروفة لدى العرب قبل، أو جاء الحديث بتعريف آخر لها غير المتعارف عليه. وقد مثل الرافعي لها بما روي عن الرسول أنه صلى الله عليه وسلم قال لأبي تميمة الهجيمي((إياك والمخيلة))[٢]فقال: يا رسول الله، نحن قوم عرب؛ فما المخيلة؟ فقال عليه الصلاة والسلام:((سبل الإزار))[٣]، ومرت الكلمة بعد ذلك على هذا الوضع، يراد بها الكبر والخيلاء.[٤] فمهمة الحديث النبوي الشريف ظهرت هنا في شرح الغامض وتوضيحه، وبيان ما يجهل من الأمور الدينية واللغوية.

وذكر الرافعي أن للحديث النبوي في نشأة الكتابة وصناعتها أثراً عظيماً ، بدأ تمثيلها بما صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب فقد قال:((ولا يفوتنا أن ننبه على أن صناعة الكتابة إنما كان ابتداء تمثيلها بما صدر عنه صلى الله عليه وسلم من الكتاب ولم يكن

---

[١] الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس الرازي، الناشر محمد علي بيضون، ١٤١٨هـ، ص٤٤.

[٢] لم يرد بهذه الصياغة في كتب الحديث، وقد ورد في صحيح البخاري بلفظ آخر، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة،ح:٥٧٨٤، كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء، ج٧/ص١٤١.

[٣] الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد(ط٣)، تحقيق: محمد إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٧هـ، ج/١، ص٣٩.

[٤] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٥٤.

ذلك من أمر العرب قبله إنما كانوا يستودعون رسائلهم في الألسنة"[١] كما استشهد الرافعي بأن ابن عساكر أحصى ثلاثةً وعشرينكاتباً ، وكان أكثرهم كتابة: زيد بن ثابت، و معاوية بن أبي سفيان، ونشأت الكتابة التاريخية سواء كانت في السيرة النبوية أم تراجم المحدثين للحكم لهم، أو عليهم فيما روى عنهم، وبالتالي كان الحديث الشريف السبب في أن المسلمين أكثر الأمم عنايةً بتأريخ رجالهم[٢]. "ولا ينكر أحد تأثير الرسول صلى الله عليه وسلم في اللغة العربية:علومها وآدابها بما حفز العلماء من التأليف في السيرة النبوية وفي تأريخ المحدثين وتواريخ الرجال، بل ليس من المبالغة في شيء القول بأن الحديث النبوي هو الذي فتح أمام العلماء باب الكتابة التاريخية"[٣]، فقدعتمد العلماء على التاريخ اعتماداً عظيماً ؛ لكي يدحضوا كذب المفترين على النبي صلى الله عليه وسلم فقد قال سفيان الثوري:"لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ"[٤].

وذكر الرافعي في حديثه عن تأثير البلاغة النبوية في اللغة أنه صلى الله عليه وسلم استعمل بعض الغريب في مخاطبته وفود العرب بلهجات القبائل التي لا يعرفها قومه، ولا تهتدي إليها قريش فهي ألفاظ خاصة بأهلها ولا يعرفها إلا من يداخلهم ويقاربهم، ولا تجوز في غير أرضهم، ولا تسير كما تسير أخبارهم، وانفرد النبي صلى الله عليه وسلم بمعرفة هذه الألفاظ الغريبة دون قومه الذين ضربوا في الأرض للتجارة وخالطوا العرب وسمعوا مناطقهم في أرضهم، وحين يقدموا لموسم الحج، ومع ذلك لا يعلمون من هذا الغريب بعض ما يعلمه. ويظهر أن السبب في وجود هذه الألفاظ التي خاطب بها أبناء القبائل بلهجاتهم المختلفة التي لا يتيسر فهمها على الحاضرين كما ذكر الخطابي أنه:"قد يتكلم صلى الله عليه وسلم في بعض النوازل، وبحضرته أخلاط من الناس قبائلهم شتى، ولغاتهم مختلفة، ومراتبهم في الحفظ والإتقان غير

---

[١] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٥٥.

[٢] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٥٥.

[٣] الروائع والبدائع في البيان النبوي، مرجع سابق، ص٣٤.

[٤] الكفاية في علم الرواية، أحمد الخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبد الله السورقي- إبراهيم المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ص١١٩.

متساوية، وليس كلهم يتيسر لضبط اللفظ وحصره، أو يتعمد لحفظه ووعيه، وإنما يستدرك المراد بالفحوى، ويتعلق منه بالمعنى، ثم يؤديه بلغته ويعبر عنه بلسان قبيلته، فيجتمع في الحديث الواحد إذا انشعبت طرقه عدة ألفاظ مختلفة موجبها شيء واحد))[١]، وأيضاً الغريب في مخاطبته للملوك والأعراب في الرسائل. ووضع الرافعي أمثلةً لهذا الغريب من رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم للنازحين من الأعراب. التي كان يمليها، وذكر أن السبب في التمثيل لها، لكي نميز اللغة التي ذهبت خشونتها وانسحقت في الألسنة، ولنعلم أنه يخاطب بها أهلها خاصة، فلا تغلب عليه أو تنقص من فصاحته، أو تضعف أسلوبه،كما هو الشأن في أهل الغر يب من هذه اللغة، وفيمن يتباصرون به ويتكلفون لذلك وهم أهل التوعر والتقعير واستهلاك المعاني. فقد نقل الرافعي كتابه صلى الله عليه وسلم لوائل بن حجر الكندي،[٢] أحد أقيال حضرموت:((إلى الأقيال العباهلة، والأرواح المشابيب[٣]... وفيه: وفي التيعة[٤]شاة لا مقورة الألياط[٥]، ولا ضناك، وأنطوا الثبجة[٦]. وفي السيوب الخمس[٧]، ومن زنى مم بكر[٨] فاصعقوه مائة، واستوفضوه[٩] عاما.

---

[١] غريب الحديث للخطابي، مرجع سابق، ج١/ص٦٨.

[٢] وائل بن حجرالحضرمي ّ القحطاني، أبو هنيدة، أحد ملوك حضرموت، انظر الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي(ط١٥)، دار العلم للملاين،٢٠٠٢م.ج٨ /ص١٠٦ .

[٣] الأقيال العباهلة: أي الملوك القار ملكهم. الأرواح المشابيب: الحسان الوجوه السادة الرؤساء. ينظر العقد الفريد، أحمد ابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: محمد قميحة، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت. ١٤٠٤هـ.ص٣٠٦.

[٤] التيعة شاة: هي الأربعون من الغنم، فيها شاة وخمس الإبل فيها شاة، وأصله من التيع وهو الفئ. انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، مرجع سابق، ج١/ص٧٥.

[٥] مقورة الألياط:الاقْورار: الاسترخاء في الجلود،والأَلْياطُ :جمع ليط؛ وهو قشر العود شبهه بالجلد لالتزاقه باللحم؛ أَراد غير مسترخيةالجلود لم ُزالها. ينظر لسان العرب، مرجع سابق، ج ٧/ص٣٩٦.

[٦] الضناك: الكثيرة اللحم. وأنطوا الثبجة:أي أعطوا، الوسط من الصدقة. ينظر العقد الفريد، مرجع سابق، ج١/ص ٣٠٦.

[٧] السيوب :الركاز وأخذ من السيب وهو العطية، وقيل السيوب عروق من الذهب والفضة تسيب في المعادن أي يتلون فيها ويظهر، انظر :الشفا بتعريف حقوق المصطفى، مرجع سابق، ج١/ص٧٥.

[٨] مم بكر ومم ثيب: أي من بكر أو من ثيب،لغة يمانية فتقلب النون ميماً . انظر :الشفا بتعريف حقوق المصطفى، مرجع سابق، ج١/ص٧٥.

[٩] فاصقعوه: أي اضربوه. استوفضوه: أي انفوه. انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى، مرجع سابق، ص.٧٦.

ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالأضاميم[١]. ولا توصيم في الدين، ولا غمة في فرائض الله تعالى، وكل مسكر حرام و وائل بن حجر يترفل[٢] على الأقيال"[٣]، وقد أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الكتاب بعض أحكام الإسلام، من إقامة للصلوات الخمس، وأداء الزكاة الواجبة في المال والزروع، و أن يأخذ الزكاة على التيعة: وهي أدنى ما تجب فيه الزكاة من الحيوان، وكذلك في الركاز من المعادن، وبين أحكام الزنا، من البكر ومن الثيب، وشدد الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابه على عدم التواني في تطبيق شريعة الله، أو التستر على من لم يطبق فرائض الله عز وجل.كما نهى عن المسكر وبين حرمته[٤]، واستعمل وائل على الأقيال من حضرموت، كما أدخل في هذا الباب الرافعي كلامه صلى الله عليه وسلم مع ذي المشعار الهمداني[٥]، وطهفة النهدي،[٦] وقطن بن حارثة العليمي[٧]، والأشعث بن قيس[٨]، وغيرهم من أقيال حضرموت ورجال اليمن، وقد أحصاه أهل الغريب وفسروه،ونقل الرافعي أيضاً كتابه إلى

---

[١] التضريج: التدمية، الأضاميم: حجارة الرجم. انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى، مرجع سابق، ص.٧٦.

[٢] الوصم: الكسل والتواني. ولا غمة: أي ولا تستر ولا تخفى. يترفل: يترأس. انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى، مرجع سابق، ص.٧٦.

[٣] المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني(ط٢)، تحقيق: حمدي السلفي،ج٢٢/ص٤٨، مكتبة ابن تيمية، القاهرة. غريب الحديث للخطابي، مرجع سابق،ج١/ص٢٨٠. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ج١،مرجع سابق، ص٧٥-٧٦. النهاية في غريب الحديث والأثر، مرجع سابق، ج١٢٢/٤. غريب الحديث لابن الجوزي، مرجع سابق، ج٢٧٥/٢. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٥٦.

[٤] من رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم، حازم عوض، وكالة الصحافة العالمية-دار الكتب المصرية، مصر،٢٠١٧م. ص٢٦-٢٧.

[٥] مالك بن نمطن قيس الهمداني ّ الأرحبي، من رؤساء همدان، وكان يلقب بذي المشعار. الأعلام ، مرجع سابق، ج٢٦٧/٥.

[٦] طهفة بن أبي زهير النهدي، وقيل طهية، وقدم مع وفد بني نهد من غوري تهامة. انظر الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل عبد الموجود- علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، ج٣/ص٤٤٤.

[٧] قطن بن حارثة العليمي، من بني عليم بن جناب بن كلب. انظر الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق، ج٣٤١/٥.

[٨] الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي، أبو محمد: أمير كندة في الجاهلية والإسلام،(٢٣ ق هـ- ٤٠هـ)، انظر الأعلام، مرجع سابق، ج٣٣٢/١.

همدان[١]، وذكر منه: ((... إن لكم فراعها ووهاطها وعزازها، تأكلون علافها، وترعون عفاءها؛ لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة، ولهم من الصدقة الثلب[٢]والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحواري[٣]، وعليهم فيها الصالغ والقارح[٤]))[٥]، والمراد أن ما ذكر يحسب في عدد النصاب، و لا تؤخذ الزكاة منه، إما لأنه نفيس أو لأنه خسيس، و إنما تؤخذ من الوسط[٦]. وقد خصصت معظم كتب النبي صلى الله عليه وسلم لعظماءوكبار هم بالمراسلة؛ لأنهم أقدر الناس علىالتّأثير في شعوبهم والتغيير، فهم يملكون السلطة والقرار. كما برز في هذه الرسائل الأدب النبوي الجزيل، وتميزت بالإيجاز الوافي في عرض دعوته، وهذا من وافر بلاغته صلى الله عليه وسلم:((فكأن الله عز وجل قد أعلَمه ما لم يكن يعلَمه غيره من بني أبيه، وجمع فيه من المعارف متفر ّق ولم يوجد في قاصي العرب ودانيه))[٧].

---

[١] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٥٦-٢٥٧.

[٢] فراعها: ما ارتفع من الأرض. وهاطها: المطمئن من الأرض. عزازها: ما اشتد من الأرض وصلب. علافها: ما تأكله الماية. عفاءها: ما ليس لأحد فيه ملك. لنا من دفئهم و صرامهم: من إبلهم وغنمهم، وقيل سميت دفئا؛ لأنها يتخذ من أوبارها وأصوافها ما يتدفئون به. الميثاق: الإسلام. الثلب: الهرم من الإبل. انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى، مرجع سابق، ج١/ص٧١.

[٣] الفالنَّابُ والنَّيُوبُ : الناقة المسنة، سموها بذلك حين طال نابها وعظم. انظر لسان العرب مادة "نيب"، مرجع سابق، ج١/ص٧٧٦. الفصيل: ولد الناقة الذي فصل عن أمه انظر لسان العرب مادة"فصل"،مرجع سابق،ج١١، ص٥٢٢. الفارض: الضخم من كل شيء، الفارض أي الهرمة المسنة. انظر لسان العرب مادة"فرض"، مرجع سابق، ج٧/ص٢٠٣. الداجن: الدابة التي تألف البيت. انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى، المرجع السابق، ص ٧٢.

الكبش الحواري: الذي يتخذ من جلده فراش، وقيل المكوي، منسوب إلى الحوراء، وهي كية مدورة، ويقال: حوره إذا كواه هذه الكية. انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى، المرجع السابق،ص ٧٢.

[٤] الصالغ و القارح:هو من البقر والغنم الذي كمل وانتهى سنه، وذلك في السنة السادسة. انظر لسان العرب مادة "صلغ"، مرجع سابق. ج٨/ص٤٤١.

[٥] الشفا بتعريف حقوق المصطفى، مرجع سابق، ج١/ص٧١-٧٢. الفائق في غريب الحديث والأثر، مرجع سابق، ج٣/ص٤٣٣-٤٣٤. النهاية في غريب الحديث والأثر، مرجع سابق،ج٣/ص٤٣٦. غريب الحديث لابن الجوزي، مرجع سابق،ج٢/ص١٨٨. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٥٧.

[٦] شرح الشفا للهروي، مرجع سابق، ج١/ص١٨٦-١٨٧.

[٧] النهاية في غريب الحديث والأثر، مرجع سابق، ج١/ص٤.

و كان لبلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم وفصاحته تأثير واضح في اللغة، وفي زيادة الأساليب البليغة في محيط الأدب العربي، قال الرافعي:((فانظر ما عسى أن يحدث من مبلغ أثرها في اللغة وضعاً واشتقاقاً واستجازة وتقليباً، وما عسى أن يبلغ القول في مظاهرها من مخارج الكلام ووجه إرساله وإحكام تنضيده واجتماع نسقه؛ ثم تدبر ما عسى أن تكون جملة ذلك قد أثرت في العرب ومناطقها وأساليبها))[١]. ويتضح أن تأثير الحديث الشريف باللغة العربية كان تأثيراً جلياً مما هيأ لظهور أنواع مختلفة من التأليف، فالحديث النبوي:((هيأ لظهور نوع من التأليف العلمي؛ هو كتب الطبقات في كل فن من فنون المعرفة،فضلاً عما شجع عليه العلماء من التأليف في علوم الحديث وعلم التفسير والفقه وأصوله))[٢]. كما كان للتأثير في الكثير من العلوم ومنها علم النحو فإن:((العصر الذي نشطت فيه الحركة النحويَّة،ودُونت فيه كتب النحو كان متأثراً بما نشط فيه من علوم الدين من حديث وفقه))[٣]، كما يتضح أن الحديث النبوي الشريف شارك في وضع اللبنات الأولى لمصادر صناعة المعجم عند العرب، فقد((اعتمدت المعاجم العربية على معاجم غريب الحديث كمصادر أساسية لجمع المادة اللغوية؛ فباستقراء مقدمات المعاجم العربية، يتضح جلياً مدى استفادة المعجميين من المادة اللغوية الغزيرة التي اشتملت عليها مصنفات غريب الحديث))[٤]، فكتب غريب الحديث تعد من أهم المصادر اللغوية فهي:((تحفل بالقضايا اللغوية المتنوعة على غرار بيان الفروق اللغوية، ومعالجة ظاهرة التغير الدلالي للألفاظ، والوقوف على بعض لغات العرب ومعالجة التصحيح اللغوي، والتنبيه عن اطلاع مؤلفيها على اللغة والحديث الشريف معاً، والتبحر في مسائلهما،

---

[١] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٥٧-٢٥٨.

[٢] الروائع والبدائع في البيان النبوي، مرجع سابق، ص٣٤.

[٣] النحو العربي العلة النحوية نشأتها وتطورها، مازن المبارك، دار الفكر ، بيروت،١٩٧٤م، ص ٨٠.

[٤] مصنفات غريب الحديث وأثرها في صناعة المعاجم اللغوية، حاج هني محمد، جامعة حسيبة بن بو علي، الشلف، العدد: ٣٨، مجلة المنهل، جدة، ٢٠١٦.ص٦٥.

كما تمثل هذهالمصنّفات بحقمصدراً لغوياً هاماً أثرى المعاجم اللغوية القديمةمادةً ومنهجاً ((١)، كما جاء الحديث النبوي الشريف في المرتبة الثانية في الاستشهاد به بعد الشعر في المعاجم:((حسب دراسة إحصائية لنسبة الاستشهاد بالحديث الشريف في المعاجم العربية قام بها الباحث أشرف أحمد حافظ تم التوصل إلى أن الحديث النبوي الشريف يأتي غالباً في المرتبة الثانية بعد الشعر العربي في عدد مهم من: المعاجم اللغوية... فهذه الدراسة توضح بجلاء مدى استثمار المعجميين العرب للمدونة الحديثية في إثبات قواعد العربية، والتأصيل لاستعمالاتها))[٢].

واكتفى الرافعي بما ذكره عن تأثير الحديث النبوي في اللغة، ثم ألقى بالعتب على العلماء السابقين، حين قال:((رأينا علماء اللغة وأهل العربية قد طرحوا أمثلة اختلاف اللغات في كتبهم فلا قيمة لها عندهم إلا حيث يطلبها الشاهد وتقتضيها النادرة في عرض كلامهم؛ لأنهم لم يعتبروهاباعتبار ً ا تاريخياً، فقد عاصروا أهلها، واستغنوا بهذه المعاصرة عن توريث تاريخها لمن بعدهم))[٣]، فإنهم لم يوضحوا حالة اللغة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يبينوا ما كان له من الأثر في أوضاعها وتقليبها، وكيف كانت اللغة قبله، وكيف صارت بعد استفاضة الإسلام والاجتماع على المضرية، وإلى ما يداخل ذلك من أبواب التاريخ اللغوي، بل اكتفوا بالإجماع على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب، وأعلمهم بلغاتها، لكنهم تركوا التوسع بتفصيل ما أجمعوا عليه، وتبيين أسبابه، ولم يكتبوا في نشأته، حتى إن الذين وضعوا الكتب في علم غريب الحديث، لم يتطرقوا للغة وتقلباتها في العهد النبوي، مع أنها مبنى علمهم، وجهة تأليفهم، بل اكتفوا بالجمع والإكثار، وإيراد الألفاظ وتفسيرها، وبيان صحة المعنى، وجودة الاستنباط، ويغْفلون ما وراء ذلك من تأريخ اللفظ، ونسبه في القبائل، وتسلسله في الألسنة، فأحيوا بعلمهم فروعاً في اللغة وأماتوا فروعاً في التاريخ.[٤]

---

[١] مصنفات غريب الحديث وأثرها في صناعة المعاجم اللغوية، مرجع سابق، ص٧٠.

[٢] مصنفات غريب الحديث وأثرها في صناعة المعاجم اللغوية، مرجع سابق، ص٦٨-٦٩.

[٣] تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، ج١/ص٩١.

[٤] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٥٨-٢٦٨.

وتمنى الرافعي لو أنهم فعلوا لكان نتيجة ذلك إخراج:((علم صحيح في تأريخ اللغة وأدوار نشأتها الاجتماعية، يرجع إليه على تطاول الأيام....ولكن القوم انصرفوا عن هذا وأمثاله لاعتقادهم أصالة اللغة، وأنها خلقت كاملة بالوحي والتوقيف.))[١]، وأظهرت كتابات الرافعي شدة هذا اللوم حين قال:((وما ننكر أن هذا كله حظ النقل والرواية. ولكن أين حظ الرأي والدراية؟ وأين مذهب الحجة، وأين فائدة التاريخ؟ وأين دليل الفصاحة من اللغات؟...وقد كان هذا الشأن قريباً منهم لو أرادوه، وذلك الأمر موطَّأ لهم لو اعتزموا فيه؛ ولكنه فوت قد فات، وعمل قد مات، وأمل لزمته هيهات))[٢].

إن الحديث النبوي الشريف:((كان ثروة في عالم الأدب والعلم، تفخر بها الإنسانية على مدى الزمن. وكان المعول الذي قضى على وحشي الكلام، وسجع الكهان، وكان الأداة المثلى لخلق أغراض جديدة في عالم النثر والشعر، غير أغراض الجاهلية ومثلها))[٣]، ولذلك فقد أسهم إسهاماً كبيراً في حفظ هذه اللغة العريقة ولهجاتها الفصيحة، فوصف الرافعي تأثيره في اللغة، وبين قدرته صلى الله عليه وسلم على الوضع، وانتزاع الطرائق البيانية. فقد أدخل كثيراً من الألفاظ والتراكيب البيانية الجديدة في اللغة العربية، ويبدو تأثر الرافعي في كلامه بالجاحظ والخطابي واضحاً .كما بين الرافعي إسهام الرسول صلى الله عليه وسلم في ابتكار ألفاظ دينية وتشريعية وفقهية لم تكن مستعملة في الجاهلية، فاتسعت بفضله اللغة العربيةمادةً ومضمونا. وضّح الرافعي أن للحديث أثراً عظيماً في نشأة الكتابة وصناعتها.كما تحدث عن أثر استعمال الرسول صلى الله عليه وسلم لبعض الغريب في اللغة؛ في مخاطبته وفود العرب بلهجات القبائل التي لا يعلمها قومه، ومخاطبته الأعراب كذلك في رسائله. و بين مالبلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم وفصاحته من تأثير واضح في اللغة و في زيادة الأساليب البليغة

---

[١] تاريخ آداب العرب، مرجع سابق، ج١/ص٩٢.

[٢] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٥٨.

[٣] أدب الحديث النبوي، مرجع سابق، ص١١٤.

في محيط الأدب العربي. وعتب على العلماء قديماً إذ لم يبينوا حالة اللغة، ولم يتطرقوا لأي من أبواب التاريخ اللغوي قبل الإسلام وبعده.

الفصل الثاني

البلاغة النبوية عند البيومي

المبحث الأول: أسباب البيان النبوي عند البيومي.

بدأ البيومي حديثه عن عوامل تكوين البلاغة النبوية، و ذكر أن الناقد عند دراسته للأديب يبدأ بالمؤثرات المهمة في تكوينه، فيحلل حياته، ويبحث عن المصادر في إلهامه، والعوامل التي أخرجت إبداعه، ويرجع ذلك إلى بواعث داخلية كاستعداده الخاص وتكوينه الذاتي، وخارجية من تأثير البيئة في اتجاهه ومنحاه. وذكر أنه لابد للدارس أن يبحث عن هذه المؤثرات في مجال يتحدث عن أفصح من نطق بالضاد.[١]وهنا يتضح منهج البيومي الذي درس به البيان النبوي، ثم تحدث عن العامل الرئيسِ في تكوين بيانسيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو الفطرة القوية التي طبعه الله عليها، ثم ذكر العامل الآخر وهو قوة تأثير القرآن الكريم وهديه. وسنتناول ذلك لاحقاً بأذن الله.

أولاً :الفطرة القوية والنشأة:

وصف البيومي في بداية حديثه السمات المتواترة في رجال النسب المحمدي، فذكر أنه صلى الله عليه وسلم اختاره الله من بني هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، فكل هؤلاء الأجداد قد توارثوا البلاغة واشتهروا بها، وكانوا رؤساء في أقوامهم، وكانت لهم كلمتهم، و الرئاسة القبلية في الجزيرة العربية بعامة ومكة بخاصة، تتركز على عوامل ومواصفات خاصة فيمن يتزعمها كالشجاعة والكرم والبيان[٢]، وفي عرف مجتمعهم أنه((لا يسود إلا من تكاملت فيه ست خصال هي الكرم، النجدة، الحلم، الصبر، التواضع والبيان، ويشترطون في اختياره أن يكون من أشرف رجال القبيلة، وأشدهم عصبية، وأكثرهم مالاً وأكبرهم سناً، وأعظمهم نفوذا))[٣]، واتضحت هذه العناصر في أسرة كعب بن لؤي، فعلل البيومي البداية به؛ لأن كتب العهد الجاهلي تحدثت عن زعامته كثيراً ، واجتماع العرب إليه، ((وكعب بن لؤي هذا أول من جمع يوم العروبة ولم تسم العروبة. الجمعة إلا منذ

---

[١] البلاغة النبوية، محمد رجب البيومي، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٨م، ص٥٧.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٥٨.

[٣] تاريخ العرب قبل الإسلام، محمد سهيل طفوش، دار النفائس، بيروت، ١٤٣٠،ص١٦٠.

جاء الإسلام في قول بعضهم، وقيل هو أول من سماها الجمعة؛ فكانت قريش تجتمع إليه في هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ويعلمهم أنه من ولده ويأمرهم باتباعه والإيمان به))[١]، كما أنهم أرخوا بوفاته قبل عام الفيل لعظم شأنه عندهم. ثم ذكر من جاء بعده من أجداد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو"قصي بن كلاب" الذي أنشأ دار الندوة، وهو كما روي مؤسس مدينة مكة وهو الذي قسمها بين قريش وخزاعة، فلم تكن قبله إلا معبداً بدوياً بالصحراء كان خطيباً مفوهاً، ((فكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة، واللواء فحاز شرف مكة كله. وقطع مكة رباعاً بين قومه فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها))[٢]. وبعده جاء "عبد مناف" ثم"هاشم "ثم "عبد المطلب" فتوارثوا الرفادة والسقاية للحجاج، ورئاسة دار الندوة، وتوارثوا الخطابة والزعامة والفصاحة.[٣] و النبي صلى الله عليه وسلم ((من سلالة آباء كرام وكلهم سادة وقادة ولهم مكان مكين ومقام بين العز عظيم، وقد اشتهروا بالحكمة والشجاعة والإقدام والكرم))[٤]. فهل شرف النسب له شأنه؟((صحيح أن الإسلام لا يقيم وزنا لشرف الأنساب تجاه الأعمال، ولكن هذا لا يمنع أن يكون الذي يجمع بين شرف النسب وشرف الفعل، أكرم وأعلى مكانا وأقرب نجاحا))[٥].

وأسهب البيومي في بيان هذه السمات،معللاً ذلك الإسهاب؛ ليبين أن ما اشتهروا به من الفصاحة والمجادة، قد خلص إلى سليلهم العظيم، وحتى يرد على الحقدة من المستشرقين من غمزهم الدنيء لأجداد محمد صلى الله عليه وسلم. وقد ورث محمد الفصاحة

---

[١] الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، عبد الرحمن السهيلي، تحقيق: عمر السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٤٢١هـ، ج١/ص٢٩.

[٢] الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، ج٢/ص٣٣.

[٣] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٥٨-٥٩.

[٤] محمد صلى الله عليه وسلم، محمد رضا، تحقيق: أحمد عوض، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٧هـ، ص٢٠.

[٥] السيرة النبوية دروس وعبر، مصطفى السباعي(ط٣)، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ، ص٣٨.

فيما ورث من سمات آبائه[١]. و هذه القضية تحمل إشكالية فلسفيةتكلم بها العلماء قديماً وحديثاً، وقد بحثت في التخصصات النفسية والتربوية والإنسانية والطبية، فهل تورث السمات؟ وهل العامل الوراثي مؤثر أساسلً في تنشئة الأفراد؟ ذكر الراغب الأصفهاني:((أن الإنسان قد يرث من أبويه آثار ما هما عليه من جميل السيرة والخلق وقبيحهما، كما يرث مشابهتَه ُما في خلقهما، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾[٢]))[٣]، كما أنه يوجد في القرآن الكريم ما يشير إلى احتمال أن تؤثر الوراثة في صلاح أو فساد الفرد كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[٥]، وإذا نظرنا إلى الدراسات الميدانية الحديثة فالعامل الوراثي يؤدي دور في التأثير على الفرد :((لمعرفة أثر الوراثة في تحديد الذكاء، ومن أهم هذه الدراسات، الدراسة التي أجراها هرندون سنة ١٩٥٤م، وأثبت فيها أثر الوراثة في تحديد مستوى الذكاء، والذي يمتد من (٥٠%-٧٥%) وهذه النتيجة تؤكد إلى حد كبير نتائج البحث الذي قام به بيركز ، حيث بينت أن أثر الوراثة في تحديد نسبة الذكاء يصل إلى (٧٥%)، ودراسات العالم الأمريكي آثر جنسن الذي يعتقد أن حوالي (٨٠%) من

---

[١] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٥٩.

[٢] سورة الكهف، الآية:٨٢.

[٣] تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، الحسين الراغب الأصفهاني، دار الحياة، بيروت، ١٩٨٣م،ص٥٥.

[٤] سورة نوح، الآية :٢٧.

[٥] سورة مريم، الآية: ٢٨.

الاختلافات بين الناس في الذكاء يمكن تفسيرها بالفروق الوراثية المباشرة بين هؤلاء الناس.))[١] كما ((استدل من يدعو إلى أثر البيئة في الذكاء، وأنها تلعب دوراً مهماً في إعاقة نمو الذكاء، والقدرات العقلية، بحالة عزل الطفل عن المجتمع الإنساني، كما في حالة الأطفال الذئاب أو حالة الجماعات المنعزلة التي تعيش في القرى النائية، ...وهكذا يثبت أثر البيئة في القدرات العقلية))[٢]، و يتبين من نتيجة الدراسات ((أن فريقاً من الباحثينأثبت أثر الوراثة في البناء العقلي، وفريقٌ ثانياً أثبت أثر البيئة، وثالثاً قرر أن الذكاء قدرة كامنة موروثة، وللبيئة تأثير بالغ فيها، وهذا هو الرأي الأصوب؛ لأن الباحثين لا يستطيعان إلغاء أثر البيئة، كما لا يستطيعان إلغاء أثر الوراثة، فالتفاعل الدائم بين ما هو موروث، وما في البيئة هو الذي يحدد البناء العقلي للشخصية، وهذا ما توصل إليه علماء النفس))[٣] فيتضح هنا أن البيومي كان محقاً في هذا الإسهاب؛ فالفصاحة والمجّادة وبعض سمات النسب المحمدي قد خلصت إلى سليلهم العظيم.

ثم ذكر ا أن من أهم العوامل المؤثرة في كمال البلاغة المحمدية ما لم يكن في نسبه ورضاعه؛ حيث قال:((جازماً بأن ما يذكر كثيراً بصدد ذلك من نشأته في قريش ورضاعه في

---

[١] أثر الوراثة والبيئة في بناء الشخصية الإنسانية في السنة النبوية والفكر التربوي المعاصر، دراسة مقارنة، عماد الشريفين /أحلام مطالقة، بحث منشور في جامع البحوث والرسائل العلمية، جامعة اليرموك، ٢٠١٤م.ص١١. http://b7oth.com/?p=242 تاريخ الدخول:٢/٥/١٤٤٠هـ،

[٢] أثر الوراثة والبيئة في بناء الشخصية الإنسانية في السنة النبوية والفكر التربوي المعاصر،مرجع سابق، ص١٢.

[٣] أثر الوراثة والبيئة في بناء الشخصية الإنسانية في السنة النبوية والفكر التربوي المعاصر،مرجع سابق، ص١٢.

بني سعد إنما كان أقل العوامل في بيانه النبوي))[١]، فقد قدر الله لنبيه الكريم أن ينشأ هذه النشأة؛ حتى يتمكن لسانه من الأداء المحكم عما يلهم خاطره ويجيش بنفسه من المعاني، فهل((النشأة وحدها كافية في أن يصل المرء إلى أعلى درجات الفصاحة، ويتربع على قمة البيان البشرى؟ بالطبع لا؛ لأن هذا الجانب يشاركه فيه صلى الله عليه وسلم كثير من الفصحاء والبلغاء أمثال: قس بن ساعده، وأمية بن الصلت، ولبيد بن ربيعة، وغيرهم من الفصحاء والشعراء، ولكن لم يصل أحدهم إلى هذا المستوى من الفصاحة والبلاغة، ولذلك فلابد من وجود أسباب أخرى لبلاغته-صلى الله عليه وسلم- غير النشأة واللغة))[٢]، فجزم البيومي بأن النسب والرضاعة هي أقل العوامل كما كان يذكر بل:((إنما العامل الأول هو فطرته القوية التي طبعه الله عليها منذ اختاره للدعوة، والله أعلم حيث يجعل رسالته. هذه الفطرة السليمة التي دفعته إلى التفكير في آثام الجاهلية ونزواتها، ثم إلى التألم مما انحدرت إليه الإنسانية من موبقات، مع الظمأ اللاهب إلى معرفة الحقائق))[٣]. فيرى الأديب البيومي أن الله جل جلاله قدر على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم العيش في حياة خاصة ساعدت نفسه على الاتساع والعمق، فيشعر ويحس بدقة متناهية، فيتأمل الحياة بشكل آخر مختلف عن المحيطين به،فقد رزقه الله ظماً شديداً للمعرفة، يفكر ويتدبر ويمعن ويبحث في هذا الكون، حتى أن تاريخ حياته ساعد على تقوية انتباهه ودقة شعوره، واستدل البيومي على هذه الحياة الخاصة و النشأة الحزينة الجادة للمصطفى، بوفاة والده وهو في بطن أمه التي كان يقتات منها لباناً حزيناً يتحدر من نفس تحمل كوامن الشجن على مفارقة زوجها، فمدة الحمل الحزينة هذه تركت طابعها الخاص فيما بعد في نفس الطفل،[٤] وصدق في هذا الأمر فقلبت حديثاً في عدة أبحاث بأن حزن الأم الحامل وانفعالها يؤثر سلباً على الجنين:((برغم

---

[١] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١٢.

[٢] الخصائص البلاغية للبيان النبوي،محمد الحمزاوي، مكتبة الرشد، ٢٠٠٨م، ص٢٤.

[٣] البلاغة النبوية، مرجع سابق،ص١٢.

[٤] البلاغة النبوية، مرجع سابق،ص٦٢.

أنه لا يوجد اتصال مباشر بين الجهاز العصبي للأم، والجهاز العصبي للجنين، فإن الحالة الانفعالية للأم تؤثر على انفعالات الجنين وتكوينها؛ لأن انفعالات الأم مثل الغضب والخوف والقلق، تثير الجهاز العصبي اللاإراديمنتجه ً موالدً كيميائيةً معينة... أما إذا استمرت طول مدة الحمل فسوف تحدث عواقب مستديمة في الطفل))[١]،كما استدل البيومي على هذه الحياة الخاصة و النشأة الحزينة الجادة بوصف هند بن أبي هالة:((كان متواصل الأحزان دائم التفكير))[٢]. فلم يكن هناك مجال للطرب والنشوة في حياته، وكان موضع العجب ممن عرفه، كما ذكر وصف مرضعته"حليمة السعدية" في ذلك، بأنه كان يقلق بالليل فتخرج به من الخيمة، فيتأمل النجوم بسرور، فيذهب ضيقه ويخلد إلى النوم.[٣] واستدل على هذه الحياة الخاصة و النشأة الجادة بأنه عندما عاد هذا الصغير من منشئه في بني سعد إلى أمه وبلغ السادسة من عمره وافتها المنية، فصدمة مفارقة أمه ومشهد وضعها في لحد بالأبواء لم ينسه طوال حياته، فقد زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه عند خروجه للحديبية قاصداً مكة وبكى عنده، فتركت أمه هذا الصغير لكفالة جده "عبد المطلب"، الذي مات بعد أمه بسنتين ولهذا حكمة ربانية في يتمه[٤] فإن:((تحمل الداعية آلام اليتم أو العيش، وهو في صغره ما يجعله أكثرإحساساً بالمعاني الإنسانية النبيلةوامتلاء ً بالعواطف الرحيمة نحو اليتامى أو الفقراء أو المعذبين، وأكثرعملاً لإنصاف هذه الفئات والبر بها والرحمة لها، وكل داعية يحتاج لأن يكون لديه رصيد كبير من العواطف الإنسانية النبيلة التي تجعله يشعر بآلام الضعفاء والبائسين، ولا يوفر له هذالرصيدَشيءٌمثلُ أن يعاني في حياته بعض ما يعانيه

---

١ قلق الولادة لدى الأمهات في المحافظات الجنوبية لقطاع غزة وعلاقته بجودة الحياة، صالح إسماعيل الهمص، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية – غزة، قسم علم النفس، ص٣٩.

٢ المعجم الكبير ، مرجع سابق، ص ١٥٧.

٣ البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٦٢.

٤ البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٦٢.

أولئك المستضعفون كاليتامى والفقراء والمساكين"[١]. كما أنه إعداد رباني لكي ينشأ من يحمل الرسالة السماوية بعناية الله وحده، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾[٢]، فجعل لك مأوى تأوي إليه عند عمك أبي طالب، فكفلك، فيكون الله هو الذي يتولى تربيته، فالتهيئة الإلهية أبعدته عن أبيه وأمهوجدّه، وحتى في وقت نشأته الأولى؛ فقد قضاها عند بني سعد بعيداً عن جميع أهله، فلما انتقل إلى كفالة عمه أبي طالب، وجاءت الدعوة فلم يسلم عمه لدعوته؛ وهذه دلالة على أن المسألة إلهية فلا تتدخل قبيلة وزعامة ومنصب فيها.و"لعل يتمه صلى الله عليه وسلمكي لا يكون للمبطلين سبيل أن يقولوا إن محمداً ا: تلقى دعوته هذه بإرشاد وتوجيه من والده، أو أن دعوته هذه ورثها من أبيه، فقد مات أبوه قبل مولده، ولم يلتقيا فانقطع بذلك توارث الزعامة أو التوجيه والإرشاد الأبوي لها"[٣].و يبين البيومي أن هذا الحزن تجدد في حياته كثيراً ، تجدد حين رأى الدنيا تحيطه بالمنكرات من حروب وظلم للضعفاء واعتزاز بالعصبية الجاهليةفسببت هذه النشأة الحزينة الجادة رجلاً محنكاً متأملاً ومفكراً لإصلاح هذه الحياة وتوجيهها[٤].

ويرى أن هذه النشأة الحزينة جعلته يفكر تفكير الرجل المحنك، كما دفعت بهذا الشاب للانصراف عن دواعي اللهو وبواعث الطربوأنس بنفسه منأى عن أماكن اللهو والريب، فتقوم الأعراس ومسارح اللهو وهو عزوف عنها يراها لهواً لا تليق بمفكر ملهم مثله، فلبى هواتف ذاته ومنافذ تفكيره، و بدأ بنفسه فأصلحها هداية من اللهلم يلعب ميسراً ا ولم يشرب خمراً ا، ولم يسجد لوثن، وأشتهر بالصدق والنزاهة والأمانة، لكن هداية النفس لا تكفي، فلابد من هداية الناس. وقد دفعه حب الاستطلاع ليرى ما يغري في هذا اللهو، فقد ذهب مرتين فأخذه النوم وما أيقظه إلا وهج الشمس، فعلل البيومي هذا النوم بقوله:"يقول

---

١ السيرة النبوية دروس وعبر، مصطفى السباعي، مرجع سابق، ص٣٨.

٢ سورة الضحى، الآية:٦.

٣ فقه السيرة، زيد بن عبد الكريم الزيد(ط٣)، دار التدمرية، الرياض،١٤٨٢هـ، ص٤٩.

٤ البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٦٣.

المؤرخون: إنها معجزة،وأقول مستعيناً ببسائط علم النفس:إن النوم كان حيلةً لا شعوريةً تخلص بها محمد مما يكره، لأنه ذهب إلى العرس بعد أخذ ورد من بعض رفاقه، فحين وجد نفسه في المكان، وهو في أطوائه غير مقتنع بما يرى من المناكر والملاهي، تغلبت داعية الباطن على وعيه المتيقظ فكان النوم حيلةً لا شعوريةً انتصر بها الضمير المستكن))[1]. ولعله البيومي هنا تكلف في تعليله لنوم الرسول صلى الله عليه وسلم بذكر بسائط علم النفس،((وقد تعرض بعض المصنفين في العصر الحاضر إلى تحليل شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلمتحليلاً نفسياً باعتبار أنه شخص عادي إلا أن ذلك قد يؤدي إلى الشطط وطمس الحقائق التاريخية وتشويهها؛ لأن سيرة رسول الله ليست كسيرة أي فرد من الأفراد أو عظيم من العظماء ممن يطبق على حياتهم وسلوكهم أصول علم النفس))[2]، فقد روي عنعلي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول«مَا هَمَمْتُ بِسُوءٍ مِمَّا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْمَلُونَ بِهِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَتَيْنِ كُلُّ ذَلِكَ يَحُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنِي وَبَيْنَ مَا أُرِيدُ ثُمَّ مَا هَمَمْتُ بِسُوءٍ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِنُبُوَّتِهِ»[3]، فالسبب الحقيقي في نومه عصمة الله وعنايته وقد ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق«فَحَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنِي وَبَيْنَ مَا أُرِيدُ» فيحول الله بينه وبين الآثام، ويبعده عن كل معايب الجاهلية إنها رعاية الله له، ((ولا شك أن القدر حاطه بالحفظ، فعندما تتحرك نوازع النفس لاستطلاع بعض متع الدنيا، وعندما يرضى بإتباع بعض التقاليد غير المحمودة تتدخل العناية الربانية للحيلولة بينه وبينها))[4]، فقد أراد الله جل وعلا له

---

[1] البلاغة النبوية ،مرجع سابق، ص٦٣.

[2] محمد صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص٤.

[3] المستدرك على الصحيحين للحاكم، ح٧٦١٩، كتاب التوبة والإنابة، ج٤/ص٢٧٣.

[4] الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ١٤٣١هـ، ص٥٣.

الحماية والتطهير عن كل ريبة ودنس،(إ الله إذا أراد أن يحفظ شخصً ا، سد عليه أبواب الملاهي والفساد، وأوجد العقبات في طريقه، وصده عن سبيلها، بكيفية لا تخطر على بال، لذلك سلط جل شأنه عليه صلى الله عليه وسلم النعاس،حتى لا يشاهد شيئً ا مما كان يجري في أفراح الجاهلية من لهو وفرح وخمر وما شاكل ذلك؛ ليبقى نقيً ا طاهراً من كل شائبة بل من كل ريبة))[١]،و حتىيكون مؤهلاً للرسالة، فهو لم يخلق للهو واللعب، وإنما خلق لمقصد أسمى.

وذكر البيومي إعراض النبي المصطفى عن الأشعار الأدبية التي تنشد في مكة وسوق عكاظ، فكان لا يرحب بشعرهم في الحروب والحماسة والغزل والهجاء، وإعراضه عن الخطب والاجتماعات السياسية والحربية والدينية التي تعقد في دار الندوة وغيرها، فلا يشهدها ولا يلقي لها بالا، ولو أنه فعل لأخذ مكانه في صدارة بني هاشم، ويدعى لها فيحجم عنها،كأنه يتساءل ما يفعل القوم في هذه الاجتماعات، غير الاعتزاز بالعصبية وشرب الخمور ولعب الميسر وتقاسم الأزلام، والحال لا يتغير في الخارج فصفقات الربا، وغزوات السلب، وأوكار البغاء، وعبادة الأصنام تملأ الأرجاءفلم يشهد غير َحلف عقُ ِد في دار "عبد الله بن جدعان" اسمه: "حلف الفضول"، تم عقده لنصرة الضعفاء والمظلومين، سواء أكانوا غرباء أو قريبين، وسواء أكانوا أحراراً أو عبيدا، وسواء أكانوا أشرافً أو وضيعين، وإحقاقً للحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.ولم يستمع إلا لخطيب من إياد وفد إلى عكاظ، ورأى فيه سمات النبل مما جذبه للاستماع إليه وهو"قس بن ساعدة" الذي كان يحذر في خطبته مما يجيش في نفسه من دينهم الذي هم عليه والمنكر الذي يعيشونه.[٢]

ويذكر البيومي ملاحظة زوجته أم المؤمنين "خديجة" رضي الله عنها عما يعتريه من الصمت المفاجئ والإطراق المتصل والاعتزال، ويقينها بسمو أخلاقه وهمامة نفسه يحدثها بشيء عجيب سوف يحدث، فميسرة قد حدثها بمعجزة الغمامة، وتلك لا تكون لشخص

---

[١] محمد صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص٥٤.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٦٥-٦٦.

عادي غير متطلع إلى أفق يعم فيه العدل والحق والإحسان، فقد لاحظت هذه الفطرة النقية فيه قبل النبوة،[١] ولاحظت هذا الاصطفاء من الله، فقالت عندما حدثها المصطفى عن ما وقع في الغار: ((كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ))[٢][٣].

ويضع البيومي نفسه في مكان الناقد ويتساءل عن الظواهر الغريبة في حياة الأديب، لكي يلتمس تعليلاً يعقل لها، فظاهرة التأمل والتفكير الطويل في حياته صلى الله عليه وسلم ما علتها؟ وما سبب عزوفه عن أماكن اللهو والريب؟ ولماذا كان لا يرحب بشعر الجاهلية ولا بخطبها؟ ولماذا كان ترحيبه فحسب في نموذج معين من الخطب التي قالها قس وباجتماع "حلف الفضول" الذي قام لدرء المظالم؟ ولماذا كان يعتزل الناس في جبال عارية ليس فيها أنس ولا جمال ويخلو بنفسه؟ ثم بدأ بتحليلها بإن هذه الأفعال لا يقوم بها أي شخص عادي، بل هي نتاج تفكير خرج من نفس عالية، وهذه الوحدة الخالية دفعته للتساؤل، من خلق هذه النجوم وهذه الجبال والليل النهار؟. أيعقل أن توجدها أصنام صنعها الإنسان. وهذه العزلة و((هذا التعبد قبل النبوة من صفاء الفطرة ونقائها، ومن التفكر والتأمل في الكون، والانقطاع عن مألوفات البشر في هذه الخلوة، وله أكبر الأثر في خشوع القلب، وصفاء الذهن، واستنارة القلب بنور الغيب))[٤]، فكانت هذه الوحدة في الغار بداية الطريق[٥]. فقد ذكر أنه ((لما قربت أيام الوحي حبب إليه الخلوة فكان يختلي في غار حراء يتعبد فيه الليالي ذوات العدد، ثم يرجع إلى أهله فيتزود لمثلها، وكانت عبادته على دين إبراهيم عليه

---

[١] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٦٦.

[٢] لا يخزيك: من الخزي وهو الفضيحة والهوان. والكل: الثقل، كما يدخل في حمل الكل الإنفاق على الضعيف واليتيم. وتكسب:أي تكسب غيرك المال وتعطيه إياه تبرعاً . والنوائب: جمع نائبة وهى الحادثة، وإنما أضيفت إلى الحق لأن النائبة قد تكون في الخير وقد تكون في الشر. وأرادت أنك ممن لم يصبه مكروه لما جمع الله فيك من مكارم الأخلاق، ومحاسن الشمائل ما يسبب السلامة من مصارع السوء. انظر شرح النووي على مسلم، مرجع سابق، ج٢/ص٢٠١-٢٠٢.

[٣] صحيح مسلم، ح١٦٠، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ج١/ص١٣٩.

[٤] الخصائص البلاغية للبيان النبوي، مرجع سابق،ص٢٨.

[٥] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٦٨.

السلام،"[1]، و جاء البيومي بتعليل للظواهر الغريبة التي يقوم بها النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال:"لن يفعل ذلك إنسان خواء لا يفكر في شيء، بل لابد وراءه من نفس ذات مُثُل عالية، ومنازع رفيعة هيأها البارئ المصور لحمل رسالة السماء"[2].

وأرى أن حادثة شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم في صغره هي من أهم الأسباب التي دفعته لترك الآثام،لكنَّ البيومي لم يتطرق لها، كما روي عن أنس بن مالك:"أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِبْرِيلُ عليه السلام وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ لأَمَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظِئْرَهُ - فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ قَالَ أَنَسٌ : وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ "[3]، وهنا يثبت أن هذا الانصراف عن اللهو وعن آثام الجاهلية؛ كان إعداد رباني وتهيئة إلهية، فقد خرج حظ الشيطان منه لكي ينشأ معصوماً من منكرات الجاهلية ومنصرفاً عن هذه الآثام، قال الطيبي: "إن النبي صلى الله عليه وسلم لما كان بشراً امتعلقاً "عما انعلق عنه" سائر البشر، ولا ينكر هذا لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾[4] والعلقة في الإنسان أصل المفاسد والمعاصي، ولذلك قال جبريل عليه السلام بعد ما أخرجها:"هذا حظ الشيطان منك" فعصمه من آفته وطغمه، كما أسلم له شيطانه على يده، قدر الله تعالى في سابقة لطفه أن يخرج حظ الشيطان منه، فجعله قدسيًّا طاهر الأصل والعنصر منور القلب مقدس الجسم مستعداً لقبول الوحي السماوي والفيض الإلهي، لا تتطرق إليه هواجس النفس."[5].

---

[1] محمد رسول الله، مرجع سابق، ص٧٥.

[2] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٦٧.

[3] صحيح مسلم، ح١٦٢، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات وفرض الصلوات، ج١/ص١٤٧.

[4] سورة الكهف، الآية:١١٠.

[5] شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، مرجع سابق، ج١٢/٣٧٣٠.

ثانيًا: نور القرآن وهديه:

ذكر البيومي أن العناية الإلهية التي استخلصته لرسالة السماء قد طبعت حياته بطابعها، فآيات القرآن جاءت لتجيب عن كل ما جاش في صدره صلى الله عليه وسلم وأيدت وجهة نظره في الحياة والأشياء، فقد كانت فطرته تنأى عن عبادة الأصنام، وعن العصبية والتفاخر بالأنساب، ونزلت آيات السماء بتحريمهافصادف القرآن نفسًا ظامئةوروحًا متطلعة. فأنقذه من حيرته وهذا تفسير لقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾[١]، فالحيرة في نفس الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة كانت الاستعداد الجيد من التلميذ المخلص لتلقي تعاليم الأستاذ المرشد.[٢]وذكر القرطبي أن معنى هذه الآية:((أنهافلاً عمّا يراد بك من أمر النبوة فهداك: أي أرشدك والضلال هنا بمعنى الغفلة))[٣]، فكان أثر القرآنفيه كبيراً من ناحية التوجيه والإرشاد و الهداية من الحيرة،((فإن الذي مكن لفصاحته صلى الله عليه وسلم أن تنمو وتقوى ويشتد أسرها تأثر الرسول صلى الله عليه وسلم بأسلوب القرآن الكريم، وذلك أمر طبيعي جلي، فعلى قلبه المتصل بجلال الله تنزل القرآن:﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾[٤]، ومن لسانه تلقاه المسلمون...فلا غرو أن يتأثر به الرسول – صلى الله عليه وسلم– وأن يتخرج في مدرسته))[٥]. ويتضح أن دراسة البيومي جاءت مغايرة

---

[١] سورة الضحى، الآية ٧.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق،ص٦٩.

[٣] الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج٢٠/ص ٩٦.

[٤] سورة الشعراء، الآية:١٩٣-١٩٤.

[٥] الحديث النبوي مصطلحه، بلاغته، كتبه، مرجع سابق، ص٦١.

عن معظم الدراسات البلاغية والشرعية، التي تثبت تأثره بأسلوب القرآن، أو تثبت أنه معلم للبشرية، فتميزت بإثبات أنه صلى الله عليه وسلم تلميذ متطلع لأستاذه القرآن الكريم.

واستدل البيومي على أستاذية القرآن للنبي صلى الله عليه وسلم فكان يجيب عن كل ما يحير هذا التلميذ الناظر لعظمة هذا الكون، من أبدعه ؟ هل هذه الأصنام تستطيع خلق السماء بلا عمد، وبسط الأرض، وإرساء الجبال وإجراء الأنهار و بدء الخلق...؟ كيف لها وهي لا تدفع الضر عن نفسها؟ فأجابه الأستاذ بأن هناك مبدعاً خالقاً لمعجزات الكون[١] اللا منتهية. ومثل بقوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ*أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ*أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلاَلَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ * أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ* أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ* أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٢].

وكما أجابه عن حيرته في عاقبة البررة والفجار، فلن يترك الأمر سدى، دون جزاء لمن عمل الخير وجزاء لمن عمل الشر. فسيأتي يوم ينصف للمظلوم من الظالم قال تعالى:﴿إِنَّ

---

[١] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٦٩.

[٢] سورة النمل، الآية: ٥٩- ٦٤.

الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ* وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[١]، فكان في أعماق نفسه لا يقر ذلك، وكان حائر ً ا يريد التأكد، فيجيبه أستاذه بالبلسم الشافي. كما جاء الأستاذ بما يؤيد ما كان في نفسه من كره لقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وإظهار الفواحش أمام الملأ، والتطفيف في الميزان، والربا، وأيده أيضاً في حبه لإقامة العدل، والإحسان بالوالدين وحفظ المال، ورعاية حق اليتيم.[٢] ومثل بقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ* وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٣]. كما أن الأستاذ يحكي لهذا التلميذ أحوال الأمم السابقة، للتسلية وليأخذ العظة والعبرة منها، ولكي يضرب لقومه الأمثال بقصص قوم نوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط ويوسف عليهم الصلاة والسلام، وقصص فرعون وهامان وقارون وغيرهم، ولكي يلزم قومه الحجة، ويرد شبههم المفتراة. وقد ذكر البيومي السبب في كثرة استشهاده بنصوص القرآن الكريم، وهو توضيح أستاذية القرآن للنبي صلى الله عليه وسلم ولكي يبين أن هذا الكتاب ملأ حياة سيد الخلق صلى الله عليه وسلم، وشغل عقله وقلبه، وأورثه الحكمة

---

[١] سورة الانفطار، الآية ١٣-١٤.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٧١.

[٣] سورة الأنعام، الآية: ١٥١-١٥٢.

والحجة والبيان.[١] وأرى أن البيومي قد أصاب بذكر أستاذية القرآن، قال تعالى:﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾[٢]، فقد جاء تفسير هذه الآية: أي علّم محمداً صلى الله عليه وسلم هذا القرآن جبريل عليه السلام وعني بقوله "شديد القوى" شديد الأسباب. والقُوى: جمع قوّة"[٣].

وذكر البيومي أن فصاحة الرسول صلى الله عليه وسلم من تعليم الله له، واستدل على ذلك برد الرسول صلى الله عليه وسلم على سؤال أبي بكر الصديق – رضي الله عنه– حين قال: لقد طفت في قبائل العرب، فما وجدت أفصح منك فمن أدبك؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: "أدبني ربي فأحسن تأديبي"[٤]. فذكر البيومي أن بعض من يشرح معنى هذا الحديث يميل بكلمة الأدب إلى المعنى الخلقي كما ذكر:"أننا نجدها تستخدم على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم في معنى تهذيبي خلقي؛ ففي الحديث النبوي:"أدبني ربي فأحسن تأديبي""[٥]، لكن البيومي يرى أنها تخص المعنى الأدبي وذكر البرهان على قوله:"وإلا فما معنى قوله فما رأيت أفصح منك؟ والفصاحة هنا فصاحة المنطق بشقيه من اللفظ والمعنى، إذ إن البسطاء يتصورون الفصاحة خلابة لفظ، وشقشقة بيان، لئن تصورنا ذلك لدى بعض خطباء الجاهلية ممن وفدوا على "كسرى" باختيار "النعمان"،فلن نتصوره إطلاقاً في فصاحة رسول الله، إذ إنها فصاحة العاقل المكين الذي أرشده القرآن"[٦]، كما استدل ابن الأثير بهذا الحديث أيضاً ليبين فصاحة رسول الله:"أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفصح

---

[١] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٧٢-٧٣.

[٢] سورة النجم، الآية:٥.

[٣] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر للطباعة، ١٤٢٢هـ، ج٢٢/٩.

[٤] سبق تخريجه.

[٥] تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، أحمد شوقي ضيف، دار المعارف، ج١/ص٧.

[٦] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٧٣-٧٤.

العرب لساناً وأوضحهم بياناً ، وأعذبهم نطقاً وأسدهم لفظا، وأبينهم لهجةً وأقومهم حجة، وأعرفهم بمواقع الخطاب وأهداهم إلى طرق الصواب.تأييداً إلهياً ولطفاً سماوياً وعنايةً ربانية، ورعاية روحانية، حتى لقد قال له علي بن أبي طالب كرم الله وجهه – وسمعه يخاطب وفد بني نهد –:يا رسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره فقال:"أدبني ربي فأحسن تأديبي"[١]، فمعاني النبي –صلى الله عليه وسلم– من الله، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[٢]، فذكر البيومي أن القرآن هو مرشده وأستاذه الذي أفرغ عليه المعاني الجمة، فلا يتكلم إلا بعد تفكير ثاقب ومعرفة ودراية غزيرة كونية وتاريخية وفقهيه.

وأيضاً استدل على أستاذية القرآن ووصفه بأنه لم يتخل عن طبيعة المربي اليقظ، فقد كان يقسو عليه أحياناً، لكي لا يحيد التلميذ عن الصواب فيقرعه، وذكر البيومي عدة نماذج لمحاسبة الأستاذ وحرصه ومراقبته ومؤاخذته منها قوله تعالى:﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ * وَهُوَ يَخْشَىٰ * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ * كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾[٣]، كما ذكر البيومي أنها هذه النماذج تركت أثرها في نفس التلميذ واستدل على هذا الأثر بما رواه عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ، قَالَ: قُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: إِنِّي

---

[١] النهاية في غريب الحديث والأثر، مرجع سابق، ج١/ص٤.

[٢] سورة النجم، الآية: ٣-٤.

[٣] سورة عبس، الآية ٥-١١.

أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي، فَأَتَحَوَّلُ إِذَا بَلَغْتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[١] رَأْسِي فَدُمُوعُهُ تَسِيلُ »[٢].

واستدل البيومي أيضًا على أستاذية القرآن، بأنه يشيد بتلميذه ويعدد سجاياه ويشجعه، شأن المربي الناهض الذي يدفع أشباله إلى القمة، ومثل بعدة أمثله منها قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[٣]، كما ذكر أن الأستاذ يثني على تلميذه، ومثل بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٤]، وختم البيومي تحليله أن هذا الأستاذ طمأنينة لخاطر تلميذه، ومصباح لعقله وملهمة معانيه، ومحدد لاتجاههفهو خُلقه كما ردت عائشة- رضي الله عنها- عند سؤالها عن أخلاقه صلى الله عليه وسلم، ويعني أنه كان يتحلى بآدابه، فما مدحه القرآن كان فيه رضا نفسه، وما ذمه القرآن كان فيه غضبه.[٥]

وحبذا أن البيومي أكمل مسيرة هذا الطالب، فقد تخرج من مدرسته ليكون خير معلم للبشرية: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٦]كما أثبتت السنة النبوية الشريفة هذه الصفةالمهمة العظيمةمهمة التعليم لرسول الله صلى الله عليهوسلم كما برهن

---

[١] سورة النساء، الآية :٤١.

[٢] (متفق عليه)،صحيح مسلم، ح:٨٠٠، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر،ج١/٥٥١. صحيح البخاري، ح٤٥٨٣.

[٣] سورة الطور، الآية: ٤٨.

[٤] سورة القلم، الآية :٤.

[٥] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٧٦.

[٦] سورة الجمعة، الآية:٢.

أبو غدة على ذلك:((لقد أثبتت السنة المطهرة أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم- معلم هاد بصير))[١]، كما قال صلى الله عليه وسلم ((إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا))[٢]. وأيضاً شهادة التاريخ على كمال شخصيته التعليمية،فكيف كان العالم قبله وكيف صار بعده[٣].

وقد أخذ على البيومي في الإعلاء من المكتسبات البشرية التي تحجم قضية النبوة، فوقع في منزلقات تؤدى إلى إذكاء شبهٍ خطيرة، طالما جدَّ بعض المستشرقين في محاولة إثباتها، منها أن شخص محمد صلى الله عليه وسلم الإنسان يمتلك القدرة اللغوية الفائقة التي أهلته لتأليف القرآن، فالبلاغة النبوية وليدة الموهبة والتعلم والدربة[٤]، فالمآخذ على البيومي كانت في بعدين، البعد الأول: وهو إن الأديب بما يوصف به من حرية أو التزام، صادر عن عقل بشري خالص، وعن هوى، حتى إذا كان ملتزماً فهو ملتزم بما يتوافق مع هواه بشكل أو بآخر، وهذا الهوى نمط من أنماط استسلام الإنسان لبشريته بشكل ما وبنسبة ما، فإذا صح أن يقال مع الأدباء فإنه لا يصح بحال أن يقال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو منزه عن الهوى بنص القرآن الكريم.[٥] كما قال د. عيد ((إننا نجد بعض فصول كتاب: "البيان النبوي"، للدكتور محمد رجب البيومي تشير إلى هذا البعد الأدبي إشارة صريحة، فيأتي أحدها بعنوان: "القرآن أستاذ محمد، نظرة في عوامل تكوينه الأدبي"، ويأتي آخر بعنوان: "رسالة الأديب كما حققها الرسول"، ويأتي آخر بعنوان: "يتحدثون عن محمد الأديب"))[٦]، ويتضح أن البيومي في دراسته للبلاغة النبوية نظر

---

[١] الرسول المعلم صلى الله عليه وسلم وأساليبه في التعليم، عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤١٧هـ، ص٨.

[٢] صحيح مسلم، ح١٤٧٨ ، كتاب الطلاق،باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقًا إلا بالنية، ج٢/ص١١٠٤.

[٣] ينظر الرسول المعلم صلى الله عليه وسلم وأساليبه في التعليم، مرجع سابق، ص٨-١٣.

[٤] مقدمة في نظرية البلاغة النبوية السياق و توجيه دلالة النص، مرجع سابق،ص٦٣.

[٥] مقدمة في نظرية البلاغة النبوية السياق وتوجيه دلالة النص، مرجع سابق، ص٦٨.

[٦] مقدمة في نظرية البلاغة النبوية السياق وتوجيه دلالة النص، مرجع سابق، ص٦٨.

إلى رؤية أُخرى لمعنى الحديث:((نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم))[١].فيرى أن كلمة الأدب لا يراد بها المعنى الخلقي كما يذكره البعض، بل يرى أنها تخص المعنى الأدبي واستدل على قوله:((وإلا فما معنى قوله فما رأيت أفصح منك؟ والفصاحة هنا فصاحة المنطق بشقيه من اللفظ والمعنى، إذ إن البسطاء يتصورون الفصاحة خلابة لفظ، وشقشقة بيان، لئن تصورنا ذلك لدى بعض خطباء الجاهلية ممن وفدوا على "كسرى" باختيار "النعمان"،فلن نتصوره إطلاقًا في فصاحة رسول الله، إذ إنها فصاحة العاقل المكين الذي أرشده القرآن))[٢]، فمن هذا المنطلق يصف البيومي النبي صلى الله عليه وسلم بالأديب، ويصف الحديث النبوي بالنص الأدبي، حيث يقول:((إن ما نقوله في عنترة، نقوله فيما نقل إلينا من النص الأدبي لمحمد صلى الله عليه وسلم وله المثل الأعلى إذا قيس ببشر سواه))[٣]، كما يقول :((قد يظن ظان أن الذي نكتبه أدب متخيل لا حق واقع، والحقيقة: أن مهمة الناقد أن يبحث الظواهر الغريبة في حياة الأديب))[٤]، فقصد بالأديب هنا النبي صلى الله عليه وسلم وقصد بمهمة الناقد مهمته في التحليل، ويبدو أنه لم تكن نظرته صائبة بهذا الوصف، فإذا رجعنا إلى هذا الحديث الذي استند عليه فيتضح للوهلة الأولى بأن الإسناد فيه ضعيف، كما أن الحديث النبوي الشريف خطاب له خصوصية النبوة مختلف عن أنواع الخطاب الأخرى إلى جانب خصوصية كونه ليس خطاباً بشرياً خالصاً، و((يتعين أن يكون هناك بالضرورة خصوصية لكل نص أو خطاب في خصائصه التي تتواءم مع شروط وجوده وشروط تلقيه، ومن ثم يتعين أن تكون هناك منطلقات نظرية تؤسس لتحليل الخطاب في مغايرته لغيره من ألوان الخطاب المختلفة))[٥]، ويبدو أن وصف البيومي للنبي صلى الله عليه وسلم بالأديب لا يختلف كثيراً عن وصفه بالشاعر الذي نفى القرآن

---

[١] حديث ضعيف السند ، صحيح المعنى ، ابن تيمية ، ح ١، أحاديث القصاص ، تحقيق :أحمد باجور، ،ص٢٧.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٧٣-٧٤.

[٣] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص ٣٨.

[٤] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٦٧.

[٥] مقدمة في نظرية البلاغة النبوية السياق وتوجيه دلالة النص، مرجع سابق، ص٢٩.

الكريم وصفه بها، قال تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴾ [١]، فهل يوجد فرق بين الشعر والأدب؟((لا أرى فرقاً بين الأدب والشعر في استنادهما كليهما -في الغالب-على العاطفة، وإمعانهما كليهما- في الغالب أيضاً -في أنهما نطق عن الهوى﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ [٢]))[٣]، ويتنزه الرسول صلى الله عليه وسلم عنه. كما اشتهر وصف الشعر بأن أعذبه أكذبه، وكذلك ما يلقي به الأديب فإنه يتصف بالصدق وبالكذب، ومقام النبوة أعلى وأسمى فقد ((بلغت عظمته الكمال البشري فلا يمكن مقارنته بغيره من عظماء القادة والزعماء. إنسان اختاره الله سبحانه وتعالى واصطفاه لتبليغ رسالته للناس كافة، وأنزل عليه الوحي، وأتى بمعجزات خارقة للطبيعة يقف أمامها العقل البشريحائراً لا يفقه لها تعليلا. ولا يزال العقلعاجزاً عن إدراك كنهها، وكيفية وقوعها بالرغم من تقدم العلوم والاكتشافات الحديثة))[٤]، وأرى أن البيوميوقع في هذا المنزلق بسبب أنه كان مستنداً لتحليله الحديث النبوي بالمعنى الأدبي.

أما البعد الثانيالذي أُخذ عليه فهو بُعد بشري غير الذي يذكره الباحثون في البلاغة النبوية عادةً ، وهو أن من أسباب اختيار محمد صلى الله عليه وسلم لتبليغ الدعوة للناس: قدرته على الحجاج والإقناع[٥]، فقد قال:((إذا عُلم أن هذا التبيين كان لقوم يتصاولون بالبيان، ويتقارعون بالفصاحة، فلا بد أن يكون الذي يتولى هدايتهم من الظلمات إلى النور بالبرهان والمنطق أشدهم عارضة وأقواهم حجة))[٦]، وأرى أن وصف البيومي كان من باب الإشادة والثناء، وكان

---

[١] سورة الحاقة، الآية :٤١.

[٢] سورة النجم ، الآية : ٣.

[٣] مقدمة في نظرية البلاغة النبوية السياق وتوجيه دلالة النص، مرجع سابق، ص٧٠.

[٤] محمد صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص٤.

[٥] مقدمة في نظرية البلاغة النبوية السياق وتوجيه دلالة النص، مرجع سابق، ص٦٨.

[٦] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٥٧-٥٨.

ليوضح أن قومه اشتهروا بالفصاحة والبيان فأخرج الله عز وجل من بين أظهرهم من هو أفصح وأبين منهم. فالمؤاخذة هي في:((الوصف الذي ذكره د. البيومي " أشدهم عارضة " في مقام المدح والحمد وذكر الفضائل في موقف المقارنة بالذين يتوجه إليهم بالدعوة، هو نفسه الوصف الذي ذكره معروف الرصافي " أن يكون ذا عارضة كعارضة محمد " في مقام الاتهام والادعاء، وفي موقف المقارنة بالعاجزين عن معارضته ﷺ في الإتيان بمثل القرآن، وحسبنا شبهة أن يكون الوصف الواحد متردداً بين المادحين والذامين.))[١]، لكن نية البيومي ظاهرة بأنه يمدح البيان النبوي، فمن الغايات الحجاجية الإقناع و نجده يذكر أن المرشد الذي فتح عليه أبواب الإقناع والسداد والمعرفة هو محكم الذكر الحميد في موضع آخر فقال:((إذ إنها فصاحة العاقل المكين الذي أرشده القرآن، وأفرغ عليه آلاف المعاني، وفتح أمامه أبواب الإقناع والسداد، فإذا تكلم فعن رصيد ضخم من التفكير الثاقب والمعرفة الغزيرة والدراية الكونية والتاريخية والفقهيه، مما بسطه محكم الذكر الحميد))[٢].كما استشهد من أخذ عليه هذا المأخذ بحسن نيته:((على حين نرى أن د. البيومي ينقل عبارات محمد حسن الزيات التي يقطع فيها قطعاً لا لبس فيه بأن بلاغة الرسول ﷺ من صنع الله، وما كان من صنع الله تضيق موازين الإنسان عن وزنه))[٣] وأيضاً فالبيومي نفسه كتب رداً على ما يلوكه حقدة المستشرقين وأعداء الإسلام وغمزهم الدنيء لرجال النسب المحمدي حين قال:((ولنعفى على ما يلوكه حقدة المستشرقين من غمز دنيء لأجداد محمد،فقد حلا لبعضهم أن يكيل المدح جزافاً لبني شمس لينتقص من عبد مناف، وكل أدلته ما تناقلته الكتب من كثرة مال بني عبد شمس. ولو عرف هؤلاء أن حقوق السيادة ومغارم الفضيلة، هي التي جعلت مال بني عبد مناف نهب الراجين ومنال الطامعين لعرفوا أنهم يمدحونهم بما يظنونه موضع التقصير))[٤]كما قال أيضاً مفنداً آراء المستشرق الكاثوليكي"لامنس":((ولك أن

---

[١] مقدمة في نظرية البلاغة النبوية السياق وتوجيه دلالة النص، مرجع سابق، ص٧١.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٧٤.

[٣] مقدمة في نظرية البلاغة النبوية السياق وتوجيه دلالة النص، مرجع سابق، ص٦٩.

[٤] البلاغة النبوية، مرجع سابق،ص٥٩.

تعجب حين تجد المستشرق الكاثوليكي"لامنس"يكتب تاريخًا مسهبًا "ليزيد بن معاوية". لينتقص"الحسين بن علي" ثم يعلو إلى "معاويةالذي مدحًا مباهيًا لينتقص"علي بن أبي طالب"...وأنت تسأل فيم هذا الهيام العنيف ببني أمية لدى القس الكاثوليكي العجيب، فلا تجده غير التنفيس قليلاً عما يضطرم في حناياه من بغض لنبي الإسلام"[١].

في بداية هذا المبحث تحدث البيومي عن السمات المتواترة في رجال النسب المحمدي، وذكر أن الله اختاره من بني هاشم، فالفصاحة وبعض سماتهم قد خلصت إلى سليلهم العظيم. وكذلك ليرد على ما يلوكه حقدة المستشرقين وأعداء الإسلام. وبين أن النسب والرضاعة هي أقل العوامل كما كان يذكر بل العامل الرئيسِ في تكوين بيان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو الفطرة القوية التي طبعه الله عليها، فدفعته إلى التفكير في آثام الجاهلية ونزواتها، فقدر الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم العيش في حياة خاصة ونشأة مختلفة حزينة وجادة، فتاريخ حياته ساعد على تقوية انتباهه ودقة شعوره، واتضح من خلال تحليلاته اتساع ثقافته وإطلاعه، ثم ذكر العامل الثاني وهو نور القرآن وهديه. كما أثبت البيومي هذه الأستاذية من آيات القرآن الكريم. وقد جاء بدراسة مغايرة عن معظم الدراسات البلاغية والشرعية، التي أما أن تثبت تأثره بأسلوب القرآنوأمّا أن تثبت أنه معلم للبشرية. كما اتضحت بعض الأسباب التي جعلت البيومي يقع في بعض المنزلقات التي تؤخذ على دارسي البلاغة النبوية وتوقعهم في الشبهات.

---

[١] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٥٩-٦٠.

المبحث الثاني: موقف النبي صلى الله عليه وسلم من الشعر

ذكر البيومي أن قضية الشعر وموقف الرسول صلى الله عليه وسلم منه، لم تحسم حسماً واضحاً، يقطع بعده كل تعارض وتناقض، فأخذ كل ببعض الأدلة النقلية يرمي بها في وجه صاحبه، وكانت هذه المعركة بين الأدباء والنقاد والمفسرين ورجال الحديث والسيرة، ومازال الخلاف قائماً، فانقسم العلماء إلى فريقين في حكم الشعر في الإسلام؛ حين ذهب قوم إلى كراهة الشعر مطلقاً سواء أكان حسناً أو قبيحاً ،أو كان قليلاً أو كثيراً ، واحتجوا بآثار، وذهب آخرون إلى إباحة الشعر ما لم يكن فيه فحش أو هجاء أو كذب وغيره مما يذم. فذكر البيومي أن هذا الوضع يجب أن لا يستمر هكذا بعد أن درست الآيات القرآنية و النصوص النبوية، فيجب لنا أن نحكم ببطلان رأي وبصحة آخر[١].

إثبات أن موقف الإسلام واحد من الشعر:

بدأ البيومي يستعرض تحليلاً للآيات القرآنية والأحاديث وبعض المواقف النبوية، لكي يعلن أن رأي القرآن واحد في الشعر، وموقف النبي صلى الله عليه وسلم واحد أيضاً؛ بحيث لا يكون هناك مجال بعد الآن للقول بكراهية الشعر. وهنا يتضح رأي البيومي بهذه القضية بتحبيذ الإسلام اتجاهاً عاقلاًومعارضته اتجاهاً سفيهاً. فلا داعي إلى شن غارة على الشعر قاطبةًبدليل أن الشعراء يتبّعهم الغاوون.

فأما الذين يقولون بكراهية الشعر فاستدلالاتهم كانت بآيتين من القرآن الكريم، وحديثٍ نبويٍّ واحد، وقد تناولهم البيومي بالدراسةوأظهرت تفنيدهُ لمزاعمهم، فالآية الأولى قول الله عز وجل: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾[٢].

---

[١] ينظر البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٩٨-٩٩.

[٢] سورة الشعراء ، الآية: ٢٢٤-٢٢٧.

فذكر البيومي أن تمام الآية يوحي بأن القوم فريقان: فريق يهتدي بالحق والآخر يتخبط بالباطل،وكذلك كل أصحاب البيان كالكتاب والخطباء والقصّاص فهم منقسمون ليس الشعراء وحدهم،فالذم لا يلحق فنًّا بعينه أو أناساً بأعينهم وإنما يلحق كل قائل هام في كل واد، واستشهد بقول ابن رشيق والجاحظ[١].كما ظهر من تفسير الآية أيضاً أنه لم يذم الشعراء جميعاً؛ بل قصد بها شعراء المشركين الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمسونه وأصحابه بالأذى؛ ويدل على ذلك الاستثناء بعد ذلك،كما وضح ذلك ابن كثير أنه:((لما نزلت {والشُّعراء يتَّبعهم الغاوون}جاء حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون، فقالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنَّا شعراء، فتلا النبي إ{لاَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ}قَالَ: أَنْتُمْ وَ"ذَكَرُ واللَّهَ كَثِيراً}قَالَأَنْتُمْ انْتَصَرْتُمِنْ بَعْدِ مَظْلُومِينَ}قَالأَنْتُمْ "))[٢].

فالاستثناء قصد به شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم الذين انتصروا،وأيضاً كلُّ الشعراء الذين دافعوا عن الدين وردوا كيد الكائدين.فالشعر متى ما كان ينصر الدين ويوافق تعاليمه كان حسناً مقبولا، ولكن إذا خالف شرع الله وابتعد عن الفضيلة وجاء بفحشٍ وشعر ماجن، أو أثار العصبية القبلية، أو أثار بالهجاء البغضاء والتفرقة بين المسلمين؛ فهنا ينهى عنه ويبتعد عنه.

أما الآية الثانية فقوله تعالى:﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾[٣]، فذكر البيومي أنها جاءت رداً على اتهام المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر، وما جاء به شعر، فهي لا تعني كراهية الشعر؛ بل تعني ترفّع القرآن الكريم أن يكون شعراً كالذي يقوله الشعراء،

---

[١] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، الحسن ابن رشيق القيرواني(ط٥)، تحقيق: محمد عبد الحميد، دار الجيل، ١٩٨١م.ج١/١٢. البيان والتبيين،مرجع سابق، ج٣/ص٣٢٩.

[٢] تفسير القرآن العظيم ابن كثير ، مرجع سابق ،ج٦، ص١٥٨.

[٣] سورة يس، الآية ٦٩.

والضمير في "علمناه"عود لمعلوم من مقام الردّ ، وقد بني الرد عليهم على طريقة الكناية بنفي تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الشعر لما في ذلك من إفادة أن القرآن معلم للنبي صلى الله عليه وسلم من قبل الله عز وجل وأنه ليس بشعر كالذي يقوله الشعراء[١]. كما استدل البيومي بقول ابن رشيق إن القرآن تحدى الفصحاء :((أن يأتوا بسورة من مثله لا يسمو إليه ما يقولونه من الشعر، فقولهم :إن محمداً شاعر فيما يتلو عليهم من الذكر يدحضه أن الله لم يعلمه الشعر الذي تنسبونه إليه، وقد استنبط"ابن رشيق" من ذلك أن هذا النص القرآني يوحي بتعظيم الشعر لا بتحقيره، لأن القرآن بسرده المحكم قد ارتفع عن أجمل نسق تتيه به العرب من القول وهو الشعر فلولا أن الشعر مظنة التأثير والإبداع ما نسب هؤلاء الفصحاء قرآن محمد إليه))[٢].

وأما الحديث النبوي الذي أولع به القائلون بكراهية الشعر، فيما جاءعن أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:((لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً يريه خير من أن يمتلئ شعراً))[٣]. فيتضح أنه لم يذم الشعر كله، بل يذمه عند امتلاء القلب به، والانشغال به عن ذكر الله والقرآن والعلوم الشرعية، فقد ترجم له البخاري بقوله " باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله "[٤]، كما ذكر النووي ذلك:((أن المراد أن يكون الشعرغالباً عليهمستولياً عليه بحيث يشغله عن القرآن وغيره من العلوم الشرعية وذكر الله تعالى، وهذا مذموم من أي شعر كان، فأما إذا كان القرآن والحديث وغيرهما من العلوم الشرعية هو الغالب عليه فلا يضر))[٥].

---

[١] التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٢٣، ص٥٦.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص ١٠٠. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مرجع سابق، ج١٢/١.

[٣] صحيح البخاري ، ح:٦١٥٤،كتاب الأدب ، باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله والعلم والقرآن، ج٣٦/٨.

[٤] صحيح البخاري، كتاب الأدب، ج٣٦/٨.

[٥] المنهاج في شرح مسلم بن الحجاج،مرجع سابق، ج١٥/ ص١٤.

أما البيومي فقد ذكر تعليلاً آخر له؛ فقال:((ظل هذا القول يتردد في كتب الحديث هكذا ناقصاً مبتوراً حتى طبع كتاب "الزركشي" المسمى" بالإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة" فإذا فيه أن عائشة رضي الله عنها قالت مستدركة على الراوي :" لم يحفظ أبو هريرة الحديث إنما قال رسول الله ﷺ يمتلئ جوف أحدكم قيحاً ودماً خير له من أن يمتلئ شعراً هجيت به"[١]))[٢]،كما ذكر البيومي زيادة لفظ "مما هجيت به" لرواية أخرى لابن عدي عن جابر[٣]، ثم ذكر أن اتفاق روايتي عائشة وابن عدي على تصحيح ما قاله أبو هريرة رضي الله عنه بقول "هجيت به"، يسقط بذلك الدليل الوحيد على كراهية الشعر من السنة النبوية، فأن النبي صلى الله عليه وسلم رقيق الإحساس يبغض كل هجاء ظالم سواء أكان موجهاً لشخصه أو لغيره.فليست الكراهة تخص ذاته لهجاء المشركين له ظلماً ، بل شاملة لكل هجاء ظالممستدلاً بقول الجرجاني عندما ذكر حديث "محمد بن مسلمة الأنصاري"[٤].

وأرى أن البيومي تكلف في تعليله لهذا الحديث، ولم يكن كلامه عين الصواب، فهذا الحديث لم يرد عن أبي هريرة وحده بل كما قال الألباني:((ورد هذا الحديث عن جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم أبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقاص، وأبو سعيد الخدري، وعمر وغيرهم.))[٥]،كما قال:((وكل هذه الأحاديث عن هؤلاء

---

[١] الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: رفعت فوزي، مكتبة الخانجي ،القاهرة، ١٤٢١هـ، ص١١٥.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١٠٢.

[٣]ذكر الألباني حكمه ببطلان الرواية" بزيادة هجيت به " وقال:((بالجملة فهذه الطريق موضوعة))، انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض، ص ١٤١٢هـ، حديث١١١١، ج٣/ ص ٢٣٦-٢٣٩.

[٤] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١٠٢-١٠٣.

[٥] سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٥هـ، ج١ /ص٦٥٨.

الصحابة موافقة لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، وذلك مما يدل على صدقه وحفظه"[١]، وقد كتب الألباني هذا التحقيق لكي يرد على بعض المتشيعين من المعاصرين الذين يطعنون في أبي هريرة رضي الله عنه. كمقال أيضًا:" وزعم أن في آخره زيادة لم يذكرها أبو هريرة، وهي: " هجيت به " وأن عائشة حفظت ذلك عنه صلى الله عليه وسلم وردت به على أبي هريرة، وكل ذلك مما لا يصح إسناده كما بينته في " سلسلة الأحاديث الضعيفة "[٢]"، كما أثبت الألباني بطلان زيادة لفظ "هجيت بهفليس السبب فقط و ُرودها في أحاديث ضعيفة، بل جاء الألباني بإثبات آخر وهو:"أن يكون أبو هريرة لم يحفظ تلك الزيادة المزعومة، فهل يجوز أن لا يحفظهاأيضًا أولئك الجماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟ !على أن هذا الحديث في سياقه ما يدل على بطلان تلك الزيادة من حيث المعنى، فإنه لم يذم الشعر مطلقا، وإنما الإكثار منه، وإذا كان كذلك فقوله " هجيت به "، يعطي أن القليل من الشعر الذي فيه هجاؤه صلى الله عليه وسلم جائز، وهذا باطل وما لزم منه باطل فهو باطل!"[٣]، ويظهر هنا أن البيومي تكلف في التعليل لهذا الحديث،فيكفي إثباتًا لنفي كراهية الشعر كله، النظر لترجمة البخاري له بقوله" باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله "[٤].

المواقف النبوية الدالة على تحفيز الشعراء في الإسلام:

واستدل البيومي من زاوية أخرى بالأحاديث والمواقف النبوية الدالة على تحبيذ الشعر في الإسلام، فمواقفه صلى الله عليه وسلم من الشعراء الذين عاهدوه تدل على موقفه المؤيد لكل ما سلك سبيل الحق من الشعر. وبدأ بقول النبي صلى الله عليه وسلم:"مِن الشِّعْرِ

---

[١] سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مرجع سابق، ج١/ ص٦٥٩.

[٢] سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مرجع سابق، ج١/ ص٦٥٩.

[٣] سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مرجع سابق، ج١/ ص٦٦٠.

[٤] صحيح البخاري، كتاب الأدب، ج٨/٣٦.

حِكْمَةً »[١]، والحديث يعني إذا:« كان في الشعر والرجز ذكر الله تعالى، وتعظيم له ووحدانيته وإيثار طاعته والاستسلام له فهو حسن مرغب فيه، وهو المراد في الحديث بأنه حكمة، وما كان كذباً وفحشاً فهو مذموم»[٢]، فذكر البيومي أنها جملة صريحة تدل على أن بعض ما يتفوه به الشعراء يوصف بالحكمة؛ وهي تعني إصابة الأمر والرأي السديد. كما أن الجملة تعني أن بعض ما يتفوه به الشعراء يوصف باللغو والأباطيل وهو الجانب البغيض من الشعر.[٣]

الاحتفاء النبوي بالشعراء المسلمين واستخدامهم في الدعوة:

ثم انتقل البيومي إلى الاحتفاء النبوي بالشعراء المسلمين واستخدامهم في الدعوة، فذكر المواقف النبوية مع الشعراء.

فذكر أنه حين بدأ شعراء الشرك حملتهم على المسلمين من أمثال:عبد الله بن الزبعرى، وعمرو بن العاص، وأبي سفيان الحارث، وهجوا النبي صلى الله عليه وسلم وذموا الإسلام، فإن النبي صلى الله عليه وسلم جمع الأنصار وقال:« مَا لَكُمْ وَلِابْنِ الزِّبَعْرَى وَلِرَسُولِ اللَّهِ بِئْسَ لِلرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ هِجَاؤُهُ لِرَسُولِ اللَّهِ »[٤].

فبدأ بمواقف للنبي صلى الله عليه وسلم مع حسان رضي الله عنه الذي أقام له النبي صلى الله عليه وسلم منبرا، فقد كان أشد زملائه الشعراء عارضة، وأقواهم بيانا، فأمره أن ينشد في الدفاع عن الإسلام. فأخذ حسان بالرد والنقض على ما يتفوه به الشعراء المشركون من هجاء وذم للدين ومفاخرة، مستعيناً بأبي بكر رضي الله عنه فهو النسابة العالم بأيامهم

---

[١] صحيح البخاري ، ح: ٦١٤٥،كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، ج٨/ ص٣٤.

[٢] فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج١٠/ ص ٥٤٠.

[٣] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٩٧.

[٤] ضعيف، ذكره ابن عبد البر ،الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد البر القرطبي، تحقيق:علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ، ج١/ص٣٤٢.

و أحسابهم، فكان أثر قوله كما قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم: «كَأَنَّمَا نَضْحُ النَّبْلِ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ»[١] فمثّل البيومي على ما دار بينه وبين ابن الزبعرى" كما مثل على ما دار بينه و بين "الزبرقان بن بدر" ليؤكد استعمال النبي صلى الله عليه وسلم للشعر وللشعراء في خدمة الدين ونصرته، فذكر أنه حين شمت ابن الزبعرى" بالمسلمين بعد "أحد" لم ينس أن يعرض بحسان فيقول في قصيدة:

يا غرابَ البينِ أسمعتَ فقلْ إنما تطقُ شيئاً قدعقلْ

أبلغا حسانَ عني آيةً فقريضُ الشعرِ يشفي الغللْ [٢]

فيأتيه الرد من حسان مناقضاً بقصيدة بالوزن والقافية نفسيهما حين يقول:

زَعَمَتْ سَخِينَةُ أَنْ سَتَغْلِبُ رَبَّهَا كانَ المفضلُ فيهمُ أو عدلْ

وقدْ نلتمُ ونالهمُ وكذلكَ حربُ أحْيانُوَّلْ [٣]

فأكد البيومي على مكانة حسان من الدعوة فعندما يزل يجد الصفح العاجل من الرسول صلى الله عليه وسلم، فلو قام غيره مقامه في حادثة الإفك ما وجد الصفح السريع كما وجده حسان. كما مثل البيومي بعدة نماذج تدل على علو مكانة حسان بن ثابت رضي الله عنه التي لا تخفى عن الملأ[٤].

---

[١] مسند أحمد ، ح: ٢٧١٧٤، مسند القبائل ،حديث كعب بن مالك ،ج٥ /ص ١٤٧.

[٢] السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، ج٢/ص١٣٦.

[٣] السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، ج٢/ص١٣٧.

[٤] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١٠٤-١٠٥.

احتفاء الرسول صلى الله عليه وسلم بغير الشعراء المسلمين:

ذكر البيومي قضية أخرى في تحبيذ الموقف النبوي من الشعراء، فقد احتفى –صلى الله عليه وسلم– بغير الشعراء المسلمين، فمثل البيومي بستة نماذج على ذلك منها:

احتفاء الرسول الله صلى الله عليه وسلم بكعب بن زهير، وقبل اعتذاره عندما قال:

بانَت سُعادُ فَقَلبي اليَومَ مَتبولُ ... إِثرَها لَم يُفدَ مَكبولُ .[١]

فبلغت قصيدته مبلغها من نفسه صلى الله عليه وسلم ونادى الأنصار لسماعها ثم أجزل له العطاء ومنحه بردته الشريفة.

كما ذكر أن"أبا عزة الجمحي" الشاعر يوم أسر في غزوة بدر واستشفع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بأبيات قال فيها:

أَلَا أَبْلِغَا عَنِّي النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ... بِأَنَّكَ حَقٌّ وَالْإِلَهُ شَهِيدُ

وَأَنَّكَ مَهْمَا تَدْعُ إِلَى الرُّشْدِ وَالتُّقَى ... يَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ مَزِيدُ[٢]

كما استشهد البيومي بقصيدة أخت النضر بن الحارث، عدما رثت أخاها النضر بن الحارث بعد قتله في غزوة بدر بقصيدتها الشهيرة:

يا راكبًا إنَّ الأثيل مظنَّةٌ ... من صبح خامسةٍ وأنت مَوفَّقُ[٣]

---

[١] السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، ج٢/ص٥٠٣.

[٢] طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني، جدة، ج١/ص٢٥٣-٢٥٤.

[٣] السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق،ج٢/ص٤٢.

وفيها عتاب كريم له صلى الله عليه وسلم قال ابن هشام: ﴿إنَّ رسول اللَّهصلَّى اللهُ عليه سلَّوم لمَّا بلغه هذا الشِّعر، قال: لو بلغني هذا قبل قتله لمتنُّ عليه﴾[١]. وهذا يبين قدر الاحتفاء النبوي بالشعراء غير المسلمين[٢].

مدى معرفته صلى الله عليه وسلم بطرائف الشعر، والتفاته إلى القريض:

كما ذكر البيومي أن الآثار تدل على إلمامه الكثير صلى الله عليه وسلم بطرائف الشعر، والتفاته إلى القريض التفات اليقظ الدارس، فقد سمع الشعر ووعاه وحكم عليه، فالشعر نوع من البيان العربي يميز البليغ منه أماكن الجودة والرداءة، وما اشتهر عن النبي صلى الله عليه وسلم في نشأته الأولى من بغضه، قاصداً نظمه فلا يزاوله؛ معجزة من الله الذي صرفه عنه؛ حتى لا يشتبه على الناس بالشعر عند الدعوة. ومعروف عن شعر الجاهلية بأنه يحتوي على الخبيث والطيب، وكان ميله إلى النمط الرفيع منه. ومثل البيومي ببعضها ناقلاً ذلك عن كتاب دلائل الإعجاز فأشار إلى أربعة نماذج منها:

عندما شحت السماء عن الغيث وصلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الاستسقاء، وقد كانت السماء صحواً ، فسقي ، فاستنشد أبو بكر قول أبي طالب:

وأبْيضَ يُسْتَسْقى الغَمامُ بِوَجْهِهِ ثِمالُ اليَتامى عِصْمَةٌ للأرامِلِ

يَلوذُ بِهِ الهُلاّكُ مِنْ آلِ هاشِمٍ فَهُمْ عِنْدَهُ في رَحْمَةٍ وفَواضِلِ[٣]

إثبات إنشاد النبي صلى الله عليه وسلم للشعر:

---

[١] السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، ج٢/ص٤٣.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١٠٦-١٠٧.

[٣] للاستزادة انظر البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١٠٨.

ثم ذكر قضية أخرى مهمة وهي إنشاد النبي صلى الله عليه وسلم للشعر، فالروايات تنص على عدم إقامته وزن الشعر في الإنشاد،[١] فلا يكمل إنشاد بيت واحد بتمام لفظه و وزنه فيقدم ويؤخر ويخرجه عن وزنه، وإنما كان يحفظ المعاني، فإما أن ينشد صدر البيت وحده، وأما أن ينشد عجزه وحده. وقد ذكر البيومي أنه خالف ((الجمهرة الغالبة من الأدباء؛ حين أجمعت كثرتهم الكاثرة على أن أفصح عربي خلقه الله كان لا يقيم وزن الشعر في الإنشاد، بل يبدل كلمة مكان كلمة حتى لا يتوهم متوهم أنه ينشئ الشعر، والفرق بين الإنشاد والإنشاء هو ما عولت عليه في إحقاق الرأي))[٢]، ويتهم البيومي هذه الروايات ويتساءل أيعقل أن يكون أفصح الناس لساناً غير قادر على إلقاء بيت من الشعر متمثلاً به؟((وهل قول الله: ﴿ **وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ** ﴾[٣]، ينصب على الإلقاء كما ينطبق على التأليف؟ فيكون إنشاء الشعر سبيلاً إلى تأليفه،ثم هل كل راوٍ للشعر ملم بصحة أوزانه وقوافيه شاعراً ينظم القصائد بمجرد روايته وحفظه؟... والأنكى والأدهش أن يتخذ هذا الحصر الشائن دليلاً على نبوة رسول معجزته الفصاحة والبيان، وحجته المنطق و اللسان))[٤]، وإذا بحثنا عن معنى هذه الآية نجد الزجاج يقول في تفسير هذه الآية: ((وليس يوجب هذا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم لم يتمثل ببيت شعر قط. إنما يوجب هذا أن يكون النبي عليه السلام ليس بشاعر)).[٥]وأكد العلماء أن الله نفى عنه صلى الله عليه وسلم صناعة الشعر وليس إنشاده كما قال ابن عاشور:((وليس المراد أنه لا ينشد الشعر لأن إنشاد الشعر غير تعلمه، وكم من راوية للأشعار ومن نقاد للشعر لا يستطيع قول الشعر، وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم قد انتقد الشعر، ونبه على بعض مزايا فيه، وفضل بعض الشعراء على

---

[١] ينظر الفصل الأول، المبحث الثاني، ص ٢٧-٢٩.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص ١٢.

[٣] سورة يس، الآية ٦٩.

[٤] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١١٠.

[٥] معاني القرآن وإعرابه، مرجع سابق، ج٤/ص٢٩٤.

بعض وهو مع ذلك لا يقرض شعراً . وربما أنشد البيت فغفل عن ترتيب كلماته فربما اختل وزنه في إنشاده، وذلك من تمام المنافرة بين ملكة بلاغته وملكة الشعراء))[١]. وينبه البيومي أنه يقصد الإنشاد فقط، أما تأليف الشعر فهو متفق على امتناعه، وأن ما صح على لسانه من الرجز مثل قوله: أنا النبي لا كذب، فالبيومي معترف أنه جرى على لسانه صلى الله عليه وسلم عفواً بادئاً دون ارتصاد لنظمه، وكان انصرافه عن النظم كي لا يظن ظان أن كتاب الله شعر يقوله شاعر، وقال البيومي:((إذ إن صاحب الدعوة في حاجة إلى توضيح مذهبه وإرشاد قومه ومناقشة خصومه ببيان وضاح، لا يجنح به الشعر عن الدقة والتحديد إلى المبالغة والإغراق، ولا يميل به عن الواقع المشاهد إلى الخيال الشارد))[٢]، ثم يمثل البيومي بتعليل الرافعي في قضية منع إنشاد الشعر الذي يعده لباب ما يقوله رفاقه المانعون:((والذي عندنا أنه صلى الله عليه وسلم لم يمنع إقامة وزن الشعر في إنشاده، إلا لأنه منع من إنشائه، فلو استقام له وزن بيت واحد لغلبت عليه الفطرة القوية، فمر في الإنشاد وخرج بذلك لا محالة إلى القول والاتساع وإلى أن يكون شاعراً ولو كان شاعراً لذهب مذاهب العرب التي تبعثه عليها طبيعة أرضهم، ثم لا يكون من جملته إلا أن ينصرف عن الدعوة وعما هو أزكى بالنبوة))[٣]، ويرد البيومي متعجباً من قوله؛ فكيف إنشاد البيت الصحيح مدعاة النظم الصحيح،فنرى من كبار أساتذة الأدب في أرقى المعاهد والجامعات من ينشد آلاف الأبيات الصحيحة ويحفظها لكنه لا يستطيع نظم بيتٍ واحدٍ وتأليفه من الشعر،ويمثل البيومي بأبي بكر فقد كان راوية شعر،وكذلك عمر كان ناقداً يوازن بين الشعراء فما شغلهما ذلك عن الأمجاد والفتوح فقد أقاما دولة إسلامية في بلاد الفرس والروم.وقال البيومي أيضاً:((ألا تعجب لرسول الله أن تحضر مجلسه وفود العرب من شتى القبائل ونازح الأصقاع، فيحدثها أفصح حديث وأشهاه، ثم يستشهد ببيت شعر لطرفة مثلاً فيخرج على لسانه مختل الأجزاء

---

[١] التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٢٣/ ص٦٣.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١١١.

[٣] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٤٩.

مضطرب الألفاظ، وهل سيصدق هؤلاء –وفيهم أعداؤه– أنه يكسر البيت كيلا يقدر على نظم مثله فيصير شاعر ًا، وهم يرون خطباءهم يرمون بالخطب الطوال، ويستشهدون بأبيات تؤكد معانيها وأغراضها، فلا يلحقهم هذا الاستشهاد الصحيح بطوائف الشعراء))[١]،ثم ذكر البيومي تعليل الجرجاني لمنع الإنشاد:((ليس المنع في ذلك منعتنزيهٍ وكراهةٍ بل سبيل الوزن في منعه عليهالسّلام إياه سبيل الخطّ حين جعل –عليه السلام– لا يقرأ ولا يكتب في أن لم يكن المنع من أجلكراهةٍ كانت في الخطّ بل لأن تكونالحجّة أبهر وأقهر))[٢]، فرد البيومي بأن تكون الدلالة أقوى ((إذا كان الرسول غير شاعر، وجاء بما أعجز الشعراء، ولكن أية حجة في أن يكسر البيت فيلحقه من سامعيه ما يشين،لا عيب عند العرب إطلاقً ا– ولا عند غيرهم– ألاتكون شاعر ا. فالشعراء قلة بين من سواهم في كل زمان، ولكن العيب كل العيب أن تنطق بيتً ا من الشعر فلا تقيمه وأنت رجل كسائر الرجال، فكيف إذا كنت أفصح البلغاء))[٣]، ويذكر البيومي أن كتب السيرة تجمع على إنشاده صلى الله عليه وسلم أبياتً ا صحيحة "لعبد الله بن رواحة" من الرجز، فيتساءل أين المنكرون من هذا الإجماع؟ فيمثل بتعليل الرافعي؛ بأن الرجز ليس شعر بل هو وزن كالسجع يتفق للصبيان والضعفاء.، لكن البيومي يرد عليه: والصّحيح في الرجز أنه من الشعر، وإنما أخرجه من الشعر من أشكل عليه إنشاد النبي إياه، فقال: لو كانشعر ً ا لما علمه. قال: وهذا ليس بشيء، لأن من أنشد القليل من الشعر أو قاله أو تمثل به على وجه الندور لم يستحق اسم شاعر، ولا يقال فيه:إنه يعلم الشعر، ولا ينسب إليه.))[٤] وقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم أنشد أكثر من مرةٍ رجز "عبد الله بن رواحة" رضي الله عنهإنشادً ا صحيح ً ا، كما تساءل البيومي:((فلماذا لم يكن إنشاد الرجز سبيلاً إلى نظمه حتى يتخوف من إنشاد الشعر الصحيح، ولماذا لم يقل

---

[١] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١١٢.

[٢] دلائل الإعجاز ، مرجع سابق، ص٣٧.

[٣] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١١٣.

[٤] عمدة القاري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج٤/ص١٧٨.

أعداؤه من كفار العرب أنه عليه الصلاة والسلام صار رجّازًا لأنه أنشد أبياتًا صحيحة من الرجز دون كسر واعوجاج))[١]، وذكر أن المنكرون وقعوا في مأزق حرج حين وجدوا الرسول صلى الله عليه وسلم يقول أصدق كلمة قالها لبيد:"ألا كل شيء ما خلا الله باطل"، فذهبوا للتبرير بأنه نثر لأنه صلى الله عليه وسلم لم يكمل البيت. وذكر فقط الشطر الأول، فرد البيومي: أل(من يسمعه منفصلاً عن عجزه يعلم أنه شطر تام من بيت شعري شهير، فهو شعر لا محالة، ونحن نستشهد في مقالاتنا وخطبنا بأشطار من الأبيات تجري مجرى الأمثال بل نستشهد أحيانًا ببعض الشطر لا كله،فلا يمنع ذلك أحدًا أن يقول إنه استشهاد بالشعر، وهبني قلت في كلمة ما "وإنما الأمم الأخلاق"فقط أفلا يطير ذهن القارئ إلى شوقي مدركًا أني استشهدت بشعره))[٢]، ويذكر البيومي أن الحديث عن سلامة الشعر المنشد على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم هو حديث عن تمام فصاحته وكمال بلاغته وهما لا يحتاجان إلى دليل.

وفي هذا المبحث تحدث البيومي عن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر والشعراء، وذكر أن رأي القرآن الكريم والسنة المطهرة واحد في الشعر، بتحبيذهماتجاهًا عاقلاً ، ومعارضتهلتجاهًا سفيهًا،وأنكر على الذين يقولون بكراهية الشعر فاستدلالاتهم كانت بآيتين من القرآن الكريم، وحديث نبوي واحد، وقد تناولهما البيومي بالدراسة وفند مزاعمهم، كما استدل بالأحاديث والمواقف النبوية الدالة على إباحة الشعر في الإسلام، ثم انطلق إلى قضية أخرى وهي: الاحتفاء النبوي بالشعراء المسلمين واستخدامهم في الدعوة، وبعدها انتقل للحديث عن تحبيذ الموقف النبوي من الشعراء غير المسلمين، وانتقل للحديث عن الآثار الدالة على إلمامه الكثير –صلى الله عليه وسلم– بطرائف الشعر، فقد سمع الشعر

---

[١] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١١٤.

[٣] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١١٤.

ووعاه وحكم عليه، ثم تحدث عن قضية أخرى مهمة وهي إنشاد النبي صلى الله عليه وسلم للشعر حيث خالف أغلب الأدباء والعلماء؛ حين أجمعوا على منع إنشاده للشعر. وأرى أن البيومي فصل في موقف الرسول من الشعر تفصيلاً رائعاً .

المبحث الثالث: سمات البيان النبوي عند البيومي

تحدث البيومي عن سمات البيان النبوي بالتفصيل والتدقيق، فشرح خصائصها وقسم عناصرها حسب تحديد النقد المعاصر، إلى ثلاث عناصر: الأفكار والصور والعبارات، أما العاطفة فذكر أنها قاسم مشترك بينها، وقد بين كل عنصر بما يوضح دقائقه مع التمثيل والتدليل،وذكر أن هذا التقسيم مسألة اصطلاحية معاصرة فلا مانع أن تكون الصورة جزءاً من الفكرة، وكذلك التصاق التعبير بالفكرة،فعلل له قائلاً :((إذا كان هذا التقسيم مسألة اصطلاحية، فقد راعيتها على ما يوجه إليها من بعض الاعتراض؛ لأنها مع ذلك كله أقرب طريق إلى التحليل الصادق والتشريح الواضح؛ بحيث تعطي القارئ صورة أمينة لما يريد الكاتب أن يقوله عن كل نص أدبي يتعرض له))[١]. فحدد البيومي منهجاً لدراسة "سمات البيان المحمدي" بالأسلوب الأدبي وعناصره. التي يمكن تعريفها بأنها:((طريقة الصياغة التي تتصرف في تلك العناصر بما تراه أليق بموضوع الكلام))[٢] وسوف نتناول هذه العناصر الثلاثة بالتفصيل.

---

[١] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١٥.

[٢] الأسلوب، أحمد الشايب (ط١٢)، مكتبة النهضة المصرية، مصر،٢٠٠٣ م، ص٥٢.

أولاً : الأفكار في الحديث النبوي الشريف:

بدأ البيومي بوصف الأفكار البليغة الجيدة عامة التي تميز الأدب، فذكر أن من سماتها القوة، والجدة والطرافة، والتحديد الدقيق، والتسلسل والتتابع. فالكاتب يتطلب منه كما قال الشايب: ((أن يختار الأفكار التي يريد أداءها لجدتها أو قيمتها أو ملاءمتها لمقتضى الحال، ثم يرتب هذه الأفكار ترتيباً معقولاً ليكون ذلك أدعى إلى فهمها وحسن ارتباطها في ذهن القارئ وأخيراً يعبر عنها بالألفاظ اللائقة بها، فإذا ما فعل ذلك حصل على الأسلوب العلمي))[١] ثم طبق هذه السمات على الأفكار في الحديث النبوي الشريف.

قوة الفكرة :

يتصف الحديث الشريف بقوة الأفكار؛ فبيانه صلى الله عليه وسلم وأفكاره زلزلت العقائد المتأصلة في النفوس بعنف وحطمتها، ثم أقامت مكانها عقائد أخرى مضادة تماماً لها. فقد نقل الناس من الجاهلية إلى الإسلام. وهذا أكبر دليل على قوة الأفكار في الحديث النبوي التي لا يستطيعأحدٌ إنكارها.

ويضع البيومي نفسه مكان المحلل الأدبي لينظر إلى الأفكار النبوية التشريعية، والآداب الخُلقية، والأحاديث الغيبية، من الوجهة الفنية،((فيجدها من ناحية الفكرة ذات قوة غالبة نفاذة تنبئ عن عقلية دقيقة واعية، ومن هنا كثرت الحكمة في البيان النبوي وتسابق البلغاء إلى اقتناصها، لأن الحكمة لا تأتي إلا عن تجربة شاملة وفكر دقيق))[٢]. ومما يظهر هذه القوة ويزيدها السياق وطريقة العرض، فإذا كان سياقها في استعلاء وغموض فالمتلقي يبتعد عنها، أما إذا كان السياق مفهوماً لدى جميع المتلقين، واتصف بالوضوح والسهولة فالمتلقي يقبل عليه. وهذا السياق السهل المفهوم هو من أهم مميزات الأفكار في الحديث النبوي

---

[١] الأسلوب، مرجع سابق، ص٥٦.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٢٦.

الشريف،((على أنه لو كانت الأفكار عويصة وجب على البليغ أن يحقق من السهولة أبعد درجاتها، ويكسب تراكيبه صفة الشفافية، لتكون كالزجاج الأبيض الصافي، يحفظ الرسم، وينم عنه كما هو أو كأنه لا زجاج يحميه. والقانون الأساسي لتحقيق هذا الجلاء هو تحري البساطة في صوغ العبارات ومجانبة التعقيد، مع الاحتفاظ بسموها وقوتها))[١]. كما استشهد البيومي على ذلك بثلاثة نماذج تدلل على قوة الفكر النبوي وسهولة سياقه[٢] منها:

عن النعمان بن بشير، قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:((إِنَّ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ وَالْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ))[٣].

هنا رُسمت الأفكار في هذا الحديث بوضوح، فمتلقيها يميز قوتها التي نشأت عن تجربة صائبة تتسم بالإيجاز. وقد سبق تحليله[٤].

يذكر البيومي أن هذه الأفكار تحمل الطابع العام للبيان النبوي؛ وهو الصدق الموجز دون تزيد فهذه((أسطر قليلة تعرِض عدة قضايا متنوعة يجمعها رابط دقيق، فوضوح الحواجز بين الحلال والحرام لا يمنع وجود مشتبهات توجب اليقظة والحذر، وتدفع إلى الاحتراز إذ إن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، وهذا تصوير محسوس لأمر عقلي يزيد به وضوحاً وجلاء .. أما الحمى المحظور فمحارم الله، وأما القلب فهو مصدر الصلاح إذا بعد عن

---

[١] الأسلوب، مرجع سابق، ص١٩٠.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٢٧-٢٢٨.

[٣] سبق تخريجه في الفصل الأول، المبحث الثالث، ص٦٠.

[٤] انظر الفصل الأول ، المبحث الثالث، ص٦١-٦٢.

المحارم، أو الفساد إذا وقع فيها)) [١]، فصدرت هذه الأفكار والصور الإنسانية القوية من التجارب النبوية مع البشر،وهذه التجارب هي من قدمت له هذه الصور وأمثالها، مع الاكتفاء بالإيجاز دون الإسهاب؛ لكي تكون سهله لتدعو المتلقين للتفكير.

طرافة الفكرة وجدتها:

ذكر البيومي أن كل رسول يأتي بالجديد،والرسول صلى الله عليه وسلم جاء أيضاً بالجديد على قومه، ولكي تتأصل تعاليمه لجأ إلى التكرار المعنوي لترسخ ذلك في النفوس، فكان يلزم تجديد الصور والإطار؛ لكي يضمن أن تستمر الجاذبية لحديثه، ((ومن أبدع صور الجمال التنويع فيه والتنقل من لون إلى لون آخر منه، أما الثبات والتكرار للصورة الواحدة في كل الأوقات فهو ممل للنفوس مهما كانت هذه الصورة جميلة. باستثناء تكرار المقاطع في بعض ألوان صور الجمال، كشجرة الورد على رأس كل زاوية عند منعطف الطريق، أو على رأس كل مسافة، لتكون بمثابة الدلالة.وكذلك حال الأفكار وأساليب عرضها الأدبي)) [٢]. فالهدف واحد لكن اللفظ والتركيب متنوع، وقد ذكر أربعة نماذج ليدلل على طرافة عرض الأفكار في الحديث النبوي الشريف منها:

قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((مثلي تُوعِدونه إلا قد تُ هفي لا تي ذ ه ،
لقد يء بالنار ذلكم حأيتم وتي أخر تمخ افة لتن يب ني م لفح ه لحر تى أيت
فيها لحا بالم ح ج يجوص به في النار كيانه رقالها حاجج ن ه فإفط ن له قال إنما
تع بملقح ج ني و ، إنقل ع نه هب به جرتى أيت فيها لحا به الله ر والتي طت هف لم
تطعم ه لد ع هت أكل من خ شا الأر ضح تي اتت ج وع ائم ي بالجو نة لكم
رحأيتم قرتي دم ت ح قه مت في ق اموي لمقد د ت ي دوي أنأيا يدأتأن او ل ن ثمرها

[١] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٢٧.

[٢] البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن بن حسن الدمشقي، دار القلم، دمشق،١٤١٦هـ، ص٢٤-٢٥.

لِ تَ نْظُرإِلَوا ْه ِ ثمُ َّدلَي ِ أَنأَلْاعَ َل فَممَ ِشلَنَي ْ ءٍ تَلُوونَه ُإِلا َّقَلأَي ْ تَه ُفِي َلا يَه ِذَ ه ِ))[1].

فمعنى قوله: "ما من شيء توعدونه" أي: ليس شيء وعدتم بمجيئه من الجنة والنار وغيرها من أحوال يوم القيامة. وقوله:"مخافة أن يصيبني من لفحها" أي: من ضرب لهبها. أما معنى: "ورأيت فيها صاحب المحجن" أي: العصا الذي يكون في رأسه اعوجاج كالصولجان. وقوله:"يجر قصبه" أي:يسحب أمعاءه في النار. وقصد بقوله:"يسرق الحاج" أي: متاعهم. وقوله:"بمحجنه، فإن فطن له" بصيغة المجهول، أي: علم به ومعنى:" قال : إنما تعلق " أي: الشيء المسروق، " بمحجني وإن غفل عنه ": على بناء المفعول، أي: ذهل وجهل به ذهب به. ومعنى:"وحتى رأيت فيها " أي: في النار. وقوله:"صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها " أي: لم تتركها. ومعنى:" تأكل من خشاش الأرض" أي: هوام الأرض و يابس النبات.[2]

وعلى اليومي أن الرسول صلى الله عليه وسلم ضمن أفكار ً امهمةً في هذا الحديث لكي تعمق في النفوس المؤمنةفذكر أفكاراً :((في التنفير من الاحتيال على السرقة، وتعذيب الحيوان الضعيف، ومن تحقيق وجود الجنة والنار على وجه يقطع الشك، وهذا كله لا يترك صداه البعيد في النفس إذا سيق مجد ًا من طرافته الجديدة، إذ سيق في مشهد يصور صلاة الرسول وقد تأخر قليلاً حين لمس لفح النار وشاهد بعض المعذبين، ثم تقدم حين رأى الجنة وهم أن يتناول من ثمرها فبدا له ألا يفعل))[3]، فحملت الأفكار النبوية طرافة وجدة في المعاني فكستها أبهة وجمالاً وكلّنا نلاحظ أنّ النّاس تُعجبهم وتحلو لديهم المعاني الجديدة المبتكرة، ويقولون

---

[1] صحيح مسلم، ح:٩٠٤، كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار، ج٢/ص٦٢٢.

[2] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، مرجع سابق، ج٥/ص١٩٧١-١٩٧٢.

[3] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٣٠.

في عباراتهم الدارجة: لكل جديد لذّة. فاشتمال الكلام على المعاني الجديدة المبتكرة ...هو من عناصر الجمال الأدبي، والزينة الجوهريّة في الكلام"[١] .

تحديد الفكرة وتشخيصها:

ذكر البيومي أن من أهم خصائص المفكر المطمئن تحديد المعاني وتقديم خُلاصتها فهو"الذي يجيل النظر طويلاً في الأشياء والخواطر، ليقرن النظير إلى النظير، وليجمع بين الأمور المتقاربة في أحكام تتشابه على قدر ما بينها من الاتفاق، وصاحب هذا التحديد الدقيق فوق إدراكه القوي ونظره المحيط ذو خبرة حاذقة بدخائل النفوس، فهو في تحديده الضابط يختصر مسافات بعيدة من الفحص اليقظ والتتبع الدائب، ليقدم خلاصتها الموجزة مركزة في عدة نقاط متقاربة"[٢]، للتحديد.

ومن نماذج التحديد النبوي "ذكر العدد"، وهي البدء بذكر العدد لتحديد معاني مهمة، وعند التأمّل ما السر في هذه الأعداد والابتداء بها في الأحاديث النبوية؟ ثلاثة ، أربع ، سبعة .... فيتضح أنها تدفع إلى التشويق والإثارة، وترقب الفائدة، وجذب انتباه المتلقي، حتى يتفتح قلبه وعقله لما سيُلقى عليه. وهو جزء من أسرار بلاغة الحديث الشريف، "واللجوء إلى حصر الفكر في عدد يُلتزم به عند بدء القول، قبل الدخول في التعداد، والشرح، والتفصيل، من أبرز الأساليب التي تدل على أنه بذل في الرأي جهداً كبيراً قبل تقرير النتيجة، وإخراجها للناس."[٣]، ولا يأتي هذا التحديد الفني بسهولة، فهو يحتاج إلى جهد وتفكير طويل"وقد نستسهل الأمر ونحن نقرأ عصارة الأفكار، التي جاءت بهذا الحصر، ونظن أن هذا الأمر جاء

---

[١] البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، مرجع سابق، ص٥٦-٥٧.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص ٢٣١.

[٣] يأتي التعبير بعد التفكير، عبد العزيز عبد الله الخويطر، بحث منشور في مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند، الهند، العدد : الخامس، السنة : ٣٨، ١٤٣٥ هـ ، ص١.

نتيجة تفكير متأن فقط، ولكننا قد نكتشف بعد التدبر أن الأمر أخذ سنين قبل أن يصل قائله فيه إلى هذا القول،...وأحكم الأقوال في هذا المجال الأحاديث النبوية، ففيها حصر واف ٍ ، وفيها إحاطة دقيقة، ومعها حكم صائب؛ ويكون مؤداها القبول لكل من نظر فيها، صبحو إطار ً ا قيّم ً ا يهتدى به في أمر الدين.))[1] وقد مثل البيومي للتحديد بذكر العدد بعدة أحاديث منها:

قوله صلى الله عليه وسلم:((آية المنافق ثلاث وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان))[2]، كثير ما يرد هذا النوع من التحديد اللافت في الحديث النبوي، والذي يميزه دلالته التأثيرية فقد((حصر العلامات التي يعرف بها المنافق، فأي رذيلة في المعاملة لو أريد لها أن تضاف لوجد أنها تخرج عن هذا النطاق، وتدخل في آخر، ولو أريد إسقاط إحدى الصفات لبقى التعريف ناقص ً ا، والعلامات مبتورة. والاستقراء، والتتبع يؤكد هذا. فالرسول-عليه الصلاة والسلام-لم يرتجل هذا القول ارتجالاً، ولم يقله دون تروٍّ وتبصر، وهدي من الله -سبحانه وتعالى-، وما كشف له من صفات المنافقين، ولم يخل زمنه منهم، ولعلهم من أدق من ينطبق عليهم هذا التعريف. فهم له أوضح دليل وأبينه))[3]، كما شرح البيومي هذا الحديث قائلاً :((حين يسمع لأول وهلة قول الرسول: آية المنافق ثلاث، لا ينصرف ذهنه إلى أن للمنافق أكثر من عشرين صفة يمكن إحصاؤها بسهولة، ولكنه يتتبع الأمور الثلاثة المنصوص عليها في يقظة وحرص محاذراً أن يكون على شيء منها، وكأن هذه الثلاثة تسد عليه الأفق فإذا وجد منها انفلاتاً ، فقد استراح، وإذا وقف أمام بعض أبوابها فإنه ليجتهد أن يدفعه عن

---

[1] يأتي التعبير بعد التفكير، مرجع سابق، ص١.

[2] صحيح مسلم، ح١٠٧، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، ج١/ ص٧٨.

[3] يأتي التعبير بعد التفكير، مرجع سابق، ص٢.

وجهه، وهذا هو التأثير الجاذب لسطوة العدد يلقى في مفتتح الحديث فهو لا محالة نوع من التحديد الفني))[١].

تسلسل الفكرة وتتابعها:

تتابع الأفكار وتسلسلهاوحسن عرضها يترك أثراً عظيماً في نفس المتلقي، وهي من أهم سمات المفكر المتمكن، فالفكرة في الجملة الأولى مترابطة و متجانسة مع الفكرة الأخرى في الجملة الثانية، وتسلسل الأفكار مرتبٌ متلاحقة. مع القدرة ((على معرفة الروابط بين الأفكار، والانتقال فيها بين اللوازم والملزومات، والأجزاء والكل الذي يجمعها، والخاصِّ والعام، والمتناقضات والأضداد، وغير ذلك من المعاني ذات الترابط فيما بينها في الواقع أو في الفكر، فهي تتخاطر معاً ولو كانت قضاتٍ وأضداداً، ويستدعي بعضها بعضاً .ولا بدّ مع ذلك من توافر الذوق الفنيّ ، والحسِّ الجمالي الرفيع، لوضع هذه الأشياء في مواضعها، بحسب مقتضى حال المخاطب))[٢]، و الأفكار الجيدة حتى لو كانت صحيحة وقيّمة- إذا لم يجد المفكر حسن عرضها وترتيب تسلسلها فإنهّا ستفقد جمالها وقيمتها، وعلى الطرف الآخر نجد بعض الأفكار المنحرفة تظهر وتشيع وتنجح لأن المفكر أجاد في حسن عرضها.

أما تسلسل الأفكار وتتابعها في الحديث النبوي ظاهرة للعيان وجداً واضحة، وقد ذكر البيومي أربعة نماذج دون أن يعقب عليها معللاً ذلك بأن:((النسق النبوي في اطراده المتسلسل وتلاحقه المتتابع لا يحتاج إلى تعقيب. فهو من وضوحه الساطع بحيث تغمره أشعة الشمس بأمواج الضياء))[٣]ومن هذه النماذج:

---

[١] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٣٣-٢٣٤.

[٢] البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، مرجع سابق، ص٥٨.

[٣] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٣٤.

عن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك
[illegible] قال: ((يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا،
[illegible] يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من
[illegible] يا عبادي كلكم عار، إلا من كسوته، فاستكسوني
[illegible] يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر
[illegible] يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن
[illegible] وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في
[illegible] لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل
[illegible] يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم
[illegible] فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما
[illegible] يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم
[illegible] فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه))[1].

فتسلسل الأفكار وتتابعها واضح في الحديث القدسي وقد بدأ بالنداء"يا عبادي" وتكرر هذا النداء في هذا الحديث عشر مرات، وكل جملة فيه تدل على الرحمة واللطف من المولى سبحانه وتعالى. فتأتي الفكرة الأولى لتحريم الله الظلم على نفسه، وتحريمه التظالم بين العباد، ثم تتسلسل الفكرة الثانية متجانسة مع الأولى فالإنسان ضال والله عز وجل هو من هداه. ثم تتدفق الأفكار من أعلى القمة متسلسلة متتابعة متجانسة مترابطة، يعجز المرء عن وصفها، فمن كرم عزّ وجل يعرض على عباده حالهم وافتقارهم إليه، ثم يدعوهم إلى دعائه عزّ وجل حتى يزيل عنهم ما فيهم من الفقر والحاجة. فأصل الإنسان قاصر جائع إلا من أطعمه الله، كما أن الأصل في الإنسان العري حتى يكسوه الله عزّ وجل، وكل ابن ادم خطاء وما يغفر الذنوب إلا الله. وتقوى المتقين رحمة لهم منه تعالى فلا تزيد في ملكه شيئاً . وخزائنه

[1] صحيح مسلم، ح ٢٥٧٧، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ج٤/ص١٩٩٤.

ملأى لا تنفد فمن طلبه أعطاه، ومن عملصالحاً فالله جل جلاله هو من وفقه لهذه العبادة فلا يحمد إلا إياه. ومن عمل غير ذلك فلا يلوم غير نفسه. [١]

ويتضح مما سبق أن تسلسل الأفكار وحسن عرضها؛ يرغِّب الناس ويشوقهم إلى الاستماعويترك آثاراً طيبةً في نفوسهم، فكان ما عهد من أسلوبه صلى الله عليه وسلم، كما أن الخلط بين الأفكار وعدم ترابطها، يسبب نفوراً في نفوس الناس كما يسبب الملل، لأنّ تشابك هذه الأفكار وتداخلها مع بعضها يشوش على السامع انتباهه، ويحيره فلا يميز بداية الفكرة من نهايتها، كما لا يستطيع الفصل بين هذه الأفكار.

وتتلخص خصائص الأفكار في الحديث النبوي كما وصفها البيومي بالقوة والجدة والتحديد والتسلسل مع ميلها للإيجاز المحكم في غير موضع الخطابة، فجوامع الكلم من أهم مميزات البيان النبو يوهي مع إيجازها ترمز إلى معانٍ كثيرة.

---

[١] شرح الأربعين النووية، مرجع سابق، ص٢٣٨-٢٤٢.

ثانياً :الصور البيانية في الحديث النبوي الشريف:

الصورة لون من ألوان البيان النبوي، وقد استخدمها صلى الله عليه وسلم للإفهام والتفهيم،وهي ليست لزخرفة القولِ فقط ولا لتحسين ظاهر المعنى؛ بل الصورة تتداخل بالمعنى فلا يمكن فصل أحدهما عن الآخر. كما تحدث عن سر انجذاب النفوس للصور النبوية، وهو معرفته صلى الله عليه وسلم لعناصر التأثير في البيان، وأوجه الجمال في اللسان. كما عبر عن روعة ((الصورة البلاغية في أدب محمد صلى الله عليه وسلم مما يشرف البيان العربي في جميع عصوره، بل مما تتخذ نمطاً عليًّا يحتذى به عند الاقتداء؛ لأنها في لبابها الصميم صور حية وإبداع ملهم مطبوع لا صنعة متكلف يتفاصح)) [١].كما تحدث عن أمور بيانية تندرج في الصورة الفنية، فذكر التشبيه في البلاغة المعاصرة،[٢] وبين منزلة الصورة الكلية والجزئية في الأسلوب البياني. كما وضح المراد من الموسيقى النثرية الخفية مستنداً على الدراسات المعاصرة. فالصورة الفنية تخفف من جفاف اللفظ وتدرك بالإحساس . فقد ((عمد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تصوير المشاعر الداخلية وتحليل الدوافع النفسية المتعارضة، وتجلية القضايا التجريدية بكل وضوح. وكثيراً ما تكون الصورة في دلالتها مغنية عن الكلام الطويل))[٣]، وتوضح المعنى وتشرحه، و لحدت الصورة عنصراً فاعلاً في تركيب ذلك الخطاب الشريف بما يسهم في إنتاج دلالته، كما أنها صارت وسيلة رئيسية؛ لتحقيق غايات تعليمية سامية، وأهداف تربوية جليلة؛ لأجل الإبانة والتأثير والإقناع والتمكين في نفوس المتلقين، هذا فضلاً عن أبعادها الجمالية والتحسينية التي تتجلى نتيجة لتشكيلها دون أن تكون مطلقاً لها))[٤].

---

[١] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٣٩.

[٢] للاستزادة أنظر إلى البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٣٧-٢٤٠.

[٣] الحديث النبوي مصطلحه بلاغته كتبه، مرجع سابق، ص٧٩.

[٤] البلاغة في القرآن الكريم والسنة النبوية، مرجع سابق، ص٣٣٣.

وقد ذكر البيومي أمثلة على الصور الفنية في الحديث النبوي الشريف منها:

عن أبي موسى الأشعري، عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:((مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ))[1]، ويبين هذا الحديث موقف الناس من الهدى والعلم، لقد خرج بنا الحديث عمّا نسمعه بالآذان إلى ما نراه بالعيون وهي الأرض تحت الغيث، وجاء أسلوب الحديث تصويرياً قائماً على مشاهد الطبيعة، واختار((هذه الصورة المنتزعة من حياة العرب الذين يهتمون بالمياه، استطاعت أن تصف موقف الناس من الدعوة الوصف الدقيق الرائع الموجز))[2]، وهنا يتجسد التشبيه بصورة حسية من الواقع محسوسة، فتنفذ مباشرة في أعماق المتلقي وتهز مشاعره،((وجاء التشكيل البنائي للصورة على طريقة اللف والنشر، بغرض تنشيط ذهن المتلقي وتحريكه، حتى يقف على المراد من الحديث، وذلك عن طريق تقسيم الأصناف، واتباع كل قسم ما يخصه من ناحية القبول أو الرفض والاعتراض، من خلال الترابط الدلالي بين الهداية والغيث، والإنسان والأرض؛ مما يحقق وحدة الصورة وترابطها))[3]، وأما البيومي فعلق أنه لا نظير لهذه الصورة النبوية إلا في القرآن الكريم، وقد بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم بتصويره مبلغ التأثير القوي و قد أدى رسالته البيانية على أكمل ما يراد وقال:((هذا المثل الأدبي الرائع قد جلاء المعاني الخاصة بالانتفاع بالهدى والعلم جلاء مؤثراً ، فأضاف إلى الحقيقة الفكرية بمدلولاتها الثلاثة صورة جعلتها تختال

---

[1] صحيح البخاري، ح ٧٩، كتاب العلم باب فضل من علِم وعلَّم، ج١/ص٢٧.

[2] الحديث النبوي مصطلحه بلاغته كتبه، مرجع سابق، ص٨٩.

[3] البلاغة في القرآن الكريم والسنة النبوية، مرجع سابق، ص٣٤٢.

أمام العيون في ثوب بهيج لا شك أن سامعه سيقارن بين الشبه والشبيه فيزداد تأثر ًا وانفعالاً بما سمع،يندفع إلى التفكير فيما يسمع مدققً ا محللاً إذ مس أوتار قلبه مسً ا حيًّا))[١].

روعة التمثيل النبوي:

وذكر البيومي مزايا للتمثيل الأدبي الجميل في الحديث النبوي، وهو أنه لا ينطبق على المعنى المراد أن تجلو معانيه فقط، بل يتعداه إلى أمور بعيدة عن نصه، فيضم إلى الصورة الفنية أموراً يمكن أن تندرج تحتها لبعض وجوه التشابه القريب. كما ذكر ميزة أخرى للصور البيانية النبوية((ترجع إلى ما تتضمنه الصورة من الإيجاز البليغ،... فهو أدرى بمناحي الروعة ومثارها لدى النفوس، لذلك نراه عليه الصلاة والسلام يوجز ويوجز، حتى في مجال التصوير الأدبي حيث يتوهم بعض الناس أن روعة الصورة البيانية لا تكتمل إلا بانفتاق القول واتساع الحديث،وها نحن أولاء نرى السطر الواحد من بيان محمد يسع حشودً ا))[٢]، كما مثل البيومي لهذه الصور البيانية الموجزة في الحديث الشريف بنموذجين منها ((مِثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ، مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ كَفَأَتْهَا، فَإِذَا اعْتَدَلَتْ تَكَفَّأُ بِالْبَلَاءِ، وَالْفَاجِرُ كَالْأَرْزَةِ، صَمَّاءَ مُعْتَدِلَةً، حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ))[٣].

في هذا الحديث يحث الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمنين على الصبر في الابتلاء والشدة، فهذه الحياة دار امتحان لبني آدم قال تعالى:﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾[٤]. وهنا قابل الحديث النبوي بين صورتين، إحداهما تمثل المؤمن الذي تتوالى عليه ألوان المحن فما يصيبه من هم وحزن وأذى حتى الشوكة يشاكها

---

[١] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٤١.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص ٢٤٤.

[٣] صحيح البخاري، ح٥٦٤٤، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، ج٧/ ص١١٥.

[٤] سورة الملك، الآية:٢

إلا كفر الله بها خطاياه. مشبهاً بخامة الزرع أي: النبتة الصغيرة الطرية التي تميلها الرياح فتميل معها، ثم تعود بعدها إلى صورتها الأولى، في حين شبه المنافق بالشجرة الصماء "الأرز" التي لا تتحرك مع هبوب الرياح وتظل معاندة صامدة فتقتلعه من جذوره. إن ((هذا التعبير يرسم صوره حية للمنافق، وهي صورة يتملاها الواقع وتكاد تبصرها العين لشدة وضوحها وتسجيل هيئتها، فيخيل للسامع أنها حاضرة أمامه))[١]، أما البيومي فقد ذكر روعة اختيار التمثيل النبوي وصدقه بذكر الخامة من الزرع فالمؤمن دائم الوقوع والاعتدال، وإن المؤمن ((حين يرى جاره الفاجر يعب وينهل من المحرمات دون أن تعثر به قدم .. لا شك أنه سيقارن ويوازن وقد يغشى روحه ضباب الشك لحظات مريرة فيرتاب في مسلكه النزيه، فإذا تلوت عليه حديث محمد بتصويره الملهم فسيرى نفسه كمثل الخامة من الزرع تكفأ وتعتدل، فإذا اعتدلت ذهبت بالبلاء))[٢]. كما وصف وصفاً جميلاً لشعور المؤمن حين قال:((بل إن شعوره نحو جاره الفاجر لينقلب من الحسد إلى الرثاء إذ يراه يوشك أن يقصم كالأرزة الصماء فلا تنهض له قائمة متى شاء الله؟ أي سحر يبثه هذا البيان)).[٣]

التمثيل الأدبي بالصور الكلية:

واستشهد البيومي على روعة التمثيل الأدبي بقول الجرجاني في كتابه "أسرار البلاغة" الذي أجاد بوصف تأثيره النفسي، كما مثل لها بأبيات من الشعر العربي، لكن البيومي أخذ عليه عدم استشهاده بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية،كما نقد البيومي على محقق الكتاب "رشيد رضا"،أنه استشهد بهوامش الكتاب بآيات القرآن دون الأحاديث النبوية[٤]، فقال:((وقد كان على السيد رحمه الله أن يذكر أمثلة أخرى من روائع الحديث النبوي، وليس

---

[١] الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف، خذري علي، مجلة المنهل، الناشر إتحاد كتاب وأدباء الإمارات، ٢٠١٣، ص٧.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٤٦.

[٣] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٤٦.

[٤] للاستزادة انظر أسرار البلاغة ، مرجع سابق، ص٨٥-١٠٠.

ذلك بمعجزه في شيء. فالرجل محدث حجة حافظ، وهو يعلم أن ضروب التمثيل الأدبي في البيان النبوي مما يتقاصر عنه أكابر الشعراء الذين اهتم بهم الشيخ عبد القاهر))[١]، ومثل البيومي لهذه الروائع من التمثيل النبوي بعدة أحاديث تتضمن صوراً بيانيه كلية وهي الأشق تركيباً والأدل على المقدرة والافتنان، لكنه اعتذر عن التحليل الأدبي لها معللاً ذلك:((ولو ذهبنا بها مذهب التحليل الأدبي على نحو قريب مما سبق لطال القول، ولكننا نكتفي بأن نقول بأنها تلج بالمعنى إلى شعاب النفس؛ فتزيده وضوحاً في الخاطر وجلاء في الذهن، لتستحيل أفكاره الهادية دماً خالصاً يترقرق في عروق المسلم نوراً يمتد في عقله وبصره))[٢].

منها قوله صلى الله عليه وسلم:((مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحَهُ، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً))[٣].

وهنا في هذا الحديث صورة حية صادقة استمدت عناصرها من الواقع. ورسمها للترغيب بمجالسة الصالحين والتنفير من رفقاء السوء، فقد صور الجليس الصالح ببائع المسك، فيستفاد منه كما يستفاد من بائع الطيب وإما أن يعطيك أو تشتري منه أوتشم رائحةً طيبة. كذلك مجالسة الصالح تستفيد منه بالعلم والسلوك والأدب. وصور الجليس السوء بالحداد الذي ينفخ الكير، فلا تجد منه إلا الضر، وإما أنيحرق ثوبك أو تشم رائحةً كريهة، و((هذا الحديث الشريف جاء على صورة التشبيه التمثيلي، والتشبيه التمثيلي"المركب" يتكون من صورة جزئية، حيث تمتزج هذه الصور لتتكون صورة واحدة،فيها جمالٌ فنيٌ وإبداعٌ تصويريٌ ،

---

[١] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٤٧.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٥٠.

[٣] صحيح مسلم، ح٢٦٢٨، كتاب البر و الصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء، ج٤، ص٢٠٢٦.

تفتق الأفكار وتوقظ الهمم والعقول»[١]، وقد حوت هذه الصورة على أركان التشبيه: المشبه والمشبه به، وأداة التشبيه،ووجه الشّبه. وجاء التشبيه معتمداً على أسلوب القصر "إنما " والسر في استخدامه هو لإفادة التأكيد، وإثبات ما يذكر بعدها ونفي ما سواه. وهو قصر إضافي يسمى "قصر الصفة على الموصوف"،«كما نجد أن البيان النبوي، قد اتبع أسلوب اللف والنشر المرتب، إذ قسم الجلساء إلى صنفين: الجليس الصالح، والجليس السوء،ثم أتبع كل صنف ما يخصه. فالجليس الصالح، يخصه حامل المسك، والجليس السوء يخصه نافخ الكير»[٢]. فوظيفة الصورة هنا تصوير المعنى بربط الصور الحسية بصفات حسية وهذا يجعله قريباً من مجال الإدراك الإنساني لكي تنقل مشهداً حيًّا، كما تلخص خبرة وتجربة إنسانية وهي إن ظلت حسيةلأن الصورة دائماً لا مفر من أن تستخدم العناصر الحسية"... المهم أن تكون الصورة في مجملها معبرةقلة للمشاعر الصادقة نقلاً مثيراً»[٣].

التمثيل الأدبي بالصور الجزئية:

ثم انتقل البيومي للحديث عن الصور الجزئية التي جاءت عفو الخاطر في البيان النبوي في كلامه العادي بين الناس، سواء أكان على قارعة الطريق أو في المسجد أو في المنزل،مطبوعاً غير متكلف، فهي موهبة وفطرة صنعها الله عز وجل، وهذه الصور الجزئية«إن مما يضاعف منزلتها في حديث رسول الله أنها سنحت عفواً لخاطر في كلامه العادي بين الناس»[٤]، ومثل البيومي بعدة نماذج للصورة الجزئية من التشبيه و الاستعارة والكناية لكن لم يحللها، فيبدو أن منهجه عدم الاتساع والاكتفاء بالتمثيل.

---

[١] البلاغة النبوية بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص٦٨.

[٢] البلاغة النبوية بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص٧٣-٧٤.

[٣] الأدب فنونه دراسة ونقد، مرجع سابق، ص٨٢.

[٤] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٥١.

ومن نماذج التشبيهات النبوية التي ذكرها قوله صلى الله عليه وسلم((النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا))[١].

هذا الحديث يوضح أصناف الناس، فيشبه الناس بالمعادن التي تختلف وتتفاوت فمنها النفيس والخسيس، ويمكن حمل هذا الحديث على التصوير أو التحقيق. فإذا حمل على التصوير فوجه الشبه مجموع هذه الدلالات الثلاثة:أولاً : المشقة في الكشف عن الحقيقة؛ فالمعادن تحتاج إلى بحث وجهد وتنقيب للكشف عنها وتصنيعها. والناس كالمعادن، فالكشف عنهم يحتاج إلى طول ملازمة ليتبين الشريف من الوضيع،ثانياً : الاختلاف في المراتب: فالمعادن مختلفة فمنها الغالي والرخيص. كذلك الناس فمنهم الكريم ومنهم اللئيم. ثالثاً : الاختلاف في الألوان: فالمعادنمختلفة في الألوان منها الأصفر كالذهب ومنها الأسود كالفحم. كذلك ألوان البشر. ويمكن حمله على التحقيق: أي أن أجسام الناس من معادن الأرض أي عناصرها.كما ثبت ذلك علمياً .[٢] كما يعد ((هذا التشبيه لوحة فنية تصويرية رائعة؛ لأنه مأخوذ من واقع الناس. حيث شبهت صورة اختلاف الناس في مشاربهم، وطباعهم ونبلهم، وطيبتهم، وخستهم، بصورة المعادن التي تشتمل على النفيس والغالي، والخسيس الرخيص))[٣]. والسر في تقديم الفضة على الذهب؛ ((هو الإشارة إلى أصناف الناس الخيرين.فهم ليسوا جميعاً على مستوى واحد في الأفضلية،إذ بينهم فروق في الخير ية، كالفرق الموجود بين الفضة والذهب من حيث النوعية والقيمة))[٤]. ثم انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى توضيح من أفضلهم "خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام"كذلك الناس من كان شريفاً في الجاهلية زاد شرفه في الإسلام فإن تفقه وصل إلى غاية الشرف، هنا تشبيه بليغ حذف منه الأداة ووجه الشبه. وحذفهما يوحي بالارتباط بين طرفي الصورة.

---

[١] صحيح مسلم، ح٢٦٣٨، كتاب البر والصلة، باب الأرواح جنود مجندة، ج٤/ص٢٠٣١.

[٢] أضواء على البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١٤٣-١٤٦.

[٣] البلاغة النبوية بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص٧٩.

[٤] البلاغة النبوية بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص٨١.

و((رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤثر التعبير عن المعنى المجرد بالصورة الحسية المستمدة من حياة المخاطبين، لأن ذلك أدعى إلى أن يفهموا مراده ويتأثروا به، ولأن الصور البيانية تزيد في قيمة الأثر الأدبي، وترفع من شأنه، وتكسو المعاني أبهة وتضاعف قواها في تحريك النفوس لها))[١].

[١] الحديث النبوي مصطلحة بلاغته كتبه، مرجع سابق، ص٧٨.

ثالثاً : العبارة في الحديث النبوي:

ذكر البيومي في بداية حديثه أن الرسول صلى الله عليه وسلم كره التكلف مستدلاً بقول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾[١]، لذلك كان حديثه سهلاً وموجزاً العبارة قريب المتناول لو عده العاد أحصاه، وهنا يبدو أنه اقتبس من كلام الجاحظ المشهور في وصف البلاغة النبوية. ثم استدل على كره الرسول صلى الله عليه وسلم للتكلف بكرهه للثرثرة ونهيه عن التشدق. ولكي يصل إلى هدفه في الدعوة وتبليغها لكافة الناس، كان((يأمر الشاهد أن ينقل عنه إلى الغائب، فإن هذا مما يدعوه إلى الإيضاح الكاشف في القول واليسر الموجز في الحديث كيلا ينقل عنه القول على غير ما أراد،ومن هنا كان الرسول الأعظم حسن الترتيل سهل العبارة لا يتكلم في غير حاجة))[٢].

صفات التعبير لدى الرسول صلى الله عليه وسلم:

ذكر البيومي أن من أهم صفات التعبير لدى الرسول صلى الله عليه وسلم السهولة واليسر في عرض العبارة، وقد علل هذه السهولة في البيان النبوي بأن وراء كلامه فكراً دقيقاً يزن الرأي السديد ميزاناً تامًّا، ثم يعرضه في يسر قريب المتناول))[٣]، ومثل لهذه السهولة بقوله ﷺ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ))[٤]معاني هذا الحديث مفهومه للجميع أيّاً كانت ثقافته وعلمه وقد وصف البيومي هذا الحديث بأنه مع التكرار لا يمل فهو سهل سلس قريب المأخذ، مفهوم لدى جميع الفئات ((ومع هذه السهولة اليسيرة فإن صياغته الأدبية ترمز إلى

---

[١] سورة ص، الآية: ٨٦.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٥٥-٢٥٦.

[٣] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٥٦.

[٤] صحيح مسلم، ح ٤٩، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ج١/ص٦٩.

عقل دقيق خبر أحوال الناس وعرف اختلافهم في القدرات والأعمال، فمنهم من يستطيع مواجهة الباطل بقوته، ومنهم من تعوزه القوة دون الكلمة،ومنهم من لا يستطيع قوة أو كلاماً ، ولكل وظيفته الخاصة أمام المنكر، فهل كانت سهولة التعبير مانعة سداد الرأي وبعد النظر، وصحة التقسيم))[١].وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم ساحةَ تغيير المنكر واسعةً يقدر عليها كل إنسان، ((فمن لم يقدر على التغيير باليد فساحة القدرة أمامه ممدودة، إن لم تسعف اليد فليصل اللسان، وكم من كلمة قيلت فغيرت الأحداث وقلبت الموازين، لكن اللسان ربما-بل كثيراً – ما يحال بينه وبين الإفصاح، حينذاك يكون المجال مفتوحاً أمام الجميع إذ إن آلة الإنكار في هذا المجال لا سلطان لأحدٍ عليها إلا سلطان القادر علام الغيوب))[٢].

ويتضح أن العبارة في الحديث النبوي((عبارةٌ سهلةٌ ، ومعانٍ ظاهرة يدركها كل إنسان مهما كانت ثقافته، ومع ذلك فالاستقصاء الذي جمع وما ترك لمستزيدٍ مطمحاً))[٣].

كما ذكر أن من مميزات التعبير المحمدي وضوح التركيب، فقد أشرق البيان النبوي في نفوس المتلقين؛ لأن المعاني واضحة والتفكير ساطع. فإذا كانت الفكرة واضحة في عقل الكاتب، كانت ألفاظه واضحة سلسة تُبين ما في داخله للمتلقي، فإن((أول واجب على البليغ أن يكون واضحً ا مفهومً ا يرمي إلى إفادة قرائه ورفع مستواهم الثقافي، ولا يستطيع ذلك بالوقوف عند تزويدهم بالمعارف جافة ثقيلة، بل يحسن به أن يكسب معارفه حياة وروعة شائقة بما يبث فيها من عواطف وأخيلة ملائمة... والمصدر الأول للوضوح هو عقل

---

[١] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٥٦.

[٢] في بلاغة الدعاء النبوي، مرجع سابق، ص٣٨.

[٣] في بلاغة الدعاء النبوي، عبد الرزاق محمد فضل، مطابع رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، السنة١٦، العدد: ١٨١، ١٤١٨هـ، ص٣٧-٣٨.

الأديب، فيجب على الكاتب أن يكون فاهماً ما يريد أداءه فهماً دقيقاً جليًّا))[١]،أما إن كانت المعاني في الفكر غامضة،كانت الألفاظ مبهمةً غير مفهومه.

موسيقى النثر الأدبي:

تحدث البيومي عن موسيقى النثر الأدبي، وقصد بها أنه عند نسج العبارة لابد أن تتناسب الأصوات في النظم الحديثي. فعندما يرتب((الكلام ترتيباً نفسيًّا يوافق اهتزاز المشاعر، وتموجات النفس بأن يعبر الأديب عن خواطر تطرد وتتدفق منسجمة في نسق خاص، فكأن سلكاً خافياً ينظمها نظم الدر، وهذا ما يعرف بالموسيقى الخفية))[٢]، وقد تكون مصحوبة بالمحسنات البديعية، وقد تكون بغيرها من اطراد النسق الفني في تصوير المعاني، وذكر أن الأسلوب النبوي مليئ بالموسيقى الخفية معللاً ذلك؛ بأنه يصور الحركة النفسية القوية، ويوضح الانسجام في تأليف الألفاظ وارتباطها فيشد بعضها بعضاً ، ويبين أن لكل كلمة إيحاء خاصاً تجيش به المشاعر وتهتز، وذكر أن من علامات هذه الموسيقى أن القارئ لو سكت فجأة لشعر المتلقي بوجود نشاز ما. ويتضح أنه بسبب لغة الحديث لأنها((لغة موسيقية تستريح الأذن إلى ألفاظها ونظمها المرتل، فهي تصنع مادتها معتمدة على الوزن والحركة، وهي في جملتها فن منظوم، منسق الأوزان، متناسب الأصوات، ويتجسد هذا المظهر في استخدام الحديث جهاز النطق أحسن استخدام يهدي إليه الافتتان في الإيقاع الموسيقي))[٣]، وهذه الموهبة الفذة التي منحها الباري عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم في النظم الصوتي الموسيقي للحديث، والتآلف المدهش بين مخارج الحروف؛ إذ لا نرى ازدحاماً لحرف ثقيل في المتون الحديثية.وكذلك التسلسل في الإيقاع فلا نجد انتقالاً مفاجئاً

---

[١] الأسلوب، مرجع سابق، ص١٨٦.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق،ص٢٥٧.

[٣] التناسب البياني في السنة النبوية، مرجع سابق، ص٦٣.

من إيقاع إلى آخر إلا إذا تطلب المضمون ذلك[١]، ومثل البيومي لها بنماذج منها قوله صلى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَهُمَا يَهْدِيَانِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَهُمَا يَهْدِيَانِ إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا))[٢]، حث الحديث النبوي على تحري الصدق فإنه يهدي إلى البر، والبر يقصد به كل وجوه الخير والأعمال الصالحة، وحذر من الكذب والتساهل فيه فهو يهدي إلى الفجور وهو الميل عن الحق. فهنا تقابل كامل بين الشطر الأول الذي يرغب في الصدق، والشطر الثاني الذي يرهب من الكذب. كما يظهر شدة تأثير الموسيقى الخفية على النفس، فالترابط والانسجام المحكم للمعاني والألفاظ، يشعرك بوجود بناء محكم لو حذفت لبنة منه لانهار البناء بأكمله، فكأنه سلم نصعد أدراجه ونترقى من فكرة إلى أخرى وفق ما يتصور الذهن وما يناسب الإحساس:((إذا نظرت إلى هندسة هذا الحديث تجده صيغ صياغة فنية بحيث لو تقدمت جملة على جملة لاختل استواؤه الأدبي، وهو مع ذلك يترقى بك من معنى إلى معنى في سلم تنتظره وتحس كمال إتقانه، لأنه يصعد بالمعاني وفق ما يتصور الذهن وما يناسب الإحساس، ومن هنا كانت الموسيقى الخفية وليدة هذا التنسيق المحكم للمعاني في معرض دقيق من الألفاظ))[٣]. فكانت صياغة الألفاظ متناسقة مع المعاني فكان لها إيقاع خاص.((فمن مزايا العربية دلالة الجرس والإيقاع فيها على المعنى، وهو ما يسمى بالمناسبة الطبيعية فهذه الصفة الموسيقية مزية من مزايا العربية المهمة... وقد أكسبت تلك

---

[١] التناسب البياني في السنة النبوية، مرجع سابق، ص٦٣.

[٢] صحيح مسلم، ح٢٦٠٧، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، ج٤/ص٢٠١٣.

[٣] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٥٨.

الصفة سمع العربي قدرة فائقة في الحكم على النصوص، والتمييز بين الفروق الصوتية الدقيقة، فصار مرهفاً يستريح إلى ضرب من الكلام لحسن وقعه وينفر منخآ لنبو ّ جرسه))[١].

الموسيقى النثرية المصاحبة للون البديعي:

ثم تطرق البيومي للجانب الآخر من الموسيقى النثرية المصاحبة للون البديعي، فالبلاغة النبوية اتجهت لهذا اللون قليلاً ،وجاء فيها عفوياً سليماً من التكلف، وذكر أن أكثر ما جاء من الإيقاعات الصوتية في البيان النبوي "الازدواج" وأقله ما كان من "السجع" أو "المطابقة" و"الجناس"، ومثل للازدواج بعدة نماذج منها:

سَ يَ((كُونُتن اَلْقَاعِ فِيهَ يَا رمٌ ن اَلقَوَائِ لِلمقَائِ مِ فُ يِهَ يَا رمٌلمن َ واَشَالِمِي، اشِ فِيهَ يَا رٌ مِ ن َ السَّاعِ مِي َمن ْ تَشَوَّفَسَلْ تَاَشْ رِفْفَهُمُ، وَمن ْ جَ مَدِنَ ْ هَ لَلْجَ أَوَمٌ عَ فَلَيَّلِ عَ ُنبْهِ))[٢]، في هذا الحديث تحذير من المشاركة في الفتن، وهو خطاب موجه إلى من لا يؤثر في هذه الفتن، بل يخاف عليه أن يتأثر بها ويتضرر، فمثل هذا عليه أن يعتزل، أما أهل الرأي والعلم والحكم السديد، فمثل هؤلاء ينبغي أن يتدخلوا لتلافي هذه الفتن وأضرارها على المسلمين. وهنا الازدواج في الحديث النبوي أثر في تنسيق معانيه قبل أن يؤثر في صياغة الألفاظ كما قال البيومي:((الازدواج في أحاديث الرسول تنسيق للمعاني قبل أن يكون تنضيداً للألفاظ، بحيث يشعر القارئ أنه يترقى من فكرة إلى فكرة، لا أنه يدور في فلك لفظي يتعمد فيه القائل إظهار البراعة والإبداع))[٣]. وللازدواج في الحديث عدة فوائد منها:((الملاءمة التي تحصل في المزاوجة؛تجعل الكلام حسناً في السمع من أجل أن تجعل للمعنى مكاناً في نفس السامع لحسن صورة الكلام الذي امتثل لها. وعندما تتزاوج أو تتساوق ألفاظ الكلام في رنتها

---

[١] المزاوجة اللفظية في العربية، تراث حاكم الزيادي – واثق غالب هاشم، مجلة مركز دراسات الكوفة، العراق، ٢٠٠٨م، العدد ١٠، ص٣٠.

[٢] صحيح البخاري، ح٧٠٨١، كتاب الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، ج٩/ ص٥١.

[٣] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص ٢٦٢.

الصوتية ونغمتها فإنها تحُدث رنيناً له صدى في نفس السامع، وهذا النغم الموسيقى الذي تؤديه المزاوجة يثير انتباهاً عجيباً؛ لما فيه من توقع لمقاطع خاصة تنسجم مع ما يسمع من مقاطع يساعد على تذكره وترديده دون إرهاق للذاكرة))[١].

ثم انتقل البيومي للأنواع الأخرى من المحسنات البديعية، وتكلم عن السجع والجدال القائم بين النقاد من المحبذين والمعارضين له، وذكر في هذه القضية أقوال لقدامة بن جعفر، وابن الأثير، وأبو هلال العسكري[٢].أما رأي البيومي في السجع في الحديث الشريف فيتضح عندما قال أنه:((كثير في البيان النبوي وهو قريب المأخذ صادق الطبع))[٣]، كما استشهد البيومي على المطابقة والجناس بما ذكره أبو هلال العسكري دون تعقيب. فالموسيقى النثرية المصحوبة بالمحسنات البديعية في البيان النبوي ((تريك سماحة البديع ودماثته،وتنزى به عن كل مستكره بغيض سجعاً أو ازدواجاً أو مطابقة وتجنيساً ، وأكثرها جاء في حديثه العادي لم يترصده))[٤]. فكانت غير متكلفة أتت عن طبع وصدرت عن أصالة.

الغريب في البيان النبوي:

وانتقل بعدها للحديث عن قضية أُخرى، فتكلم عن الغريب في البيان النبوي، فهو مناقض لأهم سمات التعبير النبوي " الوضوح في تركيب الألفاظ "، وذكر البيومي أن الغريب في البيان النبوي جاء على ثلاثة ضُرب، الضرب الأول:إن هذه الألفاظ((كانت مفهومة مألوفة في العصر النبوي، ثم غمضت من بعد فلا مجال للحكم عليها بالغرابة من غير المعاصرين))[٥]، فهنا قصد أنَّ الغرابة نسبية فما هو غريب في زمان قد لا يكون غريباً في زمان

---

[١] المزاوجة اللفظية في العربية، مرجع سابق، ص٣٠.

[٢] للاستزادة أنظر البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٦٢-٢٦٤.

[٣] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٦٥.

[٤] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص ٢٦٥.

[٥] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٦٧.

قبله، والعكس صحيح))[١]. أما الضرب الثاني:فإن هذه الألفاظ((كانت غريبة، وجاء بها القائل لتسد مسدًّا لا تفي به الكلمة المأنوسة، وهنا تكون الغرابة على ندرتها القليلة مما يحمد، لأنها فتح جديد للفظ جديد يأخذ طريقه كي يسير، وكل ذلك نادر، نادر إذا قيس بما نتداوله من أدب محمد وجله مشرق أنيس))[٢]، وقصد البيومي بأن البليغ يأتي باللفظ الغريب لأن اللفظ المعتاد لا يفي بغرضه مثل:((جدة الاشتقاق: ونعني به تلك الألفاظ ذات الجذور اللغوية المعروفة، لكن جاء استخدام النبي صلى الله عليه وسلم لها في صيغ صرفية على غير ما هو شائع ومألوف، مما جعل شرَّاح الغريب يذكرون أنَّ هذه الصيغ غير قياسية أو لم تسمع من قبل[٣]))[٣]. أو مثل ((إكساب اللفظ معنى جديداً : فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يلبس بعض الألفاظ معاني غير ما هو شائع ومعروف مما يوجب حيرة الصحابة في كثير من الأحيان فيسألونه عن معانيها، لذلك جاءت معظم هذه الألفاظ مفسرة في الحديث))[٤]. وأما الضرب الأخير: فغرابة اللفظ الذي ((سيقه إليرسول سوقًا واضطر إليه اضطرارً ا، وهو ما تحدث به محمد صلى الله عليه وسلم أو كتب به رسائله وعهوده إلى القبائل النائية في بطن الجزيرة، ممن لا ينطقون بلغة قريشإذ إن لهم معجمهم الخاص مؤلفًا من كلمات لا يتداولها المكيون أو المدنيون ومن حولهم من الأعراب وهنا تظهر القدرة الكامنة في بيان الرسول))[٥]، وكان يخاطب بها أهلها خاصة، فلا تغلب عليه أو تنقص من فصاحته، أو تضعف أسلوبه، ومثل بما كتبه صلى الله عليه وسلم إلى وائل بن حجر الكندي وقد سبق بيانه في الفصل الأول.[٦] ووضح خطأ ابن الأثير في تعقيبه على ما كتبه صلى الله عليه وسلم إلى وفد بني نهد

---

[١] التطور الدلالي في ألفاظ غريب الحديث دراسة وتحليل، رسالة دكتوراه الفلسفة في اللغة العربية، شاذلية سيد محمد، كلية الآداب –جامعة الخرطوم، ٢٠١٠م، ص٧٣.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٦٧.

[٣] التطور الدلالي في ألفاظ غريب الحديث دراسة وتحليل، مرجع سابق، ص٧٤.

[٤] التطور الدلالي في ألفاظ غريب الحديث دراسة وتحليل، مرجع سابق، ص٧٥.

[٥] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٦٧.

[٦] للاستزادة انظر المبحث الخامس، ص٩٩-١٠٠.

معللاً هذا الغريب؛ أنه متداول ومعروف في زمنه بقوله:((وفصاحة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتضي استعمال هذه الألفاظ ولا تكاد توجد في كلامه إلا جواباً لمن يخاطبه بمثلها كهذا الحديث وما جرى مجراه، على أنه كان في زمنه متداولاً بين العرب، ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يستعمله إلا يسيراً لأنه أعلم بالفصيح والأفصح))[١]، فرد البيومي عليه بقوله:((إذ لو كان الأمر كذلك ما قال علي بن أبي طالب حين سمعه يخاطب وفد بني نهد: نحن بنو أب واحد، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره، وعلي كرم الله وجهه هو البليغ الثاني في العربية بعد محمد صلوات الله وسلامه عليه فكيف يكون الغريب متداولاً ، ولا يفهمه علي، ثم إذا تقاصر عن إدراكه أمير المؤمنين فما ظنك بسواه؟ الحق أن ابن الأثير قد أخطأ في زعمه هذا))[٢]. وأيد البيومي قول الرافعي في قضية الغريب[٣] وقد تمت الإشارة إليه سالفاً .

وخلاصة وصف البيومي لناحية التعبير النبوي قوله:((إن الطابع العام للتعبير النبوي هو الوضوح وقرب المتناول وروعة الإيحاء مع التناسق الموسيقي المطبوع، أما ما نحا منحى الغرابة فقد وافق مقتضى الحال في إغرابه، فدل بهذه الموافقة على مواءمته الدقيقة لأشهر التعريفات العلمية لدى البلاغيين))[٤] . وأرى أن البيومي حالف الصواب في استنباطه لصفات التعبير النبوي، وبرع في التحليل بأسلوبه الجذاب.

---

[١] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، مرجع سابق، ج١/ص١٦٧.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٦٩.

[٣] انظر المبحث الخامس، ص٩٩.

[٤] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٧٠.

هنا وصف البيومي سمات البيان النبوي، وقد قسمها على حسب عناصر الأسلوب الأدبي المعاصر إلى ثلاثة: الأفكار والصور والعبارات وبدأ بالأفكار مبيناً ما كما وصفها بالقوة والجدة والتحديد والتسلسل، مع ميلها للإيجاز المحكم في غير موضع الخطابة. ووضح عمقها في نقل المعاني، وسبر أغوار النّفس الإنسانيّة، فالبيان النبوي لم يترك معنى من معاني الحياة، والعقيدة، والتّشريع والخُلُق إلا قرّرها، وفصّل فيها. ثم انتقل البيومي للصور البيانية وبين غنى الحديث النّبويّ الشّريف بألوان التّصوير اللّطيف المحرّك للنّفس، والمصوّر للمعنى، وبديع القول النبوي، فيضع أمثلة عديدةً ليبرهن بها أقواله، لكنه لا يحلل إلا القليل، فيبدو أنه ينهج عدم الاتساع والاكتفاء بالتمثيل. كما تحدث عن أمور بيانية تندرج تحت مسمى الصورة، فذكر التشبيه في البلاغة المعاصرة، وبين منزلة الصورة الكلية والجزئية في الأسلوب البياني. كما وضح المراد من الموسيقى النثرية الخفية مستنداً على الدراسات المعاصرة. ثم انتقل ليبين مزايا التعبير النبوي بأنه سهل قريب المتناول، وواضح في تركيب الألفاظ. كما وصف جمال التناسق الموسيقي المطبوع في البيان المحمدي، أما ما نحا منحى الغرابة فإنه قد وافق مقتضى الحال في إغرابه.

المبحث الرابع: تأثير حديث المعراج في بعض الآثار الأوربية و الفارسية والعربية.

تحدث البيومي عن اثر الحديث النبوي في الأدب العالمي،فقد استحدث للأدب صوراً جديدة عن عالم غيبي لم يصورها البشر قبله ((على أننا حين نقرر أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان أول إنسان أضاف للأدب العربي صوراً مؤثرة نافذة عن عالم غيبي، لم يكن الجاهليون على دراية شيء منه، إنما أنه نقرر بما أضاف للأدب من هذه الصور الجديدة قد أعطى الدليل على نبوته الصادقة))[1]. فخص البيومي أحد هذه الآثار الأدبية ليبين مدى قوة التأثير المحمدي،((وقد كان حديث المعراج الذي حكاه نبي الإسلام أحد هذه الآثار الأدبية الخالدة التي امتد تأثيرها إلى آداب أمم مختلفة،التي أحدثت دويّا عاصفاً بين علماء النقد المقارن حين لمسوا خيوطها البارزة في أكثر من نسيج فني))[2]. وذكر البيومي رواية زيد بن علي ووصفها بأنها تفصل الأمر بوضوح مستوعب،[3] وهذه رواية أخرى في صحيح البخاري عن سمرة بن جندب النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أتاني الليلة آتيان فأقبلا عليّ وأنا بوجهه فقالا لي: انطلق، فانطلقت معهما، فأتينا على رجل مضطجع فإذا آخر قائم عليه بصخرة، فإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتدهده الحجر، فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إليه حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو، فعاد إليه فضربه، قلت: من هذا؟ قالا لي: انطلق، فانطلقنا على رجل كريه كأكره ما أنت راء رجلا، وإذا عنده نار يحشها ويسعى حولها، قلت: ما هذا؟ قالا لي: انطلق، فانطلقنا إلى روضة معتمة فيها من كل نور الربيع، وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولا في السماء، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط، قلت: ما هذا وما هؤلاء؟ قالا لي: انطلق، فانطلقنا فانتهينا إلى دوحة عظيمة لم أر دوحة قط أعظم منها ولا أحسن، قالا لي: ارق فيها، فارتقينا فيها إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة، فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها فتلقانا فيها رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء، وشطر كأقبح ما أنت راء، قالا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر، وإذا نهر معترض يجري كأن ماءه المحض في البياض، فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة، قالا لي: هذه جنة عدن وهذا منزلك، فسما بصري صعدا فإذا قصر مثل الربابة البيضاء، قالا لي: هذا منزلك، قلت لهما: بارك الله فيكما ذراني فأدخله، قالا لي: أما الآن فلا، وأنت داخله، قلت لهما: فإني رأيت منذ الليلة عجبا فما الذي رأيت؟ قالا لي: أما إنا سنخبرك، أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة، وأما الرجل الذي أتيت عليه يحش النار ويسعى حولها فإنه الرجل الذي غدا من بيته فكذب الكذبة تبلغ الآفاق، وأما الرجال والنساء العراة الذين هم في مثل بناء التنور فإنهم الزناة والزواني، وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجارة فإنه آكل الربا، وأما الرجل الكريه المرآة الذي عند النار يحشها ويسعى حولها فإنه خازن جهنم، وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم عليه السلام، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة، فقال بعض المسلمين: يا رسول الله وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأولاد المشركين، وأما القوم الذين شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فإنهم قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم»[4].

---

[1] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١٥٢.

[2] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص ١٧١.

[3] البلاغة النبوية ، مرجع سابق، ص١٧٣-١٧٤-١٧٥.

لْتَئِمَ لِي فَأَلْأُخِيهُنُرُوحَعَلَدُ إِلَى أَسْهُمَذُكَمَا هُوَ ، فَعَادَ إِلَيْهِ ، فَضَرَبَهُ ، قُلْتُ :
مَنْ هَلَ إِنْطَلَانَقْبِفَانْطَلَقْنَ التَّنُّورِ ، أَعْلاَهُ ضَيِّقٌ وَاسِعٌ فَيَلُقُو قَدُ تَحْتَهُ
رَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا جَمَعَدُولَتْفِيهَا، وَجَفَالِيهُ لَوَنِسَاءٌ
انْطَلَقْعٌ وَفَاهُطَفَقُقُلْتُحَتَّهَّ أَتَايْقَالاَعَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى
وَقَالِيَطَزِيلِلنُّهَوَرِوَ- هْبُ بْعُنْجَرِيرِيرِوبَعْلَجَ شَزِطٍّ النَّهَرِ رَجُلٌ بَيْنَ
يِفِي يْالنَّهَرِجِفَالِذَاْأَرفَأَقْبَأَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ ، فَرَدَّهُ
لِيَخْرُجَ يَرْثُهُكَفِي فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ ، فَقُلْتُمَا هَذَا؟
ذَا إِلَى رَوْقَطَلَقَخَفَانْطَلَقْ ، فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ
مِنَ الشَّجَصَرِبَقْيَبَانَيْنِ وَيَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا، فَصَعِدَا بِي فِي الشَّجَرَةِ ،
سَأَدْخَلاَنِيْهِ دَارِيهًا الْمَرْجَأَرَالٌ قَطُّيُوخٌ وَشَبَابٌ ، وَنِسَاءٌ ، وَصِبْيَانٌ ، ثُمَّ
رَةَ ، أَفَأَدْرَخَجَلاَنِي هَانْهَا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ فِيهَا شُيُوخٌ ، وَشَبَابٌ ،
قُطْتَّلْتُنْمَلَقَانِي فَأَخْبَرَعَمَلَّيْرِ، أَمَّيَالْتَّذِيقَالاَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ ، فَكَذَّابٌ
عَنْهُ حَيَتَّدِّثُبْلُغَ الآفَاقَ ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ الَّذِي رَأَيْتَهُ
أَنَخَ ، وَنَأَمَّهُمَنْفَرُبِالْلَّيْلِعَلَمَّهُ اللَّهُ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ فَهُوَ الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُوا الرِّبَا، وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ
مُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، وَالصِّبْيَانُ ، حَوْلَهُ ،وَأَمَّالَّذِيَالْنَّارِيُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ
لْتَ دَارُ النَّارِ،امَّوَةَ اللَّمُؤْمِنِينَ ، وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ ، وَأَنَا
يكَائِيلُ ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِوْيِقِفِإِمذَلْفَقُ السَّحَابِ ، قَالاَذَاكَ
مَنْزِلُكَايِ قُلْتُبْخَقِلِي مَلَكْوَلِيعُمْ قَالاَ :لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ فَلَوِ اسْتَكْمَلْتَ

---

[1] كلوب :هو الحديدة التي ينشل بها لحم القدر، وكذلك الكلاب.، شدقه: جانب الفم. بفهر: وهو الحجر ملء الكف. فيشدخ: وهو: كسر الشيء الأجوف. تدهده الحجر: أي تدحرج الحجر. للاستزادة انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج٨/ص٢١٦-٢١٧.

أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ »[١]وحديث المعراج يعتبر فتحاً مبتكراً في عالم البيان التصويري على الآداب المختلفة، يتضح من ((الأساس الأول لهذه الصورة الجميلة، عن السماء والأرض والجنة والنار؛ إذ إن محمداً صلى الله عليه وسلم حكى ما شاهده من العجائب حكاية رائعة فتحت أمام الأدباء مجال التصوير الفسيح. ومن هنا.. كان تأثيره المباشر في كل رحلة خيالية إلى السماء، وإلى الجنة والنار))[٢]. وذكر البيومي تأثيره في الأدب العربي والإيطالي والفارسي

أولاً : التأثير الفني لحديث المعراج في الأدب العربي:

- **تأثير الوضاعين لحديث المعراج في الأدب العربي:**

فقد تأثر الكثير به فأول مظهر لتأثيره ((أن نسمي ما ساق الوضاعون من حديث المعراج أدباً مصنوعاً استلهم من البيان النبوي، ثم نقل تأثيره إلى أدباء العالم، وهم بإنتاجهم المتشابه يعلنون بلسان النقد أن صاحب الإبداع الأول هو نبي الإسلام لا محالة! وغيره قد احتذاه))[٣]،وهذه الروايات الموضوعة لحديث المعراج تعد مكسباً أدبياً فذكر أن ((ما نجده من امتداد حديث المعراج في روايات متعددةظهرت عليها علامات الوضع والتزيّدويُرى فيها الاضطراب، وأطلق واضعوها العنان لخيالهم إلى حد كبير، وقد ثار حولها كلام كثير من قبل المحدثين والمفسرين والمؤرخين، ولا شك أن هذه الروايات من وجهة النظر الأدبية، تعتبر كسباً أدبياً لفن القصة في الأدب العربي))[٤]. فكان للأحاديث الموضوعة رغم اضطرابها تأثيراً في الأدب العربي.

---

[١] صحيح البخاري، ح:١٣٨٦، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ج٢/ص١٠٠-١٠٢.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١٧٢.

[٣] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١٧٢.

[٤] الأدب العربي وتأثره بالحديث النبوي، مرسل فرمان، بحث دكتوراه منشور، جامعة بشاور، قسم اللغة العربية،٢٠٠٤-٢٠٠٥ ،ص٢١١.

- **تأثير حديث المعراج في أبي العلاء المعري:**

دفع المعراج النبوي بمشاعر الأدباء المسلمين على اختلاف لغاتهم، فتأثروا به و تناولوه من خلال أعمالهم الأدبية، حيث وظّفه كلّ منهم بما يخدم الهدف الذي ألف عمله من أجله. ويظهر تأثر أبي العلاء بحديث المعراج جلياً عندما ألف "رسالة الغفران، فقد كتب رحلة خيالية مشابهً له، وهو يعد من رواد التراث العربي الإسلامي في القرن الرابع و الخامس، وقد «استلهم فيها من قصة المعراج والقرآن الكريم فأنشأ بوحيٍ منهما رحلة خيالية، رحلة إلى الجنّة والنار، وهو يحشد نصها بالآيات والأشعار والأخبار والمناقشات اللغوية والنحوية»[١]، وكان أول المتأثرين بحديث المعراج في الأدب العربي حيث قال البيومي:« فقد كان أبو العلاء أبا عذرة الرحلة الخيالية به إلى الجنة والنار في رسالة الغفران»[٢] ، وقد لخص أحداثها البيومي تلخيصاً رائعاً [٣]، و رسالة الغفران عمل أدبي رائع حيث «يقوم فيها الكاتب برحلة خيالية إلي العالم الآخر، و قد جعل ابن القارح نفسه بطل هذه الرحلة ليريه الجنة و النار و يمكنه من لقاء عدد كبير من مشاهير الشعراء و الأدباء و اللغويين و ... ليحاورهم في قضايا اللغة و الأدب و الشعر، و يعبر من خلال ذلك عن آرائه و أفكاره. ويعتبر المعري أول من أتى بهذا الأسلوب من التأليف الخيالي في الأدب العربي وصور الجنة والنار والشؤون الغيبية الأخرى كما يملي إليه خياله»[٤]، ويبدو أن الكل يؤكد على تأثير حديث المعراج على المعري،ويعد حديث المعراج المصدر الأول للمعري باتفاق العلماء، وقد أثبت بعضهم ذلك بالأدلة حين قال «فلا شك أن قصة المعراج هي التي أوحت إليه بفكرة الرسالة، وما سجله فيها من رحلة في عالم الغيب، ومقابلته لكثير من الشخصيات التي طواها الفناء، ومشاهدة بعض أحداث

---

[١] صورة المكان في رسالة الغفران، زينة عرفت بور، آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، السنة الخامسة عشرة، العدد الثاني، ١٤٣٤ هـ ، ص٥١.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١٧٦.

[٣] للاستزادة أنظر للبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١٧٦-١٧٨.

[٤] صورة المكان في رسالة الغفران، مرجع سابق، ص٥١-٥٢.

ذلك العالم الغيبي غير المنظور، وهذه عناصر تشترك فيها رحلة المعري مع حديث المعراج، فالمعراج رحلة إلى عالم غيبي، وكان الرسول في أثناء الرحلة وفي كل سماء يلتقي ببعض الأنبياء ويتحدثون معه))[١].وتأثير الحديث على المعري واضح للعيان لا يحتاج إلى دليل وبرهان.

- **تأثير حديث المعراج على متصوفة الأدب العربي:**

ثمة تأثير للمعراج في الأدب الصوفي حيث الرحلات الخيالية التي تخيلها بعض المتصوفة والتي سلكوا فيها سبيل المعراج فقد ذكر البيومي أن ((متصوفة الأدب العربي، فقد جذبتهم قصة المعراج بصورها العلوية، وأنوارها السماوية دون شك، وأوضح من تأثر بها إمامان كبيران هما:" محي الدين ابن عربي الأندلسي"و"أبو يزيد البسطامي"))[٢]، وقد جذب حديث المعراج ابن عربي الأندلسي[٣]، فيظهر تأثره به في "الفتوحات المكية"، فقد ((ذكر عن العرش والسدرة وأنوار ذي الجلالة ما يجد أصله في لصحيح من حديث المعراج والموضوع معاً))[٤]،كما جذب أبا يزيد البسطامي[٥] فقد كانت له رحلة روحية تخيل أنه قام بها إلى السماء، وهو يبدؤها بأنه رأى في المنام كأنه عرج به إلى السماوات. كما ذكر البيومي بقوله:((أما أبو زيد البسطامي

---

[١] الأدب العربي وتأثره بالحديث النبوي، مرسل فرمان، بحث دكتوراه منشور، جامعة بشاور، قسم اللغة العربية،٢٠٠٤-٢٠٠٥ ،ص٢١١.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١٨٤.

[٣] محمد بن علي بن محمد بن عربي، ويعرف بمحيي الدين بن عربي،ولد بمرسية في الأندلس، أحد أشهر المتصوفين المنحرفين لقبه أتباعه بالشيخ الأكبر، تنسب إليه الطريقة الأكبرية الصوفية، توفي بدمشق، للاستزادة انظر الأعلام للزركلي، مرجع سابق، ج٦/ص٢٣٠.

[٤] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١٨٤.

[٥] أبو يزيد البسطامي" طيفور بن عيسى" (ت ٢٦١هـ): زاهد صوفي شهير ، مما جاء عنه أنه أول من قال بمذهب الفناء ووحدة الوجود. توفي ببسطام .يعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية. للاستزادة انظر الأعلام للزركلي، مرجع سابق، ج٣/ص٢٣٥.

فقد نشر الدكتور"علي حسن عبد القادر" نص معراجه ملحقاً بكتاب القشيري ص١٢٩، وهي رحلة روحية بديعة تجسم المعنويات في صور حية تنطق بالبراعة والإبداع))[١].

ثانياً : التأثير الفني لحديث المعراج في الأدب الإيطالي:

ظهر تأثير حديث المعراج بأعظم أعمال الشاعر الإيطالي "دانتي أليغييري" في "الكوميديا الإلهية". المكونة من ثلاثة أقسام: الجحيم، المطهر، والفردوس، ويعد البيان الأدبي الأعظم الذي أنتجه أوروبا أثناء العصور الوسطى، وقاعدة اللغة الإيطالية الحديثة. فهي واحدة من الأعمال الرئيسية لعملية الانتقال من العصور الوسطى إلى عصر النهضة الفكر. وتعد تحفة من الأدب الإيطالي وواحدة من قمم الأدب العالمية. وعرف دانتي في الأدب الإيطالي بالشاعر الأعلى. ويسمى أيضا دانتي "أبو اللغة" الإيطالية [٢]، كما قال البيومي:((لقد عاش "دانتي" فيما بين القرنين: الثالث عشر والرابع عشرورحل عن الحياة متمتعً ا بصيت أدبي رنان؛ إذا اعتبرت ملحمته الإلهية أنضج ثمار الأدب الإيطالي في جميع عصوره وظلت موضع المباهاة لدى قومه،فكانوا يقابلون بالاستنكار والتهكم أحيانًا من يسعى لإيجاد مقارنة بينها وبين النصوص العربية أو اليونانية))[٣]. فليس من المعقول أن يكون دانتي بمعزل عن الثقافة العربية الإسلامية، وهو الملم بنواحي الثقافة والمعرفة في ذلك الوقت. وقد درس هذه المقارنة بمزيد من العمق المستشرق الإسباني "آسين بلاثيوس" في كتابه ((المعتقدات الإسلامية حول العالم الآخر في الكوميديا الإلهية))، وهو خلاصة دراسة استغرقت عشرين عاما قارن فيها المؤلف بين قصيدة دانتي وبين الكتب الدينية العربية؛ كالقرآن الكريم وكتب الحديث والسيرة ومؤلفات المتصوفين، وانتهى المؤلف من الموازنة وكانت نتيجة أبحاثه تؤكد بأن دانتي كان مطلعاً على أكثر جوانب الثقافة الإسلامية، وأنه اقتبس منها بعض الصور والمعلومات التي

---

[١] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١٨٤.

[٢] انظر ويكيبيديا الموسوعة الحرة، دانتي أليغييري،https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8.

[٣] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١٨٠-١٨١.

وردت في الكوميديا الإلهية مما يتعلق بالبعث والحشر وخلود النفس ومشاهد الجنة والنار. كما ذكر البيومي ذلك قائلاً :((حتى جاء المستشرق الأسباني العظيم الأستاذ "آسين بلاثيوس"، سليل أبناء الأندلس الذين أشرقت بحضارتهم الإسلامية أوربا في عصور الظلمات...وجاءت خاتمة أبحاثه تعين تأثير القصيدة الإسلامية في كوميديا دانتي.إذ ساعدته دراساته العربية العريقة أن يتبع أكثر خواطر الشاعر معقباً عليها بنظائرها في القرآن والحديث وقصة المعراج))[١].لكن دراسته لم تجد جواباً ولا وثيقة تثبت معرفة الشاعر الإيطالي الكبير بقصة الإسراء والمعراج، ((ولو كان الجدل المقارن وحده مجال الترجيح لا نحسم النزاع؛ لأن تحليلات "آسين بلاثيوس" كانت من القوة بحيث لا يتطرق إليها اللبس، ولكن المتمسكين بالعثور على وثيقة تثبت إلمام دانتي بالثقافة الإسلامية يرفضون كل جدل منطقي مقنع ويودون ما يلمس باليد لا ما يدرك بالعقل، ولم يستطع البحاثة الكبير"بلاثيوس" أن يجد هذه الوثيقة))[٢]، وذكر البيومي أنه لم يندثر الحق فجاء بعده المستشرق الإيطالي "مونيري دي فيبار" حيث نشر دراسة مهمة بعنوان:"الإسلام في أوربا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر"، وقد لفت بدراسته أنظار العلماء بوجود مخطوطين: أولهما مكتوب باللغة الفرنسية وموجود بمكتبة أكسفورد، والآخر مكتوب باللغة اللاتينية وموجود في المكتبة الأهلية بباريس، وكلاهما يشتمل على ترجمتين غريبتين لقصة المعراج كما رواها أهل الحديث. ومن بعده جاء المستشرق الإيطالي "تشيرولي" ودرس المخطوطين وسرعان ما أثبت بطريقة لا تحتمل الشك صدق أبحاث "مونتيري"وقد نشر أخيراً هذين المخطوطين وأضاف إليهما كل ما استطاع إضافته من المقدمات والحواشي والتفسيرات لتوضيح المسألة التي كانت موضع الخلاف.((وبهذا أصبح مؤكداً لدى العلماء أن "دانتي" وقد انتشرت هذه النصوص قبل ميلاده قد اقتبس فكرة

---

[١] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١٨١.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١٨١-١٨٢.

كوميدا‌ياه من المعراج وتأثر به في نظمه وتفكيره وخياله أوضح تأثير))[١]. ويتضح أنه من المستحيل أن تنشأ أفكار الملحمة الدانتية في عقل مؤلفها بمحض الصدفة، بل يلزم وجود حلقة وصل، وهذه الحلقة واضحة جلية في التراث العربي ولا يمكن إنكارها.

ثالثاً : التأثير الفني لحديث المعراج في الأدب الفارسي:

ويظهر تأثير حديث المعراج أيضاً في الأدب الفارسي كما ((يعد موضوع الإسراء والمعراج من أدخل الموضوعات إلى المديح النبوي، أو كما يسمى في الشعر الفارسي"النعت النبوي" الذي يُعد بدوره من أبرز أغراض الشعر الصوفي الفارسي، وخير دليل على هذا الأمر ورود هذا الموضوع في الباب الثالث من حديقة الحقيقة للشاعر سنائي الغزنوي))[٢]، ويظهر ((أثر المعراج في الأدب الفارسي، فما أوضحه وأقواه فيما نعرفه من أشعار المتصوفة بفارس، وهم مسلمون قد درسوا عقائد شريعتهم وألموا بحياة نبيهم، ثم جذبتهم قصة المعراج إلى رحلات خيالية بديعة قاموا بها على جناح الشوق إلى آفاقهم الروحية))[٣]. ومثل البيومي بعمل من الأعمال الأدبية، في التراث الفارسي، التي تتصل بعروج النفس إلى عالم السماء، وهو ما تضمنه النص الفارسي الإسلامي، الذي يحمل عنوان "سير العباد إلى المعاد" للشاعر سنائي الغزنوي. فيظهر تأثره جلياً بالحديث النبوي. و((معراج "سنائي" فقد نشره في كتابه "سير العباد إلى المعاد" ليشرح رجوع النفس من عالمها المظلم الذي سقطت فيه إلى أصلها الإلهي ومقرها الأخيرفي رحلة تصور مقامات المتصوفة وأحوالهم تصويراً، يدركه المتخصصون ممن تشربوا مصطلحات القوم وعرفوا خفايا رموزهم ودقائق ألطافهم))[٤]. ويأتي معراج "سنائي" من وجهة نظر صوفية فلسفية، ويصف‌رحلة النفس من مصدرها الأول، وتدرجها في مقام الرقي

---

[١] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١٨٢.

[٢] الإسراء والمعراج في تراث الشعر الفارسي، ترجمة: علاء الدين عبد العزيز السباعي، المجلس الأعلى للثقافة والترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص١١.

[٣] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١٨٣.

[٤] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١٨٤.

والتجرد من العلائق، حتى تصل إلى أعلى الدرجات،و يسيطر على هذه المنظومة الطابع الرمزي، ويصور الشاعر فيها الفكرة الصوفية الفلسفية التي تقول بأنّ الكائنات في حركة دائبة نحو اتجاهين: فهي تجيء من الله، من فيضه على العقل الكلي، ومن العقل الكلي على النفس الكلية، ومن النفس الكلية على الهيولي، ثم تعود من جديد إليه، متحررة من الكثرة، صاعدة نحو الوحدة، لتلحق بموطنها الأصلي ومصدرها الأول. وهذا الرجوع يتم عن طريق المعرفة، وهو الهدف الحقيقي من الحكمة والفلسفة، إذا عرفنا أن لكل موجود كمالا، وكمال النفوس في اتصالها بالعقل.[١]

قال تعالى:﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٢]، فقد ثبت أن حديث المعراج النبوي أحدث حركة أدبية عظيمة،وأثر ى الخيال الخصب للشعراء والأدباء في الأدب العالمي، فذكر البيومي هذا التأثير موضحاً مدى بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان تأثيرها في الأدب العربي بمظهرين، الأول: تأثير الوضاعين على الأدب، ومظهر آخر بتأثر الأدباء بهذه الرحلة إلى السماء، ومشاهد الجنة والنار، فكان أول المتأثرين من العرب أبي العلاء به، كما ذكر تأثر متصوفة الأدب العربي به، ثم انتقل ليبين تأثيره في الأدب الإيطالي، وفي الأدب الفارسي.

---

[١] الإسراء والمعراج في تراث الشعر الفارسي ، مرجع سابق، ص٥٦.

[٢] سورة الإسراء، الآية:١.

الفصل الثالث:

موازنة بين الرافعي والبيومي

المبحث الأول: أوجه الائتلاف

تصعب الموازنة بين أديبين كبيرين رفع أحدُهما للآخر القبعة احتراماً و إعجاباً وألف فيه كتاباً ووصفه علماً في دولة البيان، كما أبان:((أن الرافعي كان في دولة البيان علماً وحده لا يمكن أن تجد لأسلوبه نظيراً فيما عُرف من أساليب البلغاء والمحدثينوقد تحاشى أكثرُ الدارسين تحليل أسلوبه لشيء واحد، هو عجزهم عن الإفصاح عن مكنون جوهره))[١]. و وصفه بأنه ليس له شبيه كما قال:((تستطيع أن تجد لكل أديب شبيهاً يماثله في السابقين أو المعاصرين، ولكنك لا تستطيع أن تجد لمصطفى صادق الرافعي في نثره هذا الشبيه؛ إذ كان الرجل نسيج وحده دون خلاف))[٢]. و وصفه بأنه أديب العربقائلاً :((ما الذي جعله أديب العرب، وحجة الإسلام يوم الذياد عن الحقائق المؤمنة، فهو توفيق الله.))[٣]. كما حاول أن ينصفه من أقوال ظالميه حين قال:((إن الرافعي قد ظُلم بالنسبة إلى سواه لدى مؤرخي الفكر المعاصرإذ تعرّض إلى حملات ظالمة شنّها عليه الكثيرون، فقد تواطأ خصوم الفكرة الإسلامية. وأشياع المجون الإباحي على النيل منه، والحملة على أدبه، إذ كان حرباً عليهم جميعاً))[٤]. وقد أشفق من الكتابة عن هذا الأديب الكبيرقائلاً :((ولكني أشفق من الكتابة عن الرافعي لسبب واضح، هو أن الرافعي في بعض أساليبه البيانية يرقى إلى مستوى أعجز عن الوصول إليهوقد أجدُ في بعض أفكاره غموضاًيجعلني أرهب من توضيحه لخفائه علي ّ))[٥]. وتحدثه عن أسلوبه قائلاً : ((أما دراسة أسلوب الرافعي،فما أشقَّ وأهول، لأن المعنى والصورة والتركيب تشترك اشتراكاً متداخلاً في أسلوبه بحيث لا تعرف الفصل التحليلي بين عنصر وعنصرو يخيل إلي ّ أن الرافعي يفكر بالصورة قبل أنيحُدد المعنى))[٦]. ومن شدة إعجابه به تمنى أن يؤلف كتاباً خاصاً بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم فقالكنتُ أتمنى ّ أن يُفرد

---

[١] مصطفى صادق الرافعي فارس القلم تحت راية القرآن، مرجع سابق، ص٤٦-٤٧.

[٢] مصطفى صادق الرافعي فارس القلم تحت راية القرآن، مرجع سابق، ص ١١.

[٣] مصطفى صادق الرافعي فارس القلم تحت راية القرآن، مرجع سابق، ص ١٧.

[٤] مصطفى صادق الرافعي فارس القلم تحت راية القرآن، مرجع سابق، ص٩.

[٥] مصطفى صادق الرافعي فارس القلم تحت راية القرآن، مرجع سابق، ص٩-١٠.

[٦] مصطفى صادق الرافعي فارس القلم تحت راية القرآن، مرجع سابق، ص٤٧.

الرافعي كتاباً خاصاً بسيرة النبي الأعظم، لأنه لو فعل ذلك لأتى بمعان لا تخطر لغيره على بال))[١].وأكد على أمنيته قائلاً :((كم تمنيت أن يعيش الرافعي زمناً فوق زمنه ليكتب سيرة رسول الله جميعها، كما فعل أعيان الأدب ممّن يعدون أنفسهم في درجته، يكتب السيرة النبوية بهذه الروح العالية التي تستشف من كل خلجةٍ معاني دقيقةً من سبحات صاحب الرسالة الأعظم))[٢]،كما وصف كتاباته في البلاغة النبوية: ((وإذا كان سعد زغلول قد قال عن كتابه "إعجاز القرآن": "إنه تنزيل من التنزيل أو قبس من نور الذكر الحكيم" فما أحرى الزعيم الكبير أن يضيف إلى قوله: أو شعاع من بيان النبوة أسفر به يراع مبين))[٣]، وقال أيضاً :((هو القلم الذي استشف إيحاءات البيان النبوي، فأسلوب الحديث المحمدي يحتاج إلى من يهدي إلى روائعه من ذوي الإلهام البليغ))[٤].

وقد سبق أن تناول البحث اختلاف الرافعي والبيومي في دراستيهما للبيان النبوي. والآن سوف نتناول اتحادهما وائتلاف رؤيتهما.

الأسباب المؤثرة:

فقد اتفق الرافعي والبيومي على أن للبلاغة النبوية عوامل مؤثرة جعلتها تتفوق على البلاغة البشرية. كما اتفقت دراستهما للبلاغة النبوية على أن من أهم أسباب تفوق البلاغة النبوية: الفطرة القوية. فقال الرافعي: ((القوة على الوضع والكفاية في تشقيق اللغة وتصاريف الكلام، لا تكون في أهل الفطرة مزاولة ومعاناة، ولا بعد نظر فيها وارتياض لها، إنما هي إلهام بمقدار، تهيئ له الفطرة القوية وتعين عليه النفس المجتمعة والذهن الحاد والبصر النفَّاذ)) [٥].

---

[١] مصطفى صادق الرافعي فارس القلم تحت راية القرآن، مرجع سابق، ص٥٧.

[٢] مصطفى صادق الرافعي فارس القلم تحت راية القرآن، مرجع سابق، ص٦٩.

[٣] مصطفى صادق الرافعي فارس القلم تحت راية القرآن، مرجع سابق، ص١١١-١١٢.

[٤] مصطفى صادق الرافعي فارس القلم تحت راية القرآن،مرجع سابق، ص١٢٢.

[٥] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٣٠-٢٣١.

وقال البيومي: ((إنما العامل الأول هو فطرته القوية التي طبعه الله عليها منذ اختاره للدعوة، والله أعلم حيث يجعل رسالته. هذه الفطرة السليمة التي دفعته إلى التفكير في آثام الجاهلية ونزواتها، ثم إلى التألم مما انحدرت إليه الإنسانية من موبقات، مع الظمأ اللاهب إلى معرفة الحقائق الصحيحة عن خلق السموات والأرض،واختلاف الليل والنهار، والموت والحياة، كل ذلك كان مبعث أسئلة عويصة تتردد قبل البعثة في نفس صاحب هذه الفطرة القوية المتطلعة))[١].

موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر:

كما اتفق الرافعي والبيومي أيضاً في موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر؛ بتحبيذ الإسلام اتجاهاً عاقلاً ،ومعارضته اتجاهاً سفيهاً. وعلى حبه صلى الله عليه وسلم للشعر واستنشاده والإثابة عليه، ومدحه متى كان في حقه ولم يعدل به إلى معصية. كما اتفقا بأنه كان للرسول صلى الله عليه وسلم شعراء ينافحون عنه وعن الإسلام، ويردون كيد الكائدين كحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه وكعب بن مالك. قال الرافعي :((وقد كان له شعراء ينافحون عنه، ويتجارون مع شعراء القبائل الأحاديث والأفانين، ولم يقمهم هو ولكن أقامتهم العادة العربية التي جعلت قولهم أشد على بعض من نضح النبل))[٢]، وقال البيومي:((أما الأحاديث التي رويت عن رسول الله في تحبيذ الشعر، فإنها إذا ضمت إلى مواقفه المتعددة من الشعراء لعهده أفصحت عن موقفه المؤيد لكل ما سلك سبيل الحق من الشعر، ودلت على مكانة هذا الفن من نفسه))[٣].

---

[١] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١٢.

[٢] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٥١.

[٣] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١٠٣.

الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم أديب:

كما و اتفق رأيهما على أن الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم أديب حقق للإنسانية حياة أخلاقها، وكان تعبير الرسول صلى الله عليه وسلم في أرفع درجات الجمال، حيث قال الرافعي:((لم تزهباً عن الإقرار بأن النبي صلى الله عليه وسلم كما هو أعظم نبي ّ وأعظم مصلح، فهو أعظم أديب،لأن فنّه الأدبي أعظم فمن يحقق للإنسانية حياة أخلاقها، وهو بكل ذلك أعظم إنسان صلى الله عليه وسلم))[١]،كما وصف البيومي ذلك قائلاً :((وإذا كنا نعرف أن الأدب هو التعبير الجميل عن الخاطر الجميل، فإن تعبير رسول الله البياني كان في أرفع درجات الجمال، وإن خواطره من الكمال والجمال والقوة والإقناع بحيث لا تسمو إليها خواطر إنسان، فمحمد بهذا الاعتبار أديب عظيم، لا مراء))[٢].

التأثير النبوي على اللغة:

و اتفقت دراستهما للبلاغة النبوية أيضاً على إثبات تأثيرها في اللغة والأدب العربي. فقال الرافعي:((تلك فطرته اللغوية، في تمكنها، وشدتها، واستحصافها، وسبيلها إلى الإلهام؛ وانطوائها على أسرار الوضع؛ فانظر ما عسى أن يحدث من مبلغ أثرها في اللغة وضعاً واشتقاقاً واستجازة وتقليباً ...ثم تدبر ما عسى أن تكون جملة ذلك قد أثرت في العرب ومناطقها وأساليبها؛ وهم كما علمت أهل الفطرة والسليقة وإنما أكبر أمرهم في اللغة))[٣]، وقال البيومي:((على أننا حين نقرر أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان أول إنسان أضاف

---

[١] وحي القلم، مرجع سابق، ج٣/ ص١٤.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص ٢٧١.

[٣] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٥٨.

للأدب العربي صوراً مؤثرة نافذة عن عالم غيبي، لم يكن الجاهليون على دراية شيء منه، إنما نقرر أنه بما أضاف للأدب من هذه الصور الجديدة قد أعطى الدليل على نبوته الصادقة))[١].

الإيجاز النبوي:

واتفق رأي البيومي والرافعي مع رأي العلماء على أن الحديث النبوي يتسم بالإيجاز، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يتكلف القول ويكره الثرثرة والتشدق، حيث قال الرافعي:((بيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب، على أنه لا يتكلف القول، ولا يقصد إلى تزينه، ولا يبغي إليه وسيلة من وسائل الصنعة، ولا يجاوز به مقدار الإبلاغ في المعنى الذي يريده))[٢]، وقال البيومي: ((لذلك كان بيان محمد صلى الله عليه وسلم سهل المأخذ قريب المتناول، موجز العبارة لو عده العاد في مجلس من مجالسه لأحصاه. ومن هنا كره الرسول الثرثرة ونهى عن التشدق لما يعرفه من مجانبة الثرثارين والمتشدقين للنهج الأصوب))[٣].

الحديث النبوي وإحكامه:

كما اتحد رأيهما على أن الحديث النبوي يمر في عقله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينطق به لسانه؛ فهو حديث متقن الأداء محكم الضبط سهل المأخذ فقال الرافعي:((فأنت ترى أن هذا هو المنطق الذي يمر بالفكر قبل أن ينطق إلى الفم، وأن العقل فيه من وراء اللسان فهو غالب عليه مُصرفٌ لهحتى لا يعتريه لبسٌ ولا يتخوّنه نقص))[٤]، وقال البيومي:((إذ إن وراءفكراً دقيقاً يزن الرأي السديد ميزانًا تامًّا، ثم يعرضه في يسر قريب المتناول))[٥]. فنجد أن البيومي اقتبس من الرافعي هذه الفكرة فقد ذكر في كتابه مصطفى

---

[١] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص ١٥٢.

[٢] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٢٨.

[٣] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٥٥.

[٤] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٣٩.

[٥] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٥٦.

صادق الرافعي فارس القلم تحت راية القرآن إعجابه بتعليل الرافعي حين قال:((إذ علل صمت الرسول وتجمعه قبل الحديث تعليلاً نفسياً رائعاً؛ فأبان كيف يمر منطقه صلى الله عليه وسلم بالفكر قبل أن ينطلق إلى الفم، وأظهر أن العقل فيه من وراء اللسان، فهو غالب عليه مصرف له))[١].

الوضوح في العبارة:

كما ائتلف الرافعي والبيومي في دراستهما للبيان النبوي على إثبات سمة الوضوح العجيب في تركيب العبارة المحمدية فقال الرافعي:((ومن أثر تلك القوة أيضاً ما تراه من شدَّة الوضوح في كلامه صلى الله عليه وسلم،...فصورتها اللغوية لا تكون إلا صريحة منكشفةً عن معناها المضيء كأنمّا ألقي فيها النور))[٢]، وقال البيومي:((فإذا أشرق بيان محمد في نفوس قارئيه وسامعيه فإنما تشرق معانيه الواضحة، وتفكيره الساطع ورأيه الجهير.إذاً فوضوح التركيب ويسر مأخذه وسهولة تناوله، أقرب الخصائص العامة إلى تعبير محمد))[٣].كما سبق الإشارة إليه.[٤]

العناية بموسيقى الحديث النبوي:

ويعد الرافعي أول من أولى عناية بقيمة الأصوات اللغوية، و بيان روعة الموسيقى في النظم الحديثي المتوازن في العبارة. فقد قال:((إن هذه اللغة خاصة تجملُ بذلك ما لا تتجمل به سائر اللغات لما فيها من معاني الأوضاع الموسيقية في خفة الوزن، وصحة الاعتدال، وتمام التساوي، وحسن الملاءمة، فلا جرم كان منطقة صلى الله عليه وسلم على

---

[١] مصطفى صادق الرافعي فارس القلم تحت راية القرآن، مرجع سابق، ص ١٠٨.

[٢] وحي القلم ، مرجع سابق، ج٣/ ص ١٧ – ١٨ .

[٣] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٥٧.

[٤] للاستزادة ينظر الفصل الثاني، المبحث الثالث، ص ١٦٠-١٦١.

أتم ما يتفق في طبيعة اللغة ويتهيأ لها إحكام الضبط وإتقان الأداء))[١]. وسار على خطاه البيومي فأولى عناية بالموسيقى النثرية ومثل وحلل لها من الحديث النبوي وبين جمالها وروعتها فقد قال:((فأنت إذا نظرت إلى هندسة هذا الحديث تجده صيغ صياغة فنية بحيث لو تقدمت جملة على جملة لا ختل استواؤه الأدبي، وهو مع ذلك يترقى بك من معنى إلى معنى في سلم تنتظره وتحس كمال إتقانه، لأنه يصعد بالمعاني وفق ما يتصور الذهن وما يناسب الإحساس، ومن هنا كانت الموسيقى الخفية وليدة هذا التنسيق المحكم للمعاني في معرض دقيق من الألفاظ))[٢].

جمال الصور البيانية في الحديث النبوي:

كما اتفقت دراسة الرافعي والبيومي للبلاغة النبوية على إعجابهما بالصور البيانية في الحديث النبوي؛ فتراكيبه البيانية تظهر كثيراً من المعاني والإيحاءات بأسهل وأقرب طريقة. فهي إبداع ملهم مطبوع لا صنعة متكلف يتفاصح. وقد علقا على هذه الصور بأجمل الكلمات فقال الرافعي:((وهذه العبارة لا يعدلها كلام في معناها، فإن فيها لوناً من التصوير البياني لو أذيبت له اللغة كلها ما وفت به))[٣]، وقال البيومي:((وإذا بلغ الأديب بتصويره مبلغ التأثير القوي فقد أدى رسالته البيانية على أكمل ما يراد. إنك لتبحث عن نظير لهذه الصورة النبوية في كلام البشر فلا تجد))[٤].

إيجاز التصوير النبوي:

كما اتفق البيومي والرافعي على أن التصوير البياني النبوي يتسم بالإيجاز البليغ. حيث قال الرافعي:((ضرب آخر من الأوضاع التركيبة في بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم غير ما

---

[١] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٣٩.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٥٨.

[٣] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق ، ص٢٦٣.

[٤] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٤١.

مرت مُثلُه من ذلك النحو الذي يكون مجتمعاً بنفسه منفرداً في الكلم القليلة، وهذا الضرب يتفق في بعض الكلام المبسوط، فتقوم اللمحة منه في دلالتها بأوسع ما تأتي به الإطالة))[١]، وقال البيومي:((ولعل بعض أسباب هذه الروعة في التصوير النبوي ترجع إلى ما تتضمنه الصورة من الإيجاز البليغ...لذلك نراه عليه الصلاة والسلام يوجز ويوجز، حتى في مجال التصوير الأدبي حيث يتوهم بعض الناس أن روعة الصورة البيانية لا تكتمل إلا بانفتاق القول واتساع الحديث وها نحن أولا نرى السطر الواحد من بيان محمد يسع حشوداً))[٢].

سبب الوضوح في الحديث النبوي:

كما اتفقت دراستهما على أن شدة الوضوح في كلامه صلى الله عليه وسلم جاءت من الصدق الموجز وعنايته بالحقائق حيث قال الرافعي:((ومن أثر تلك القوة أيضاً ما تراه من شدة الوضوح في كلامه صلى الله عليه وسلم، ولقد رأينا هذه البلاغة النبوية العجيبة قائمة على أن كل لفظ هو لفظ الحقيقة لا لفظ اللغة، فالعناية فيها بالحقائق، ثم الحقائق هي تختار ألفاظها اللغوية على منازلها؛ وبذلك يأتي الكلام كأنه نطقٌ للحقيقة المعبرة عنها))[٣]، وقال البيومي:((أما الفكرة الدقيقة لدى محمد، فتأتي في مساق واضح سهل، وهي على دقتها النافذة لا تتعدى في كثير من أحوالها حديثاً سبق في مجلس على ملأ من الناس ففهمه الجميع،...فما رأى القارئ في قوة هذه الأفكار وصوابها؟ أليست تحمل الطابع العام لبيان الرسول، وهو الصدق الموجز دون تزيد أو فضول))[٤].

---

[١] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٦٩.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص ٢٤٤.

[٣] وحي القلم، مرجع سابق، ج٣، ص١٧.

[٤] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٢٦-٢٢٧.

جمال التمثيل في البيان النبوي:

واتفق الرافعي والبيومي على أن في التمثيل الأدبي في البيان النبوي ما يفوت حدود البلاغة البشرية حيث قال الرافعي:((وكل ما جاء من التمثيل في كلامه صلى الله عليه وسلم ينطوي فيه من أبداع الفن البياني وإعجازه ما يفوت حدود البلغاء، حتى لا تشك إذا أنت تدبرته بحقه من النظر و العلم أن بلاغته إنما هي شيء كبلاغة الحياة في الحي:هي البلاغة ولكنها أبدع مما هي،لأنها الحياة أيضاً))[١]. وقال البيومي:((إن التمثيل الأدبي أرقى ما تعرف من صور البيان، وللقرآن الكريم والحديث النبوي منه مالا يتعلق بغباره متعلق))[٢].

الاتفاق في بعض سمات البيان النبوي:

وذكر البيومي أن من سمات البيان النبوي من ناحية التعبير سهولة المأخذ ووضوح التركيب ونجد شبهاً بها في أقوال الرافعي دون أن يحصرها مع السمات فقال في الصفة الأولى:((فإذا أتى السامع حديثه صلى الله عليه وسلم ظل لسلامته ويسره أنه مما تسهل محاكاته، فإذا أراد أن يأتي بمثله طاش وحار))[٣]كما نجد في معرض حديث الرافعي شبهاً بهذه السمة حيث قال((على أنه سواء في سُهولة إطماعه؛ وفي صعوبة امتناعه؛ إن أخذ أبلغ الناس في ناحيته، لم يأخذ بناصيته،وإن أقدم على غير نظر فيه رجع مبصراً ، وإن جرى في معارضته انتهى مقصراً))[٤]. أما الصفة الثانية التي قال البيومي فيها: ((إذا فوضوح التركيب ويسر مأخذه وسهولة تناوله، أقرب الخصائص العامة إلى تعبير محمد))[٥]،أيضاً نجد ذكر الرافعي لهذه السمة في معرض حديثه عن البيان النبوي لكنه لم يحصرها ويعدها مع السمات. فقد قال:((ومن أثر تلك القوة ما تراه من شدَّة الوضوح في كلامه صلى الله عليه وسلم، ولقد رأينا هذه البلاغة النبوية العجيبة قائمة على أن كل لفظ هو لفظ الحقيقة لا لفظ اللغة))[٦].

---

[١] وحي القلم، مرجع سابق، ج٣/ ص١٦.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص ٢٤٦.

[٣] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٥٦.

[٤] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٢٧.

[٥] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٥٧.

[٦] وحي القلم، مرجع سابق، ج٣/ ص١٧.

الغريب في الحديث النبوي:

كما اتفقا على العجب من معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم للغريب الذي تحدث به مع أهل القبائل النائية أو كتب به رسائله وعهوده. مع أنه لم يرحل إلى منازلهم فيتعلم من ألفاظهم. فقال الرافعي:((ومثل هذا لا يكون لرجل من العرب إلا عن تعليم أو تلقين أو رواية عن أحياء العرب حيّاً بعد حي و قبيلاً بعد قبيل، حتى يفلي لغاتهم، و يتتبع لغاتهم مناطقهم...فما عرف أن أحداً منهم تقصص اللغات وحفظ ما بينها من فروق الأوضاع))[١]، وقال البيومي:((وهنا تظهر القدرة الكامنة في بيان الرسول، إذ يحيط علماً بألسنة أناس لم يكتب له عليه السلام أن يشافههم أو يشافهوه، وقد علم الناس جميعاً أنه لم يرحل إلى مطارحهم النازحة يوماً فيعي من ألفاظهم لا القليل ولا الكثير))[٢].

و توافق رأي الرافعي والبيومي أن الغريب في الحديث النبوي غير متداول في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، وجاء رادً خاصاً لأهل القبائل النائية ولا يجوز في غير أرضهم ولا يأتلف مع أوضاع اللغة القرشية. وقد أعجب البيومي بكلام الرافعي في هذا الباب وجاء به رداً على كلام ابن الأثير مفنداً رأيه حيث قال:((الحق أن ابن الأثير أخطأ في زعمه هذا أما الذي أصاب شاكلة الصواب فهو الأستاذ مصطفى صادق حين قال في حديثه عن الغريب في أدب النبوة: "ومن ذلك كتبه التي كان يمليها ويبعث بها إلى القبائل يخاطبهم فيها بلحونهم، ولا يعدو ألفاظهم وعبارتهم فيما يريد أن يلقيه عليهم، وهي خاصة بهم وبمن يداخلهم ويقاربهم لا تجوز في غير أرضهم ولا تسير عنهم فيما يسير من أخبارهم ولا تأتلف مع أوضاع اللغة القرشية ..."))[٣].

---

[١] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق ، ص٢٣٠.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٦٧.

[٣] للاستزادة انظر البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٦٩.

المبحث الثاني: أوجه الاختلاف

تأتي هذه الموازنة بين السابق واللاحق، فكلاهما من كبار الأدباء، تناولا بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم، فالرافعي من أوائل الأدباء المعاصرين الذين أولوا البيان النبوي عناية، فألحق بكتابه "إعجاز القرآن"قسماً للبلاغة النبوية وكذلك خصص فصلاً تحليلياً في كتابه

"وحي القلم". و كتب جملاً في وصف البيان النبوي لا يكتبها إلا أديب كبير ملهم مثله. فقد قال:((هذه هي البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآياتها، وحسرت العقول دون غاياتها، لم تصنع وهي من الإحكام كأنها مصنوعة، ولم يتكلف لها وهي على السهولة بعيدة ممنوعة))[١]. كما قال ثم((تركت الكلام النبوي يتكلَّم في نفسي ويُلهمني ما أفصح به عنه، فلكأنيِّ به يقول في صفة نفسه: إني أصنع أمَّة لها تاريخ الأرض من بعد، فأنا أُقبل من هنا وهناك، وأذهب هناك وهنا، مع القلوب والأنفس والحقائق، لا مع الكلام والناس والوقت))[٢]، فهذه جمل الرافعي فيها من الجمال الأخاذ ما يسحر الأفئدة والعقول مثل قوله:((ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل ّ بجلال خالقه، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهي إن لم تكن من الوحي ولكنها جاءت من سبيله وإن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليله، محُكمة الفصول، حتى ليس فيها عروة مفصولة، محذوفة الفضول، حتى ليس فيها كلمة مفضولة. وكأنما هي في سموها وإجادتها مظهر من خواطره صلى الله عليه وسلم))[٣]، وقال أيضاً في وصف الحديث النبوي:((كلام كلّما زدته فكراً زادك معنى، وتفسيره قريب،قريب كالروح في جسمها البشري،ّه بعيد بعيد كالروح في سرِّها الإلهي ّ ، فهو معك على قدر ما أنت معه، إن وقفت على حد وقف،وإن مددت مدّ ، وما أديت به تأدى، وليس فيه شيء مما تراهُ لكل بلغاء الدنيا من صناعة عبث القول، وطريقة تأليف الكلام، واستخراج وضع من وضع))[٤]، وكما وصف الأسلوب النبوي أيضا بقوله: ((أمَّا أسلوبه صلى الله عليه وسلم فأجد له في نفسي روح الشريعة ونظامها وعزيمتها، فليس له إلا قوةُ قوة أمر نافذ لا يتخلَّف،وأن له مع ذلك نسقاً هادئاً هدوء اليقين، مبيناً بيان الحكمة، خالصاً خلوص السر ّ ، واقعاً من النفس المؤمنة موقع النعمة من شاكرها؛ وكيف لا يكون كذلك وهو أمر

---

[١] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٢٧.

[٢] وحي القلم، مرجع سابق، ج٣/ص٦.

[٣] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٢٧.

[٤] وحي القلم، مرجع سابق، ج٣/ص٨.

الروح العظيمة الموجهه بكلمات ربها و وحية، ليتوجه بها العالم))[١]. كماعُني البيومي أيضاً بأن تكون رسالته للدكتوراه مختصة في إيضاح البيان النبوي. فقد بحث في المكتبة العربية كتاباً يخصه بدراسة تحليلية مفصلة فلم يجد. فقرر أن يبدأ هو ببناء هذا الصرح حيث قال:((فقلت في نفسي لتضع أنت اللبنة الأولى في هذا الصرح الشاهق؛ فلعل أديباً كبيراً يفكر فيما كتبت، فيحاول أن يقيم الصرح، وحسبك أن وجهت إليه الأنظار وذلك جهد ما تستطيع))[٢]. فضم كتابه ستة عشر فصلا في ثلاثمائة وخمسٍ وسبعين صفحة، وقد أتاحت له هذه السعة تأمل واستعراض موضوعه باستفاضة. وقد كتب كلمات في البيان النبوي لا يخطها إلا أديب عظيم مثله فقد قال:((لا يقدر تأثير محمد صلى الله عليه وسلم في الخطابة العربية على مر العصور، إلا من عرف كيف كانت الخطابة العربية قبله، وكيف صارت بعده))[٣]. وقال: ((ما هذا الإفحام البليغ تنبعث به حروف معدودة، فتترك النفوس ذاهلة مأخوذة، كم يستشعر الطليق من ذات نفسه ندم الخجل فيرى في وجهه عرق الخزي، ويحس في حلقه مرارة الأسف. وكم من الساعات سيظل مردداً لقول محمد: اذهبوا فأنتم الطلقاء. مستحيياً أن تعود به الذكرى إلى باطل سلف، وإثم أدبر، أرأيت الإيجاز يبلغ مبلغه من النفوس حتى يصبح في كلماته مثلاً شرود ً ا مجلجل الأصداء، تاركاً في النفس أعنف ضروب التأثير. إنه لا شك وليد خبرة بالمنازع الهاجسة، يحدوها بما يضمن لها الهدوء والتثبيت))[٤]. وقال:((لو لم يكن نبي الإسلام صاحب خبرة صادقة بالنفوس ما استطاع أن ينهض بدعوته بين قوم متنافرين، فيرأب الصدع ويلم الشمل مع اختلاف المنازع واصطدام الأهواء))[٥]. وقال:((فإذا أتى السامع حديثه صلى الله عليه وسلم ظل لسلامته ويسره أنه مما تسهل

---

[١] وحي القلم، مرجع سابق، ج٣/ص٨-٩.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١٠.

[٣] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص ٧٧.

[٤] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٨٤.

[٥] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٠٤.

محاكاته، فإذا أراد أن يأتي بمثله طاش وحار. وليس اليسير السهل مما يمل على التكرار، ولكنه يتردد ويظل محتفظاً بجدته الطريفة؛ إذ إن وراءه فكراً دقيقاً يزن الرأي السديد ميزاناً تامًّا ثم يعرضه في يسر قريب المتناول))[١]. وقال :((فإن المتتبع للآثار النبوية يجد صورها الفنية من أحسن المثل لما تنجذب إلى النفوس من القول، لما فطر عليه صلى الله عليه وسلم من معرفة عناصر التأثير في البيان، و أوجه الجمال في اللسان، فجاء حديثه النبوي من البلاغة العالمية في موضع تتطلع نحوه الأبصار، وتتقاصر دونه الأعناق))[٢]. وقال :((أن كل أسلوب أدبي يحمل طابع صاحبه، فهو وليد فكره ووحي عاطفته، وإذا كانت الأفكار تدل على معدن الأديب الذهني واطلاعه الثقافي قوة وضعفاً ، فإن العاطفة تمد الأسلوب بما يشي بآمال الكاتب وأحلامه، وما يرسم خلجات وجدانه وهمسات مشاعره. حتى ليجيء أثره الأدبي صورة صادقة من نفسه، وإذ ذاك يكون الأسلوب هو الرجل دون نزاع))[٣]. هذا كما رأينا أسلوب الأدباء الكبار يفُحِ ـم من يجاريهم فيه. فلا يستطيع غير العظماء الوصول لهذه القمم.

اختلف الأديبان في دراستهما للبلاغة النبوية في العديد من النقاط تتضح من خلال الموازنة بين دراستيهما على النحو التالي:

---

[١] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٥٦.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٣٧.

[٣] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٣٧.

- **الاختلاف في الأسباب المؤثرة في البيان النبوي:**

الفطرة القوية:

فقد اختلف الرافعي والبيومي في الأسباب المؤثرة على البيان النبوي، ولم يتفقا إلا في فطرته صلى الله عليه وسلم القوية، فقد أرجع الرافعي هذا البيان النبوي إلى تفرده بعلم لهجات القبائل العربية، وإلى النشأة في ربوع أفصح قبائل العرب ولادةً ثم نشأةً ثم متزوجاً ثم مهاجرة. بينما البيومي أرجعها إلى تأثير القرآن وهديه فهو أستاذ محمد صلى الله عليه وسلم. وكان لاتفاقهما على أهم مسببات البيان النبوي الفطرة القوية اختلاف أيضاً ، فالرافعي ذكر الفطرة اللغوية "السليقة العربية" بصفائها وقوتها قائلاً :((وإنما فضلهم بقوة الفطرة واستمرارها وتمكنها مع صفاء الحس ّ ونفاذ البصيرة واستقامة الأمر كله))[١]. و البيومي ذكر الفطرة " التي فطر الله الناس عليها" وهو من قوله صلى الله عليه وسلم:((كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ))[٢]، فقد قال البيومي:((إنما العامل الأول هو فطرته القوية التي طبعه الله عليها منذ اختاره للدعوة، والله أعلم حيث يجعل رسالته. هذه الفطرة السليمة التي دفعته إلى التفكير في آثام الجاهلية ونزواتها، ثم إلى التأمل مما انحدرت إليه الإنسانية من موبقات، مع الظمأ اللاهب إلى معرفة الحقائق))[٣].

النشأة في أفصح القبائل:

كما اختلافا في النسب والرضاعة ويرى البيومي أن من أقل العوامل المؤثرة في تكوين البيان النبوي:((جازماً بأن ما يذكر كثيراً بصدد ذلك من نشأته في قريش ورضاعه في بني سعد

---

[١] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٣٠.من

[٢] (متفق عليه)، صحيح البخاري،ح١٣٨٥، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ج١٠٠/٢. صحيح مسلم،ح٢٦٥٨، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة،ج٢٠٤٧/٤.

[٣] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١٢.

إنما كان أقل العوامل في بيانه النبوي))[١]. بينما يرى الرافعي أن النسب والرضاعة من أهم مسببات هذه البلاغة: ((وأن أكبر السبب في اكتساب المنطق واللغة، للطبيعة والمخالطة والمحاكاة...ولقد كان في قريش وبني سعد وحدهم ما يقوم بالعرب جملة))[٢].

ويتضح أن النسب والرضاعة والمحاكاة لنماذج سليمة يعدُ من أهم أسباب البلاغة النبوية،فقد أكدت أغلب الدراسات والنظريات والآراء القديمة والحديثة على أهمية البيئة والاحتكاك فـ((يرى علماء النفس اللغوي أن اكتساب مهارات أي لغة يتطلب وضع المتعلم في حمام لغوي، وقديماً فطن العرب لأهمية البيئة اللغوية فكانوا يرسلون أطفالهم إلى البادية لاكتساب اللغة السليمة)) [٣]، والراجح أن الرافعي جاء بالصَّواب.

- **النبي صلى الله عليه وسلم وإنشاد الشعر:**

اتفق العلماء والأدباء جميعاً على عدم تأليف الرسول صلى الله عليه وسلم للشعر. لكن كان الاختلاف بينهم في إنشاده هذا الشعر. فكان رأي الرافعي موافقاً لرأي أغلب الأدباء في عدم إنشاده صلى الله عليه وسلم للشعر. بينما يظهر رأي البيومي مخالفاً لرأي أغلب الأدباء والعلماء.

فالرافعي يرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينشد الشعر. ولا يكمل إنشاد بيت واحد تام اللفظ والوزن فيقدم فيه ويؤخر ويخرجه عن وزنه. وإن صححه ينشد صدر البيت وحده، أو عجزه وحده. ولم يكمل بيتاً إلا من الرجز المنهوك أو المشطور.كما يرى أن

---

[١] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١٢.

[٢] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٣١.

[٣] الأصوات اللغوية عند ابن سينا:عيوب النطق وعلاجه،مرجع سابق،ص١٥٥.

السبب في إنشاده صلى الله عليه وسلم الرجز خاصة دون الشعر؛ لأن الشطرين منه كالشطر الواحد في الوزن والقافية، لا يبين أحدهما من الآخر؛ وهما بعد ذلك كالفاصلتين من السجع، لا يمتازان منه في الجملة إلا بإطلاق حركة الروي، ومن أجل هذه العلة لم يتفق له في غيرهما شيء. فلو استقام له وزن بيت واحد من الشعر، لغلبت عليه فطرته القوية فخرج بذلك إلى الاتساع بالقول وإلى أن يكون شاعراً .

أما البيومي فيخالف غالب جمهرة الأدباء والعلماء، فيرى أنه صلى الله عليه وسلم أنشد الشعر وتمثل به في الإلقاء، وتعجب وتساءل!فهل يكون "إنشاءللشعر سبيلاً إلى تأليفه!؟، ثم هل كل راوٍللشعر ملم بصحة أوزانه وقوافيه شاعراً ينظم القصائد بمجرد روايته وحفظه؟... والأنكى والأدهش أن يتخذ هذا الحصر الشائن دليلاً على نبوة رسول معجزته الفصاحة والبيان، وحجته المنطق و اللسان"[1]. كما تعجب البيومي من قول المانعين من إنشاد الرسول صلى الله عليه وسلم للشعر؛ أيعقل أن يكون إنشاد البيت الصحيح من الشعر مدعاة لنظمه وتأليفه، كما جاء ببراهين عقلية منها، أن كبار أساتذة الأدب في أرقى الجامعات ينشدون آلاف الأبيات ويحفظونها، لكنهم قد لايستطيعونتأليف بيتٍ واحدٍ من الشعروأيضاً الخطباء قديماً وحديثاً يلقون الخطب ويستشهدون بأبيات كثيرة تؤكد أقوالهم، فلا يكونون بهذا الاستشهاد من المؤلفين للشعر. "إذا كان الرسول غير شاعر، وجاء بما أعجز الشعراء، ولكن أية حجة في أن يكسر البيت فيلحقه من سامعيه ما يشين!، لا عيب عند العرب إطلاقاً- ولا عند غيرهمألا تكون شاعراً. فالشعراء قلة بين من سواهم في كل زمان،ولكن العيب كل العيب أن تنطق بيتاً من الشعر فلا تقيمه وأنت رجل كسائر الرجال، فكيف إذا كنت أفصح البلغاء"[2]، ويذكر البيومي أن كتب السيرة تجمع على إنشاده صلى اللهعليه وسلم أبياتاً صحيحة "لعبد الله بن رواحة" من الرجز، وقد أكد أغلب العلماء بأن

---

[1] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١١٠.

[2] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١١٣.

الرجز بحر من بحور الشعر' ((فلماذا لم يكرإنشاد الرجز سبيلاً إلى نظمه حتى يتخوف من إنشاد الشعر الصحيح، ولماذا لم يقل أعداؤه من كفار العرب أنه عليه الصلاة والسلام صار رجّازاً لأنه أنشد أبياتاً صحيحةً من الرجز دون كسر واعوجاج؟))[١]، كما برهن بقول الرسول صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالها لبيد:"ألا كل شيء ما خلا الله باطل"، فذهب المانعون للتبرير بأنه نثر لأنه لم يكمل البيت، ((مع أن من يسمعه منفصلاً عن عجزه يعلم أنه شطر تام من بيت شعري شهير، فهو شعر لا محالة، ونحن نستشهد في مقالاتنا وخطبنا بأشطار من الأبيات تجري مجرى الأمثال بل نستشهد أحياناً ببعض الشطر لا كله، فلا يمنع ذلك أحداً أن يقول إنه استشهاد بالشعر، وهبني قلت في كلمة ما "وإنما الأمم الأخلاق"فقط أفلا يطير ذهن القارئ إلى شوقيمدركاً أني استشهدت بشعره))[٢].

ومن هنا يظهر جلياً تباين رأيهما في قضية إنشاد الرسول صلى الله عليه وسلم فالرافعي يؤكد على عدم إنشاده للشعر. بينما البيومي يؤكد أن الحديث عن صحة إنشاده للشعر هو حديث عن تمام فصاحته وكمال بلاغته وهما لا يحتاجا إلى دليل. وقد استشهد البيومي بأقوال الرافعي ليظهر أسباب المانعين.

ويتضح أن الراجح هو رأي البيومي فقد ثبت إنشاد الرسول صلى الله عليه وسلم لأبيات صحيحة لعبد الله بن رواحه من الرجز دون كسر واعوجاج. والذي أكد أغلب العلماء على أنه بحر من بحور الشعر .فقد أنشد صلى الله عليه وسلم من الرجز المنهوك:

---

[١] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١١٤.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص١١٤.

« أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ ... أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ »[١]

وأنشد صلى الله عليه وسلم من الرجز المشطور وهو أكثر رجز العرب:

« هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ ... وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ »[٢].

ويظهر اختلافهما في التحليل والتمثيل لموقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر، فنجد دراسة الرافعي مختصرة موجزة والتمثيل فيها جاء عابراً ، بينما البيومي نجد أنه فصل وتناولها من جميع الاتجاهات فجاءت دراسته شاملة. فقد أثبت بالدليل أن موقف الإسلام واحد من الشعر؛ وموقف الرسول صلى الله عليه وسلم واحد أيضاً بتحبيذه اتجاها عاقلا، ومعارضته اتجاهاً سفيهاً .وحسم القول بحيث لا يكون هناك مجال بعد الآن للقول بكراهية الشعر. ورد على من يقولون بكراهية الشعر بالبرهان كما سبق ذكره. كما وضح المواقف النبوية الدالة على تأييده كل ما سلك سبيل الحق من الشعر. واحتفاءه بالشعراء المسلمين وغير المسلمين واستخدامهم في الدعوة. والتفاته صلى الله عليه وسلم إلى القريض من الشعر.

---

[١] (متفق عليه)صحيح البخاري ، ح:٢٨٦٤ ، كتاب الجهاد والسير ، باب من قاد دابة غيره في الحرب ،ج٤/ص٣٠. صحيح مسلم ، ح١٧٧٦،كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، ج٣/١٤٠١.

[٢] (متفق عليه)صحيح البخاري ،ح: ٦١٤٦، كتاب الأدب ، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، ج٨/ص٣٥.صحيح مسلم، ح١٧٩٦،كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين،ج٣/١٤٢١.

- **التأثير النبوي على اللغة:**

وظهر اختلاف دراستهما في بيان التأثير للبيان النبوي على اللغة، فالرافعي تحدث عن تأثير البيان النبوي بإطار عام، بينما نجد البيومي خصص ليبين مدى تأثير مجال محدد فقط. فدراسة الرافعي اتخذت مسار التنظير الأدبي. حيث وصف مدى تأثيره في زيادة الأساليب البليغة في محيط الأدب العربي، وبين قدرته على الوضع فقد أدخل كثيراً من الألفاظ والتراكيب البيانية الجديدة في اللغة العربية. كما أسهم في ابتكار ألفاظ دينية وتشريعية وفقهية فاتسعت بفضله اللغة العربيةمادةً ومضموناً . وأسهم في نشأة الكتابة وصناعتها.

بينما دراسة البيومي أخذت المسار التطبيقي العلمي، فقد خصص دراسته ليحصر مجال تأثير البيان النبوي على اللغة في التصوير البياني الذي ابتكره صلى الله عليه وسلم. فهو أول من أحدث صوراً عن عالم غيبي لم يصورها البشر قبله، وكان تأثيره المباشر في كل رحلة خيالية إلى السماء ومثل بحديث المعراج، وبين امتداد تأثيره إلى آداب أمم مختلفة.

كما اختلف البيومي والرافعي في إثبات مجال التأثير للبلاغة النبوية. فالرافعي أثبت تأثيرها الواضح في اللغة وفي زيادة الأساليب البليغة في محيط الأدب العربي. بينما البيومي خرج بحدوده إلى بيان تأثيرها في الأدب العالمي " العربي الإيطالي والفارسي".

وكان اختلاف الرافعي و البيومي في دراستهما لسمات البلاغة النبوية جلياً ، فذكر الرافعي سمات البيان النبوي الخلوص والقصد و الاستيفاء. وسرد الكثير من العبارات الوصفية في بيانها. وسار على منهاج العلماء السابقين في التحليل. فهو من أوائل الأدباء المعاصرين كتابة عن البلاغة النبوية.[١] بينما البيومي حدد سمات البيان النبوي بعناصر الأسلوب في النقد الحديث لكي يوضحها للمتلقي من جميع جوانبها فذكر الأفكار والصور والتعبير مُبيناً

[١] إعجاز القران والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٧١-٢٧٢.

وطرحاً وممثلاً لكل سمة.[١]فاختلاف المنهج واضحٌ بين دراسة الرافعي والبيومي. فننظر مثلاً إلى تقسيم البيومي للسمات فنجد من ناحية التعبير ذكر سمات التعبير النبوي سهولة المأخذ مع إيجاز العبارة، و وضوح التركيب ويسر مأخذه، ونجد الرافعي تحدث في معرض حديثه عنهما. كما نرى شبهاً بما قاله الرافعي عن سمة القصد: التي عنى بها: قصر الألفاظ على ما يحتمله المعنى دون زيادة. وبين ما ذكره البيومي من خصائص الأفكار النبوية: تشخيص الفكرة وتحديد المعاني وتقديم خُلاصتها. كلها تعبر عن الشيء نفسه لكن نرى الفرق في أن البيومي اتخذ منهجاً علمياً سار فيه وحدد مسار دراسته لسمات البيان النبوي بعناصر الأسلوب في النقد المعاصر، فاتضح مقصده وسهل على القارئ الإلمام بخيوطها. بينما لا نجد هذا المنهج عند الرافعي ((ولو تخفف الرافعي قليلاً من طريقته البلاغية فيما بعد المقدمة من الفصول العلمية لأفاد قارئه أكثر مما أفاد، لأن الكاتب الكبير رحمه الله قد عالج الأسلوب العلمي في مباحثه المحمدية بطريقته الأدبية ذات المعاني المتداخلة والتحليق الطائر، إلى حيث لا تقتنص فوائده إلا بعد كد وامتناع))[٢]، فتعلق الرافعي بمناهج القدماء جعله يفضل طريقتهم في البحث والتحليل والاستدلال. فدراسته تتسم بطابع العمومية في إصدار الأحكام، وسرد الكثير من العبارات الوصفية، فلم يعتمد على الدراسة العلمية وعلى الوصف الموضوعي. مع أن دراسته أصيله وقد اعتمدها مرجعاً أغلب الدارسين للبيان النبوي.

---

[١] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٢٣-٢٧٠.

[٢] البلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٣٤٦.

الخاتمة:

الحمد لله على توفيقه والصلاة والسلام على رسول الله... وبعد

فقد وضحت هذه الدراسة منهج الرافعي والبيومي في تناولهما للبلاغة النبوية.كما بينت مدى الائتلاف والاختلاف بين دراستهما وبين توافقهما مع آراء العلماء.

وخلص البحث إلى النتائج الآتية:

- كان الرافعي رائداً في دراسته للبلاغة النبوية. وقد عالج البلاغة النبوية بطريقته الأدبية الخاصةوقد فتح الباب للدارسين الذين عُنُوا بالبحث في البيان النبوي. كما اعتمدت دراسته مرجعاً لأغلب الدارسين والباحثين في البلاغة النبوية.
- كان البيومي رائداً في تأليف كتاب متخصص عن البيان النبوي بدراسة تحليلية مفصلة، وقد عالج كتابه بالوصف الموضوعي متبعاً المناهج العلمية الحديثة. وقد وضع اللبنة الأولى في هذا الصرح الشاهق بنجاح.
- اتضح أن الرافعي والبيومي في دراستهما للبلاغة النبوية ائتلفا في بعض الآراء كاتفاقهما على أن من أهم مسببات البيان النبوي الفطرة القوية.واختلفا في بعضها الآخر كاختلافهما في قضية إنشاد الشعر. كما سبق الإشارة بالتفصيل في الفصل الثالث. وظهرت موافقة رأي الرافعي لرأي أغلب الأدباء.ومخالفة البيومي غالباً لهم.
- اتسم منهج الرافعي في دراسته للبلاغة النبوية بطابع العمومية في إصدار الأحكام على المعاني والأسلوب، وسرد كثيراً من الجمل الوصفية ذات المعاني المتشابكة، فكانت غامضةً ولم يستفد منها المتلقي حق الإفادة، مع أنها تحمل في طياتها الكثير من الأفكار الأصلية. وكان ذلك بسبب عدم اعتماده على الدراسة العلمية وعلى الوصف الموضوعي.

- اعتمد البيومي على المنهج العلمي. وعلى الوصف الموضوعي، والتحليل اللغوي. وقد حاول حسم الكثير من الجدل في القضايا كقضية الاستشهاد بالحديث النبوي في كتب اللغة والنحو. وقضية موقف الإسلام من الشعر والشعراء ... وغيرها. كما نجد أنه تأثر بالدراسات المعاصرة. وحاول أن يأتي بآراء مخالفة لأغلب العلماء كما اتضح في عدة مواضع.
- يظهر أن تعلق الرافعي بمناهج القدماء جعله يفضل طريقتهم في البحث والاستدلال والتحليل. فلم يتعمق في التحليلات الفنية والبلاغية، وحبذا أنه شمل مع الجانب اللغوي الجانب الفني فكان هدفه الكشف عن الخصائص العامة للتعبير النبوي. ولم يتجاوز ما ورد عن القدماء ويا حبذا أنه توقف عند كل عنصر وحدد مفهومه وأقسامه. فظهر أسلوبه الأدبي مشابهاً لأسلوب النقاد والبلاغيين في القرن الخامس الهجري.
- بين البيومي غنى الحديث النّبويّ الشّريف بألوان التّصوير اللّطيف المحرّك للنّفس، والمصوّر للمعنى، وبديع القول النبوي، فوضع أمثلةً عديدةً وكثيرة، ليبرهن بها أقواله، لكنه لا يحلل إلا القليل تحليلاً بلاغياً ولغويا، فيبدو أنه ينهج عدم الاتساع والاكتفاء بالتمثيل.
- ظهر الاختلاف بين الدراستين بسب تقدم دراسة الرافعي على البيومي، وإفادة الدراسة الأخرى منها، وبسبب اختلاف المنهج بين الدراستين. فقد أثر "المنهج" على دراستهما تأثيراً كبيرا.

التوصيات والمقترحات:

- البلاغة النبوية بحاجة للمزيد من الدراسات المتخصصةفعلى الرغم من كل ما كُتِب فيها إلا أنها تظل نبعاً لا يجف؛ ولذا فعلى الباحثين أن يتجهوا لها ويفيدوا منها.

- يوصى هذا البحث بدراسة موضوعات الأحاديث النبوية مقارنة بموضوعات الأدباء" الطبيعة، المرأة، الحب، الجمال".
- دراسة البيومي للبلاغة النبويةقَرَّةٌ فدراسته مغايرة عن ما ائتلف قبله كدراسته لأسباب البيان النبوي وسماته أيضاً ودراسته لتأثير الحديث النبوي في اللغة.
- سبَّب اختلاف المنهج بين الدراستين اختلافاً كبيراً ، ولذلك يوصي هذا البحث بدراسة مناهج الأدباء الآخرين الذين تناولوا البلاغة النبوية والموازنة بين مناهجهم ودراساتهم.

ولله الحمد من قبل ومن بعد

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾	سورة النساء الآية :٤١	١١٢
﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا ﴾	سورة النساء الآية :٦٣	١٨
﴿ وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾	سورة النساء الآية :١١٣	٧
﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾	سورة النساء الآية : ١١٣	٤٠
﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم... ﴾	سورة الأنعام الآية: ١٥١-١٥٢	١٠٩
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم ﴾	سورة إبراهيم الآية : ٤	٢٣
﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾	سورة النحل الآية: ٧٧	٦٩
﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾	سورة النحل الآية: ٩	٧٧
﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾	سورة النحل الآية :١٢٨	٦٣
﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ . . . ﴾	سورة الإسراء	١٧٠
﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾	سورة الكهف الآية:٨٢	٩٨
﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾	سورة الكهف الآية:١١٠	١٠٦

﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾	سورة مريم الآية: ٢٨	٩٨
﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾	سورة الشعراء الآية:١٩٣-١٩٤	١٠٧-١٨
﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ. . ﴾	سورة الشعراء الآية: ٢٢٤-٢٢٧	١٢٠
﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ*أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ... ﴾	سورة النمل الآية: ٥٩-٦٤	١٢٠-١٠٨
﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾	سورة القصص ، الآية : ٣٤.	١٨
﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾	سورة يس الآية: ٦٩	٤٢- ١٢٧-١٢١
﴿وَما أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾	سورة ص الآية: ٨٦	١٥٢_٥١
﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾	سورة الطور الآية: ٤٨	١١٢
﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾	سورة النجم الآية:٥	١١٠
﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾	سورة النجم الآية ٣-٤	١١٥_١١١_٣٢
﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ... ﴾	سورة الجمعة الآية:٢	١٢٤-١١٢
﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾	سورة الملك الآية:٢	١٤٦
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	سورة القلم الآية : ٤	١١٢-٣٨
﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾	سورة الحاقة الآية :٤١	١١٥

﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾	سورة نوح الآية :٢٧	٩٨
﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ*قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً*نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً* أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾	سورة المزمل الآية : ١_٥	٣٥
﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى...﴾	سورة عبس الآية: ٥-١١	١١١
﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ* وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾	سورة الانفطار الآية: ١٣- ١٤	١٠٩
﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾	سورة الضحى الآية: ٦	١٠٢
﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾	سورة الضحى الآية ٧	١٠٧

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	رقم الصفحة
(مكثرٌ سباي يوم القيامة الثرثارون ...)	٥٤
(فحجم عظامها)	٧٥
(ربي تأديبي)	٣٩-٥٢-١١٠-١١٤
(ربانيتك وآخر عملك)	٥٧
(لما شاعر، كلمة لبيد: "شيء ...)	٤٣
(يّ القرآن ...)	١٢٣
(حمي الوطيس)	٦٥-٨٤
(النصيحة ...)	٥٧
(الصدمة الأولى)	٥٧
(إلى الأقيال العباهلة، والأرواع المشابيب...)	٨٧
(الفضة والذهب، خيارهم ...)	١٤٩
(بين، وإنّ بهما مشتبهات ...)	٦٠-١٣٥
(معنّتًا، ولا متعنّتًا...)	١١٣
(راه، فإن لم تكن تراه ...)	٥٧
(إن لكم فراعها ووهاطها وعزازها، تأكلون علافها...)	٨٩
(شعر حكمة)	١٣٥
(العرب..)	٣٩
(لا كذب ... المطلب)	٤٥
(إنما لكل امرئ ما نوى، فمن ...)	٥٦
(ثل، والجليس السوء ...)	١٤٧
(إياك والمخيلة.....)	٩٧
(افق ثلاث: ب، وإذا وعد ...)	١٣٩

(ـَ امِعِ الْكَلِمِ)	٥٠-٨٠
(نَفْسِ السَّاعَةِ)	٦٩-٨٤
(َكَ رِفقاً ـِ ارِير)	٧١-٧٥
(َاخَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَ القَائِمُ ...)	١٥٥
(فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ...)	١٥٤
(ٍ بسِمَاتِهَا)	٧٣
(لا يح فيها عَنزان)	٧٣
(تَلِئَ بْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا)	١٢١
(هُمْ بِهِ نَضْحُ النَّبْلِ)	١٢٥
(قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلاَتِي هَذِهِ ...)	١٣٦
(انَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ لاَ مَرَّتَيْنِ ...)	١٠٣
(رَسُولَ اللَّهِ بِسِلاَحِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ ...)	١٢٤
(ـَ حتف أنفِه)	٦٤-٨٤
(لِ الخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ ...)	١٤٥
(بَعَثَنِي الهُدَى وَ العِلْمِ ...)	١٤٤
(مُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا...)	١٦١-١٦٢
(يِّرْهُ بِيَدِهِ ،فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ ...)	١٥١
(نَبْيَاءِ فِينَا بُكَاءٌ)	٥٣
(ْنَةٌ ، دَخَنٍ)	٧٩
(ُ مَا بَعْدَهُ)	٧٣
(إِصْبَعٌ دُمِيتَ ... اللَّهِ مَا لَقِيتَ)	٤٥
(ئَ سَوْقًا بِالْقَوَارِيرِ)	٨٦
(خيل الله اركبي)	٧٣
(حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِهِ وَبَيْنَكُمْ ...)	١٤١

فهرس المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر:

- القران الكريم.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، مراجعة: درويش الجويدي، المكتبة العصرية بيروت، ٢٠٠٥م.
- البلاغة النبوية، محمد رجب البيومي، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٨م.
- مصطفى صادق الرافعي فارس القلم تحت راية القرآن، محمد رجب البيومي، دار القلم دمشق، ١٩٩٧م.
- وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، المكتبة العصرية بيروت، ٢٠١٣م.

ثانياً : المراجع :

- الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: رفعت فوزي، مكتبة الخانجي القاهرة، ١٤٢١هـ.
- أحاديث القصاص، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: أحمد باجور، الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٣هـ.
- أدب الحديث النبوي، بكري شيخ أمين(ط٧)، دار العلم للملاين، لبنان، ٢٠٠٥م.
- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية لبنان، ١٤٠٩هـ.
- الأسلوب، أحمد الشايب(ط١٢)، مكتبة النهضة المصرية مصر، ٢٠٠٣ م.
- الأصوات اللغوية عند ابن سينا:عيوب النطق و علاجه، نادر جرادات، الأكاديميون للنشر والتوزيع، ١٤٣٠ هـ.
- أضواء على البلاغة النبوية، إبراهيم طه الجعلي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع الرياض، ٢٠٠٤م.

- الإعجاز والإيجاز، عبد الملك بن محمد الثعالبي، المطبعة العمومية مصر،١٨٩٧م.
- الإمام مصطفى صادق الرافعي: مصطفى نعمان البدري، دار البصري، بغداد، ١٩٦٨م.
- الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي(ط١٥)، دار العلم للملاين، ٢٠٠٢م.
- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: محمد النمسي، دار الكتب العلمية بيروت،١٩٩٩م.
- انظر الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل عبد الموجود- علي معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٥هـ.
- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر للطباعة، ١٤٢٤ هـ.
- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن بن حسن الدمشقي، دار القلم دمشق،١٤١٦هـ.
- البلاغة النبوية بين النظرية والتطبيق، غالب محمد الشاويش، مكتبة الرشد الرياض، ١٤٣٠هـ.
- البلاغة في القرآن الكريم والسنة النبوية، عزة محمد جدوع(ط٢)، مكتبة الرشد الرياض، ١٤٣٥هـ.
- بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن(ط٤)، محمد الخطابي، تحقيق محمد خلف الله – محمد زغلول سلام، دار المعارف مصر، ١٩٧٦م.
- البيان المحمدي، مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية،١٤١٥هـ.
- البيان و التبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.
- تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، أحمد شوقي ضيف، دار المعارف.٢٠١٤م.
- تاريخ العرب قبل الإسلام، محمد سهيل طفوش، دار النفائس بيروت،١٤٣٠هـ.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»،محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر تونس، ٢٠٠٨م.

- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق:محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد الطنطاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٨م.
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين العلوي الهرري، تحقيق:هاشم مهدي، دار طوق النجاة لبنان،١٤٢١هـ.
- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، الحسين الراغب الأصفهاني، دار الحياة بيروت، ١٩٨٣م.
- التناسب البياني في السنة النبوية، محمد مختار المفتي، بحث منشور في مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، العدد الثالث والسبعون، ١٤٣٤هـ.
- التنوير شرح الجامع الصغير، محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق:محمد إسحاق إبراهيم، مكتبة دار السلام الرياض، ١٤٣٢هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر للطباعة، ١٤٢٢هـ.
- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي (ط٢)، تحقيق:حمد البردوني – إبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ .
- جولة في مؤلفات محمد رجب البيومي قراءة نقدية، محمد سيد بركة، مجلة الإسلام اليوم، العدد٨٣، ٢٠١٢م.
- الحديث النبوي مصطلحة بلاغته كتبه، محمد بن لطفي الصباغ(ط٨)، المكتب الإسلامي،٢٠٠٣م.
- الحيوان، عمرو بن بحر الجاحظ(ط٢)، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٢٤هـ.
- حياة الرافعي، محمد سعيد العريان(ط٣)، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٥م.
- الخصائص البلاغية للبيان النبوي،محمد الحمزاوي، مكتبة الرشد، ٢٠٠٨م.
- دراسة السمات البلاغية في بيان النبوة، صباح عبيد دراز، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، ٢٠١٤م.

- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني(ط٣)، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠١م.
- دلائل النبوة، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م.
- الاستيعابفي معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد البر ّ القرطبي، تحقيق:علي البجاوي، دار الجيل بيروت، ١٤١٢هـ.
- الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار الوفاء مصر، ١٤٣١هـ.
- الرسول المعلم صلى الله عليه وسلم وأساليبه في التعليم، عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية بيروت، ١٤١٧هـ.
- الروائع والبدائع في البيان النبوي، محمد نعمان الندوي، دار الشهاب، لبنان، ١٤٢٠هـ.
- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، شمس الدين محمد ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٣٩٥هـ.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، عبد الرحمن السهيلي، تحقيق: عمر السلامي، دار إحياء التراث العربي بيروت،١٤٢١هـ.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، شمس الدين ابن القيم الجوزية (ط٢٧)، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤١٨هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، ١٤١٥هـ.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض، ١٤١٢هـ.
- سمات البلاغة النبوية بين الجاحظ و الرافعي و العقاد، عدنان محمد زرزور، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة، العدد الخامس، ص٢٥٦، عام ١٤١١هـ.
- سنن أبي داودأبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت.

- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي(ط٢)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر، ١٩٥٧م.
- سنن النسائي، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم، إشراف: شعيب الأرناؤوط،عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة بيروت،١٤٢١هـ.
- السيرة النبوية دروس وعبر، مصطفى السباعي(ط٣)، المكتب الإسلامي،١٤٠٥هـ.
- شرح الأربعين النووية، محمد بن صالح العثيمين(ط٣)، دار الثريا للنشر، ١٤٢٥هـ.
- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى الكاشف عن حقائق السنن، شرف الدين الحسين الطيبي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مكتبة الباز مكة المكرمة، ١٤١٧هـ.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: أحمد الشمني، دار الفكر، ١٤٠٩هـ.
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ،أحمد بن فارس القزويني، دار محمد بيضون، ١٤١٨هـ.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد الناصر، تعليق:مصطفى ديب البغا، دار طوق النجاة،١٤٢٠هـ.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني جدة.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحي بن حمزة الطالبي، المكتبة العصرية بيروت ، ١٤٢٣هـ.
- عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم، عباس محمود العقاد(ط٢)، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ٢٠٠١م.

- العقد الفريد، أحمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: محمد قميحة، ج١، دار الكتب العلمية بيروت. ١٤٠٤هـ.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، الحسن ابن رشيق القيرواني(ط٥)،تحقيق:محمد عبد الحميد، دار الجيل، ١٩٨١م.ج١/١٢.
- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد العيني،إدارة الطباعة المنيرية بيروت، ١٣٨٥هـ.
- غريب الحديث، حمد البستي الخطابي، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، دار الفكر دمشق،١٤٠٢هـ.
- غريب الحديث، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٨٥م.
- الفائق في غريب الحديث و الأثر، محمود بن عمرو الزمخشري(ط٢)، تحقيق: علي البجاوي- محمد إبراهيم، دار المعرفة لبنان،١٣٩١هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد الباقي- محب الدين الخطيب، دار المعرفة بيروت، ١٣٧٩هـ.
- فقه السيرة، زيد بن عبد الكريم الزيد(ط٣)، دار التدمرية الرياض،١٤٨٢هـ.
- في بلاغة الدعاء النبوي، عبد الرزاق محمد فضل، مطابع رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، السنة١٦، العدد١٨١، ١٤١٨هـ.
- في ظلال القرآن، سيد قطب(ط١٧)، دار الشروق بيروت، القاهرة ،١٤١٢ هـ.
- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد(ط٣)، تحقيق: محمد إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة، ١٤١٧هـ.
- كتاب التعريفات، علي الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت،١٤٠٣هـ.
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل بن العجلوني، مكتبة القدسي، ١٣٥١هـ.
- الكفاية في علم الرواية، أحمد الخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبد الله السورقي، إبراهيم المدني، المكتبة العلمية المدينة المنورة.
- لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور(ط٣)، دار صادر بيروت، ١٤١٤هـ.

- لغة الجسم في السنة النبوية"دراسة موضوعية"، محمد شريف الخطيب، رسالة ماجستير الجامعة الأردنية، ٢٠٠٦م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله بن محمد ابن الأثير، تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت، ١٤٢٠هـ.
- المجتنى، محمد بن الحسن بن دريد، دار المعارف العثمانية، ١٣٨٢هـ.
- مجمع الأمثال، أحمد بن محمد الميداني النيسابوري ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة بيروت.
- مجموع الفتاوى، تقي الدين ابن تيمية(ط٣)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة المنورة، ١٩٩٥م.
- محمد رجب البيومي لمحة عن حياته ومكانته العلمية والأدبية، محمد عباس عرابي، مجلة رابطة الأدب الإسلامي العالمية،العدد١٨،عام ٢٠١٢م.
- محمد صلى الله عليه وسلم، محمد رضا، تحقيق: أحمد عوض، المكتبة العصرية بيروت،١٤٢٧هـ.
- المجازات النبوية، الشريف الرضي، تحقيق: طه محمد الزيتي، منشورات مكتبة بصيرتي.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد ابن قيم الجوزية(ط٣)، دار الكتاب العربي بيروت، ١٩٩٦م.
- مختصر الشمائل المحمدية، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني،المكتبة الإسلامية، الأردن، ٢٠١٠م.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، محمد الخطيب التبريزي، تحقيق:جمال عيتاني، دار الكتب العلمية بيروت.
- المستدرك على الصحيحين، حاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٠م.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، إشراف: عبد الله التركي، موسسة الرسالة،٢٠٠١م.
- مسند الشهاب، محمد بن سلامة القضاعي(ط٢)، تحقيق: حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة بيروت،١٤٠٧هـ.

مصطفى صادق الرافعي كاتبا عربيًّا ومفكر ً ا إسلاميًّا، (ط٣)، مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية،١٩٩٩م .

- معالم السنن، سليمان الخطابي البستي، مطبعة محمد الطباخ حلب، ١٣٥٢هـ.
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني(ط٢)، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية القاهرة.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس الرازي القزويني، تحقيق:عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
- مفتاح العلوم، يوسف السكاكي الخوارزمي(ط٢)، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٧هـ.
- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق: عبد الله الدويش، دار يعرب، ١٤٢٥هـ.
- مقدمة في نظرية البلاغة النبوية، عيد بلبع، المكتبة الأزهرية للتراث والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م.
- من بلاغة الحديث الشريف، عبد الفتاح لاشين، عكاظ للنشر والتوزيع، ١٩٨٢م.
- من رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم، حازم عوض، وكالة الصحافة العالمية_دار الكتب المصرية مصر،٢٠١٧م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني(ط٣)، مطبعة البابلي الحلبي.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين يحي بن شرف النووي(ط٢)، دار إحياء التراث العربي بيروت،١٣٩٢هـ.

- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، محمد عبد الله دراز، دار القلم ،١٤٢٦هـ.
- النحو العربي العلة النحوية نشأتها وتطورها، مازن المبارك، دار الفكر بيروت،١٩٧٤م.
- النكت في إعجاز القرآن، علي بن عيسى أبو الحسن الرماني(ط٣)، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف مصر، ١٩٧٦م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية بيروت، ١٣٩٩هـ .
- النهاية في غريب الحديث والأثر،عز الدين الجزر ي أبو الحسن ابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوى، محمود الطناحي، المكتبة العلمية بيروت، ١٣٩٩هـ.
- وحي الرسالة، أحمد حسن الزيات(ط٥)، مكتبة نهضة مصر، ١٣٨٤هـ.

ثالثاً : المراجع الإلكترونية:

- أثر الوراثة والبيئة في بناء الشخصية الإنسانية في السنة النبوية والفكر التربوي المعاصر، دراسة مقارنة، عماد الشريفين /أحلام مطالقة، بحث منشور في جامع البحوث والرسائل العلمية، جامعة اليرموك، ٢٠١٤م. تاريخ الدخول:٢/٥/١٤٤٠هـ.http://b7oth.com/?p=242
- الأدب العربي وتأثره بالحديث النبوي، مرسل فرمان، بحث دكتوراه منشور، جامعة بشاور، قسم اللغة العربية،٢٠٠٤-٢٠٠٥. تاريخ الدخول: ٤/٢/٢٠١٨م.
http://mohamedrabeea.net/library/pdf/9a7bbe46-a7bf-4077-8067-1cbffff5f375.pdf
- الإسراء والمعراج في تراث الشعر الفارسي، ترجمة: علاء الدين عبد العزيز السباعي، المجلس الأعلى للثقافة للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٥م. تاريخ الدخول: ١٢/٤/٢٠١٨م.
https://archive.org/details/09871234

- البلاغة النبوية في منظور الرافعي: قراءة في المنهج، بن عيسى باطاهر، بحث منشور في مجلة التجديد الماليزية، العدد الثاني والثلاثون، ١٤٣٤هـ. تاريخ الدخول: ٢٠١٧/٩/٨م.
http://journals.iium.edu.my/at-tajdid/index.php/Tajdid/article/view/12/21

- التطور الدلالي في ألفاظ غريب الحديث دراسة وتحليل، رسالة دكتوراه الفلسفة في اللغة العربية، شاذلية سيد محمد، كلية الآداب –جامعة الخرطوم، ٢٠١٠م. ٢٠١٨/٧/٦م.
http://elibrary.mediu.edu.my/books/2014/MEDIU8113.pdf

- شواهد التشبيه في الأربعين النووية، عبد الله محمد بلال، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور–باكستان، العدد الرابع والعشرون، ٢٠١٧ م. تاريخ الدخول: ٢٠١٨/٥/٨م.
http://pu.edu.pk/images/journal/arabic/PDF/4-v24_17.pdf

- الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف، خذري علي، مجلة المنهل،الناشر إتحاد كتاب وأدباء الإمارات، ٢٠١٣. تاريخ الدخول:٢٠١٧/٨/٣م.
https://platform.almanhal.com/Files/2/42624

- صورة المكان في رسالة الغفران، زينة عرفت بور، آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، السنة الخامسة عشرة، العدد الثاني، ١٤٣٤ هـ.تاريخ الدخول: ٢٠١٨/٤/٩م.
http://afagh.ihcs.ac.ir/article_647_4187bc027dd45165b6c346bd18a23a96.pdf

- قلق الولادة لدى الأمهات في المحافظات الجنوبية لقطاع غزة وعلاقته بجودة الحياة، صالح إسماعيل الهمص، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، قسم علم النفس. تاريخ الدخول:٢٠١٨/٥/١٥م.
http://library.iugaza.edu.ps/thesis/90346.pdf

- المزاوجة اللفظية في العربية، تراث حاكم الزيادي - واثق غالب هاشم، مجلة مركز دراسات الكوفة، العراق، ٢٠٠٨م، العدد ١٠. تاريخ الدخول:١٤/٦/٢٠١٨م.
http://www.uokufa.edu.iq/journals/index.php/ksc/article/view/1241

- مصنفات غريب الحديث وأثرها في صناعة المعاجم اللغوية، حاج هني محمد، جامعة حسيبة ابن بو علي، الشلف، العدد٣٨، مجلة المنهل، جدة، ٢٠١٦. تاريخ الدخول:٢٧/٣/٢٠١٧م.

http://revue.ummto.dz/index.php/pla/article/view/1549

- ويكيبيديا الموسوعة الحرة، محمد رجب البيومي. تاريخ الدخول:٧/٢/٢٠١٧م.
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%B1%D8%AC%D8%A8_%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%8A%D9%88%D9%85%D9%8A

- يأتي التعبير بعد التفكير، عبد العزيز عبد الله الخويطر، بحث منشور في مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند، الهند، العدد : الخامس، السنة : ٣٨، ١٤٣٥ هـ . تاريخ الدخول: ١٥/٣/٢٠١٨م.
http://www.darululoom-deoband.com/arabic/magazine/tmp/1394513925fix5sub1file.htm

فهرس الموضوعات

شكر وتقدير.....٤

ملخص الرسالة.....٥

المقدمة.....٧

مشكلة البحث وتساؤلاته.....٨

أهمية البحث وأسباب اختياره.....٨

أهداف البحث.....٩

الدراسات السابقة.....٩

منهجية البحث.....١٠

مخطط البحث.....١٠

التمهيد.....١٢

الفصل الأول البلاغة النبوية عند الرافعي.....١٦

المبحث الأول: أسباب البيان النبوي عند الرافعي.....١٧

الأول: التوفيق والتوقيف الإلهي.....٢٠

االثاني:معرفته وعلمه صلى الله عليه وسلم بلهجات القبائل العربية.....٢٠

الثالث: قوة الفطرةاللغوية.....٢٣

الرابع: النشأة اللغوية.....٢٥

المبحث الثاني: صفة منطقه صلى الله عليه وسلم وإحكامه ونفي الشعر عنه.....٣٣

صفة منطقه صلى الله عليه وسلم وإحكامه.....٣٤

نفي الشعر عن الرسول صلى الله عليه وسلم.....٤٢

المبحث الثالث: اجتماع كلامه وقلّته صلى الله عليه وسلم.....٤٩

المبحث الرابع: سمات البيان النبوي عند الرافعي.....٥٩

السمات العامة في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم.....٦٠
أولاً : اللغة "بناء الجملة".....٦٠
ثانياً :البيان"التصويرالبياني".....٦٢
ثالثاً : الحكمة طابع النبوة.....٧٤
سمات البيان النبوي الخاصة عند الرافعي.....٧٦
أولاً : الخلوص.....٧٦
ثانياً : القصد.....٧٧
ثالثاً : الاستيفاء.....٧٩
المبحث الخامس: أثر الحديث النبوي في اللغة عند الرافعي.....٨٢
الفصل الثاني: البلاغة النبوية عند البيومي.....٩٤
المبحث الأول: أسباب البيان النبوي عند البيومي.....٩٥
السبب الأول: الفطرة القوية والنشأة.....٩٦
السبب الثاني: نور القرآن وهديه.....١٠٧
المبحث الثاني: موقف النبي صلى الله عليه وسلم من الشعر.....١١٩
إثبات أن موقف الإسلام واحد من الشعر.....١٢٠
المواقف النبوية الدالة على تحفيز الشعراء في الإسلام.....١٢٤
الاحتفاء النبوي بالشعراء المسلمين واستخدامهم في الدعوة.....١٢٥
احتفاء الرسول صلى الله عليه وسلم بغير الشعراء المسلمين.....١٢٦
إثبات إنشاد النبي صلى الله عليه وسلم للشعر.....١٢٨
المبحث الثالث: سمات البيان النبوي عند البيومي.....١٣٣
الأفكار في الحديث النبوي الشريف.....١٣٥
الصور البيانية في الحديث النبوي الشريف.....١٤٤

العبارة في الحديث النبوي.....١٥٢
الغريب في البيان النبوي.....١٥٧
المبحث الرابع: تأثير حديث المعراج.....١٦١
التأثير الفني لحديث المعراج في الأدب العربي.....١٦٤
التأثير الفني لحديث المعراج في الأدب الإيطالي.....١٦٧
التأثير الفني لحديث المعراج في الأدب الفارسي.....١٦٩
الفصل الثالث:موازنة بين الرافعي والبيومي.....١٧١
المبحث الأول: أوجه الائتلاف..... ١٧٢
الأسباب المؤثرة موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر.....١٧٥
الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم أديب.....١٧٦
التأثير النبوي على اللغة.....١٧٦
الإيجاز النبوي.....١٧٧
الحديث النبوي وإحكامه.....١٧٧
الوضوح في العبارة.....١٧٨
العناية بموسيقى الحديث النبوي.....١٧٨
جمال الصور البيانية في الحديث النبوي.....١٧٩
إيجاز التصوير النبوي.....١٧٩
سبب الوضوح في الحديث النبوي.....١٨٠
جمال التمثيل في البيان النبوي.....١٨١
الاتفاق في بعض سمات البيان النبوي.....١٨١
الغريب في الحديث النبوي.....١٨٢
المبحث الثاني: أوجه الاختلاف.....١٨٣
الاختلاف في الأسباب المؤثرة في البيان النبوي.....١٨٧

الفطرة القوية.....١٨٧
النشأة في أفصح القبائل.....١٨٨
النبي صلى الله عليه وسلم وإنشاد الشعر.....١٨٨
التأثير النبوي على اللغة.....١٩٢
الخاتمة.....١٩٤
فهرس الآيات القرآنية.....١٩٧
فهرس الأحاديث النبوية.....٢٠٠
فهرس المصادر والمراجع.....٢٠٢
فهرس الموضوعات.....٢١٣

EXTRACT

The subject of this research is about the prophetic rhetoric between Al-Rafi'i and Al-Bayoumi as a comparison study. The current study aims at learning the approach and style of Moustafa Sadeq Al-Rafi'i and Muhammad Rajab Al-Bayoumi when they examine the prophetic rhetoric. This research compared between these two studies and clarified the aspects of the coalition and the differences between them. The study was divided into three chapters, preceded by a preface to the lives of the two writers. The first chapter dealt with the prophetic rhetoric of Al-Rafi'i and it was divided into five sections. Al-Rafa'i's study of prophetic rhetoric can be summarized around two main axes. The first axis: the prophetic eloquence and clarification of the reasons affecting the Prophet's moral peace be upon him, and environmental; in relation to the subject of his character and the integrity of his logic and the glibness and shortness of his words peace be upon him; the denial of poetry about him peace be upon him and his impact peace be upon him in the language and use of the stranger in his communications and messages. The second axis is the prophetic rhetoric and its stylistic characteristics. The description of rhetoric in terms of workmanship on three sides: language, statement and wisdom. He mentioned the attributes of the prophetic method: clearance, intent and interpolation. His study of the prophetic rhetoric was brief if we compared it with his study of the prophetic eloquence, and it became clear that he was influenced by the old studies of Al-Jahiz and Al-Khattabi. Al-Rafi'i is considered as a pioneer in his study of the prophetic rhetoric. He has dealt with it in his own literary way, and we can also describe the Rafi'i approach in his study of the general nature of the judgments on meanings and style. He described many of the descriptive sentences with intertwined meanings which were vague and did not benefit the recipient the best; although they carry many original ideas. This was due to his lack of reliance on the scientific study and on the objective description and related to the methods and styles of the ancients. He did not delve deeply into the technical and rhetorical analyzes, and especially he included the linguistic aspect in his analysis of the prophetic talks with the artistic aspect. But his main goal was to reveal the general characteristics of the prophetic expression.

The second chapter deals with: prophetic rhetoric of Al-Bayoumi. It is divided into four sections, and his study concludes that he came in a different study from its predecessors for the reasons of the Muhammadic statement, as well as his characteristics that distinguished him from the human statement, as well as the linguistic influence of the Prophet's speech peace be upon him on the language and the Arabic, Persian and international literature. He also proved that the view of the Holy Quran and the Sunna are one in poetry, with a wise attitude towards them, and their opposition to a ribald trend, and denied to those who say hatred of poetry and refuted their claims. He stressed that the talk about the truth of the creation of poetry is a talk about the full eloquence and completeness of rhetoric, and they do not need evidence. Al-Bayoumi is also regarded as a pioneer in the writing of a specialized book on the Prophet's statement in a detailed analytical study. Al-Bayoumi has dealt with his book with objective description, following modern scientific methods. I think he has put the first brick in this lofty edifice successfully. In his study of the Prophet's statement, he decided that there is much controversy in the issues such as the martyrdom with the Prophet's Hadith in the language and grammar books and the issue of the position of Islam of poetry and poets … and others; we found that he is also influenced by contemporary studies. In his analysis of the Prophet's Hadith, he sets many examples to prove his words, but he analyzes little of rhetorical and linguistic analysis.

The third chapter deals with the comparison between Al-Rafi'i and Bayoumi in their study of the prophetic rhetoric and is divided into two sections. They conclude the coalition of the two writers in some opinions and issues. As they agreed that one of the most important causes of the Prophet's statement is the strong instinct and their differences with each others, as their differences in the issue of chanting poetry.

Afnan Abdul Aziz Al-Bdaiwi

Kingdom of Saudi Arabia
Ministry of Education
Al-Qassim University
Faculty of Arabic Language and Social Studies
Department of Arabic Language and Literature

Prophetic Rhetoric between Moustafa Al-Rafi'i and Muhammad Al-Bayoumi

Comparison Study

A Shown Thesis to Complete the Requirements for Obtaining a Master's Degree

in Arabic Language and Literature (Literary Studies)

Prepared by the student: Afnan Abdul Aziz Abdullah Al-Badawi

University Number: 341200003

Supervision: Prof. Abdul Rahim Dafallah Al-Aqli

Professor of Rhetoric and Criticism in the Faculty of Arabic Language and Studies

In Al-Qassim University

1439H / 1440H / 2018 AD / 2019